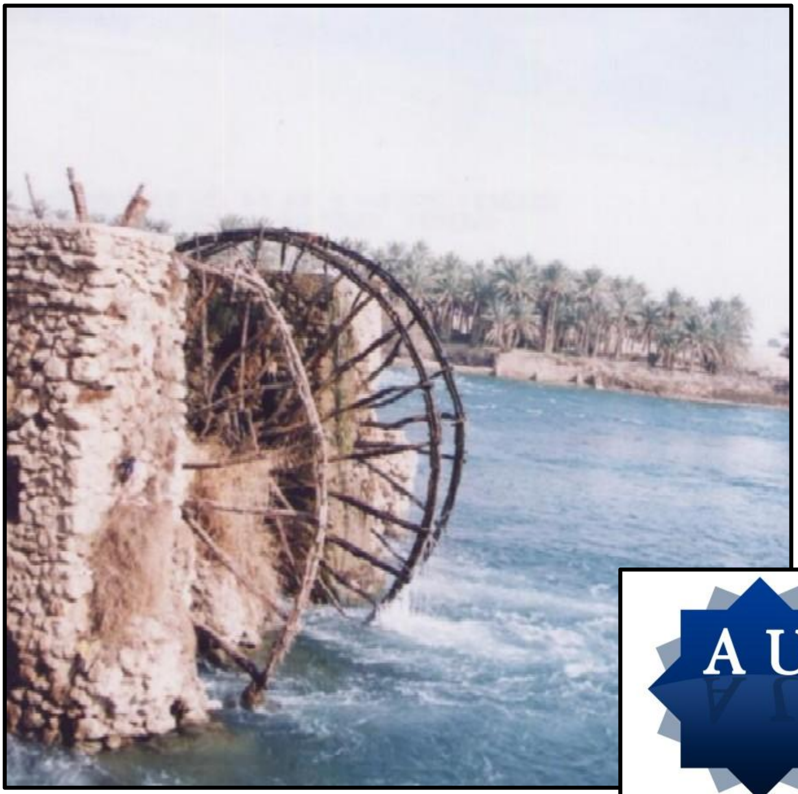
مجلة

جامعة ابن رشد

في هولندا

دورية علمية محكّمة تصدر فصليا

العدد الاول **السعر 10 يورو**



Averroes University
Holland

مجلة

جامعة ابن رشد في هولندا

دوريّة علمية محكَّمة تصدر فصليّا

عنوان المراسلة

Lorsweg 4, 3771 GH, Barneveld
The Netherlands
Website www.averroesuniversity.org
E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org

البحوث المنشورة يُجري تقويمها أساتذة متخصصون.

ثمن العدد 10 يورو أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي

الاشتراك السنوي	**الأفراد**	**المؤسسات**
لمدة سنة	60	80
لمدة سنتين	110	150
لمدة ثلاث سنوات	160	200

العدد الأول كانون أول ديسمبر 2010

الفهرس

مفتتح

ثقة بأهمية البحث العلمي ومكانه ومكانته في الجامعات التي تحترم العقل العلمي وتعبّر عنه، تبنت جامعة ابن رشد في هولندا إنجاز دوريتها العلمية، مجلة محكَّمة تعنى بدعم البحث العلمي والعمل على توفير أدواته ومن أهم تلك الأدوات (المجلة العلمية) ذات الرصانة والمرجعية ممثلة بآليات العقل ومنطق فعله وخطى منهجه وتوجهه..

اليوم نشعر بالاعتزاز لأننا استطعنا أن ندلي بكلمة معرفية هي المفتتح لمسيرة نثق بأنها ستتعزز وتتسامى بفضل العقول العلمية الباحثة في ميادين المعارف والعلوم ومبادئ توظيفها في خدمة الحياة البشرية بكل مفاصلها.

إننا لسنا أكثر من مؤسسة علمية أكاديمية.. أما المضمون، أما المحتوى، أما الجهد الحقيقي الفاعل فيكمن في أقلام العقول الأكاديمية التي تلتئم سويا ومعا هنا في هذه المؤسسة لتكون مشرط الجراح لتشريح كل قضية تجابهنا بطريقة حكيمة حصيفة سديدة.. نحن الأداة وأنتم الأنامل التي تمسك بها وتمضي في إنجاز العمليات الرياضية التشريحية لتصل إلى حيث النتائج الأبعد ضمانا وتطمينا لإجابة جميع الأسئلة والقضايا..

باعتزاز، نضع بين أيدي الباحثين جهودنا المتواضعة هذه بمشاركة مكينة من علماء وأساتذة أجلاء أفاضل من مختلف البلدان؛ بخاصة هنا بالإشارة إلى من شاركنا في هذا العدد من العراق وفلسطين وزميلات وزملاء ممن يجمعون اليوم بين

هوياتهم الوطنية وإعدادهم العلمي هناك وبين تجاريبهم المهجرية في بلدان أوروبا وأمريكا وغيرها. وهذا هو الجسر المعرفي الفكري الذي نتطلع إلى نكونه بوساطة هذه الجامعة وانشطتها العلمية المعرفية..

فمباركة تلك الجهود.. ومعذرة من هفوات البداية وربما بعض مثالبها التي قد تظهر هنا وهناك.. لكن الإصرار على أن نكون، جعلنا نترك تلك الملامح (الهامشية) التي ما زالت بحاجة للتعديل لفطنة الآخر وإضافته ودوره..

وهذا ما نتطلع إلى أن يصلنا منكم وعبركم وبدورنا سنستقبل كل الملاحظات وكل أشكال النقد ومضانه بكامل الترحاب وتمامه؛ لأن غايتنا مشتركة موجودة هنا حيث التطلع للوصول إلى أفضل البحوث العلمية..

ومن جهتنا نتعهد في مستقبل غير بعيد بوضع مكافآت لأفضل البحوث في ميدانها ولأفضل الباحثين.. كما نتطلع لتبني الأعمال البحثية الميدانية المشتركة التي تدرس واقعنا وأسئلته.. والتوجه لتنفيذ الاستبيانات والاستطلاعات العلمية المناسبة لمطالب باحثينا وبحوثهم..

ومع تحايانا بمناسبة طي صفحة سنة وبدء صفحة عام جديد من الجهد والبحث والدرس والتحصيل؛

نؤكد بثقة أننا بكم ومعكم نتقدم.. سلمت الجهود الخيرة النيرة الرشيدة.. وتحية العلم لكم جميعا..

رئيس التحرير

الأدب وعلوم اللغة

أهمّ المظاهر السلبيّة لتوظيف الأسطورة في الخطاب الشعريّ الحديث .

د. محمد عبد الرحمن يونس(*)

من خلال ديوان الشعر العربي المعاصر نجد شعراء معاصرين تعاملوا مع الأسطورة، و لم يستطيعوا تشكيل صورة شعرية عميقة الدلالة، بل كانت الأسطورة بنية نصيّة، قُدّمت في شكلها الظاهري، دون أن تدلّ أو تشير أو توحي، و إن دلّت فإنّ دلالاتها كانت جدّ قريبة، بل بدت هامشية و غير جوهرية أو عميقة، و هذا هو أحد المظاهر السلبية لتوظيف الأسطورة في النص الشعري العربي المعاصر. و يمكن القول: « إنّ موضوع القصيدة العربية الحديثة في جلّ نماذجه - أصبح يكرر نفسه بلا انقطاع. أصبح الحاضر لا يرى إلاّ بباصرة الماضي، و من خلال رموز تبسيطية تفرز الماضي و الحاضر و المستقبل العربي فرزاً بدائياً و جزافياً بين جلاّد و مجلود، خليفة و خصيّ، رجعية عربية و تقدمية قرمطية »(1) .

يقول الشاعر التونسي رجب بن مهني في قصيدة بعنوان « شهرزاد تقتحم ضباب الحضارة »:

أيا شهرزادُ التي قتلت شهريارَ بسيفِ الحضارةْ
رَمَتْهُ بسهم و أَلْقَتْ به في ركام الدّعَارَة
أيّا شهرزادُ التي رفضت شهريارْ
و لمْ تَقْبل اليومَ جورَ الإمارَهْ
لقَدْ أقفَلَ الجهلُ بابَهُ لن تقبلي بالخساره
و أنتِ المنَاره.
أريدكِ رافضة الوهمِ ..
ضِدّ تضاريس وجه غبِيّ و أشباحهِ المستعاره
تَثورينَ، ثورَةَ قلبٍ
منَ العلمِ يقتبس الآنَ ألفَي شراره
وتنتصبين، شموخاً، سُمُوّا.
أصيخي لصوت التحدّي.

...

أيا شهرزاد
قفي و انظري للنجوم
هي الشمس تَمنحها النبضَ بالنور حينَ الظلامُ يَسُودْ

(*) - جامعة ابن رشد، كلية اللغة العربية، قسم الأدب العربي، هولندا .

قفي .. قاطرات الزمان تَسيرُ
و أنتِ الربيعُ الذي يحملُ الخِصبَ .. أنتِ البذورْ
قفي وقفةَ الحبّ .. ! شهماً مُثيرا
قفي .. أنتِ أعذبُ لحنٍ
طوتّهُ السنونْ
و أخفتْهُ .. داستهُ
ثمّ يفيقُ أخيراً .»(2) .

يستخدم الشاعر هنا أسطورة شهرزاد و شهريار استخداماً لا يتعدى التسمية، دون أن يتعمّق في استخدام الرمز الإشاري للأسطورة و أبعاده. و يبدو هذا الاستخدام في أبسط أشكاله، و يمكننا أن نسميه استخداماً وظيفياً تزيينياً، إذ لا يبدو عميقاً أو قادراً على تجاوز البنية الشكلية و النصيّة للفظي شهريار و شهرزاد. هكذا تأتي الفكرة في القصيدة بسيطة و غير مرمّزة، و تفتقر إلى الإيحاء العميق. و يمكن أن نلخّص فكرة الشاعر رجب بن مهني بما يلي: مع تقدّم الحضارة، و تطور المعارف النظرية و العلمية، التي قضت على كثير من مفاهيم عصر الانحطاط و البداوة، يدعو الشاعر المرأة العربية المعاصرة أن تواكب هذه التطورات و أن تنفض عن كاهلها تركات الأزمنة البطريركية و السلطوية الشهريارية و أن تتمرد و تثور، و لكنّ هذه الرؤية الشعرية تفتقر إلى الإيحاءات الفنيّة العميقة التي يمكن أن تشكّلها الدلالات العميقة لأسطورة شهريار و شهرزاد.

و ثمة غاية أخرى لجأ إليها بعض الشعراء، و هي مجرد الاستعراض المعرفي و الثقافي لنصّ الأسطورة. بحيث بات استخدامها ترفاً شكلياً، ظناً منهم أنّ المتلقي للخطاب الشعري سيعطي للقصيدة قيمة فكرية و جمالية كلما امتلأت بأسماء الشخصيات الأسطورية، و بعض آخر ظنّ أنّ توظيفها بأية طريقة كانت سيموضع القصيدة، و يضعهم في حقل معرفي زمني يجعل من القصيدة رؤية معاصرة و حداثية، فظنّ هؤلاء أنّ استخدام الأسطورة أهم سمات الحداثة، إذاً فلتكن الأسطورة تمشياً مع موجة الحداثة، حتى لا يتخلفوا عن ركب الإبداع.

يقول الشاعر سليمان العيسى في قصيدة بعنوان: بطاقة حبّ إلى وضّاح اليمن:

« أهزّكَ .. أقطع النّشوهْ
أعيدك قصّة حلوه
أزيح غطاءك الأزليّ ..
أمسح وجهك الدّامي بآلامي ..
أصبُّ بسمعك الحاضر
...
أتحمل من دمي قبسا ؟

حكايتنا بلا سمر
وهبت حروفها عمري
***
يُقال: تفجّر الصندوق يا وضّاح فاليمن
تجرُّ وراءها الكفن العتيق فيسقط الكفن
و تبحث عن خيوط الشمس حيث تحجّر الزمن
يُقال: تفجّر الصندوق يا وضّاح عن لهبٍ
...
يُقال: ستولدين على الطّوى .. يا أمّة العرب
سنبدأ رحلة القدر
من الجوع المُدمِّر، من ملاجئنا، من الحفر
سنبدأ رحلة الميلاد يا صنعاء، يا عدن ». (3)

إنّ الشاعر سليمان العيسى يتعاطف مع ثورتي صنعاء و عدن في نضالهما التاريخي، الأولى ضد سطوة الإمامة، و الثانية ضد سلطة الاستعمار الانكليزي، و مع الأمّة العربيّة في نضالها التاريخي ضدّ الفقر و الجوع و التخلّف، و عبر بطاقة حبّ لصنعاء و عدن، يوظّف الأسطورة التاريخية « وضّاح اليمن »، الذي مات مدفوناً في صندوق، في قصر الوليد بن عبد الملك**(4)** في دمشق، نتيجة علاقة حبّ سريّة ربطته بزوجة الوليد « أم البنين »، كما تذكر بعض المصادر التاريخية. و توظيف هذه الأسطورة التاريخية لا يتعدّى كونها لصوقاً شكلياً بجسد القصيدة، و من خلال تعاطفه مع ثورتي المدينتين، فإنّه يتعاطف مع وضّاح اليمن، و يقسره للدخول في بنية القصيدة، و إن دلّ فإنّ دلالته قريبة جدّاً لا تتعدى اللفظة أو الإشارة.

إنّ قصة وضّاح اليمن التاريخية و الأسطورية لأعمق بعداً و تأثيراً في النفس الانسانية من هذه القصة الحلوة التي شكّلها الشاعر، و قسرها على رؤية التطور الحضاري و المعرفي الذي حصل في صنعاء و عدن بعد الثورتين « أعيدك قصة حلوة ». و يجعل الشاعر من نفسه ذاتاً متعالية و يضعها بشكل ندّي مع وضّاح اليمن، بل يسأل وضّاحاً: هل يستعير قبساً من ذات الشاعر ؟، و ليس هناك أي بعد رمزي على مستوى الرؤية الشعرية يجمع بين صندوق وضّاح اليمن، الذي أخفته أم البنين خوفاً من زوجها الوليد، و بين الصندوق و السور الذي صنعته السطوة الإمامية و الاستعمار الانكليزي، و دفنتا فيه الشعب اليمني و أعاقتا نموّه الحضاري و الانساني.

إنّ معطيات التراث تكون « بديلاً إسقاطياً يتكىء عليها (الشاعر) سليمان العيسى (...) ليكون الصوت الآخر الذي يعبّر الشاعر بواسطته عن رؤيته الخاصة، و لكن هذه الرؤية يعيبها أنها تكاد تكون مباشرة فلم يستطع الصوت الآخر أن يتخلص من صوت الشاعر فيما يشبه تداخلاً تكثيفياً أو قناعاً فنياً يبتعد فيه الشاعر عن الدلالة الواضحة وعن الحكم المباشر، و كان أشبه بمجرّد استبدال صوتي في لقطات جزئيّة »(5).

و مـن المظـاهر السـلبية لاسـتخدام الأسـطورة فـي الخطـاب الشـعري المعاصر: إبهام الرمز الأسطوري و انغلاقه على ذاته بالنسبة للمتلقي العادي، بحيث تبدو علاقة المتلقي بالباث أو المرسِل، و بالتالي علاقتـه مـع القصيدة علاقـة غربـة و تنافر، إذ أمام انغلاق النص على بناه الأسطورية يجد القارىء نفسه عـاجزاً عن فهم دلالات و إيحـــــاءات هـــــذا الرمـــــز الأســـــطوري، و قلما يحاول فكّ استغلاقاته.

يقول أدونيس في مقطع بعنوان « أورفيوس » من قصيدة « ساحر الغبار »:

عاشقٌ أتدحرجُ في عتمات الجحيم
حجراً، غير أني أُضيء
إنّ لي موعداً مع الكاهنات

...

كلماتي رياحٌ تهزّ الحياة
و غنائي شرار.
إنني لغةٌ لإله يجيءُ
إنني ساحرُ الغبار »(6).

تقول أسطورة أورفيوس Orphée. أن أورفيوس:

« كان موسيقياً قديراً، برع بصفة خاصة في العزف على القيثـارة التـي تلقاهـا هديـة مـن أبوللـو أو ميركـور، و طوّرهـا فأضـاف إلـى أوتارهـا السـبعة وتـرين. و كانـت الأنغـام التـي ترسـلها هذه القيثـارة عذبـة مشـجيّة لدرجـة أنـها كانت تسـحر أضـعف الكائنـات حساسية للـنغم. كانـت الحيوانات المتوحشة تهرع إليه، فتخلع ثوب الوحشية و الضراوة عند قدميه، و تأتي الطيور و تحطّ على الأشجار القريبـة منـه. بـل إن الريـاح نفسـها كانـت تحـوّل أنفاسـها ناحيته، و الأنـهار توقف جريانها، و الأشجار تشكّل فرقـة راقصـة، كـل هـذا مجـازات أو اطنابـات شـعرية تعبّـر عـن كمال مواهبه أو الفن الرائع الذي استطاع أن يستخدمه لتهذيب ما في طبائع أهل تراقيا من شراسة، و نقلهم من حياتهم المتوحشة إلى الحيـاة المهذبـة الرقيقـة الحلـوة. و ذاع صيته بأنه حكيم و شاعر ملهم من قبل الآلهة في كل أنحاء العالم القديم»(7) .

و الشاعر أدونيس يوظّف هنا هذه الأسطورة توظيفاً مبهماً و معقّداً فـي ديوانـه أغـاني مهيـار الدمشـقي، إذ يحـاول أن يشـكّل مـن أورفيـوس الصـورة النِّدِّيـة لقناعه مهيار الدمشقي، مهيار الجديد الرافض لكل القيم البالية، الثائر علـى بنيات مجتمعـــــــــه، و المتخطّـــــــــي لهـــــــــا .

يقول الشاعر:

« وجهُ مهيار نارْ
تحرقُ أرضَ النجوم الأليفة،
هو ذا يتخطّى تخومَ الخليفة
رافعاً بيرقَ الأفولْ
هادماًَ كلّ دارْ؛
هو ذا يرفضُ الإمَامَهْ
تاركاً يأسَه علامه
فوق وجه الفصول »(8) .

مهيار الذي عرف الآخرين بسكونيتهم المميتة، و تصالحهم مع طغاة أزمنتهم، فعرّاهم و رمى فوقهم صخور رفضه:

« عرف الآخرينْ
فرمى صخرةً فوقهم و استدار
حاملاً غُرّة النهارْ
و السنينَ التي تُهرول عذْريّة الجنين.
وجههُ عالِقٌ بالحدود الغريبهْ
ينحني فوقها و يُضيءُ،
حيث لا يلمح الآخرين استدارْ
حاملاً غُرّة النهارْ »(9) .

لكن تبدو صورة مهيار النِّدِّية التي هي أورفيوس منفصلة عن مهيار و ارتباطاتها بها على المستوى الإنساني و الرؤيوي غير جوهرية. و« أرفيوس » في الأسطورة ينسى تعاليم الإلهيْن بلوتون وبروسيربينا القاضية بأن لا ينظر إلى خطيبته أوريديكا، إلا بعد أن يتخطّى حدود الدار الآخرة، و هذا هو شرط السماح له باستردادها من الدنيا الآخرة حيّة. و لكنه يستدير ناسياً هذا الشرط، فتنفلت متدحرجة إلى الأعماق إلى غير رجعة. فما هو المستوى الإشاري و الإيحائي الذي يقصده أدونيس بتدحرج أورفيوس إلى عتمات الجحيم، و ما هي الرؤية الإنسانية المعاصرة التي يمكن استشفافها من هذا الأمر ؟. و من هنّ الكاهنات اللاتي يرتبط بهن أورفيوس بموعد ؟ هل هنّ نساء تراقيا اللواتي كنّ يحتفلن بأعيادهن الفاجرة، فقمن بتمزيقه و ألقين برأسه في نهر الهيبر و هو من أنهار بلادهن ؟(10). و ما الحالة الإنسانية المعاصرة التي قصدها أدونيس و أراد أن يبرزها من خلال نظيرها الأسطوري و من خلال استخدامه للفظة « الكاهنات » ؟. و ما هي الرؤية الشعرية الإبداعية التي يريد إبرازها ؟ أسئلة لا يعرف الإجابة عنها بدقة إلاّ الشاعر أدونيس نفسه. و تبقى هذه الأسئلة قادرة على إثارة المزيد من الإشكاليات النقدية حول بنية الأسطورة و رموزها، و علاقتها بالخطاب الشعري العربي المعاصر.

أمام إبهام الرمز الأسطوري، و عدم وجود الصلة الجوهرية بين دلالة الرمـــــــــــــــز القـــــــــــــــديم، و بين موقف حضاري معاصر يريد الشاعر التأكيد عليه، تصبح القصيدة خطاباً مستغلقاً، فلا أورفيوس هو الصورة النديّة لمهيار النتشوي المتفرّد ، و لا هو

الصورة المعاصرة للإنسان المعاصر في رؤاه و أحلامه. و بقدر ما كانت صورة مهيار في المقطع السابق « وجه مهيار نار » مشعّة و مضيئة و موحية إلى دلالات حضارية و إنسانية، و متخطيّة لزمن القتامة و عاملةً على هدمه، بقدر ما كانت صورته في « أورفيوس » غائبة و مبهمة و مستغلقة. و يعلّق د.أحمد كمال زكي(11) على المقطع السابق «أورفيوس» قائلاً:

« و نحسّ على الفور بقصور الشاعر، فلم تدل صورته على أورفيوس الذي كان يحرك بقيثاره و شعره الجماد (...) و يهزّ أعماق « برسيفون » زوجة « بلوتو » الأرضي. فضلاً عن أنها لم يستقم لها المدلول المباشر بحيث تكشف عن واقع نفسي معين، و ليس أدلّ على فشل الشاعر من صيحته في آخر القصيدة:

إنني لغة لإله يجيء

إنني ساحر الغبار ».

و ليس غريباً أن تكون قصائد أدونيس الرمزية غامضة و مستعصية على القارىء طالما هو نفسه يرى أنه ليس ضرورياً أن يفهم المتلقي القصيدة فهماً شاملاً، يقول: « فعلى القارىء أن يعترف أحياناً أنه ليس من الضروري أن يفهم كل قصيدة فهماً شاملاً، مهما بلغت درجة فهمه. يكفي من جهة أخرى، أن يكون هناك قارىء واحد يفهم قصيدة ما لكي تزول عنها صفة الغموض .»(12) .

و من حوار بينه و بين قارئه يقول: « هو: هل أستطيع أن أستنتج بأنك تحب الغموض؟

أنا: نعم، و لكن بالمعنى الشعري الخالص، أي المعنى الذي يناقض الألغاز و التعمية و الأحاجي. فالقصيدة العظيمة لا تكون حاضرة أمامك كالرغيف أو كأس الماء. و هي ليست شيئاً مسطّحاً تراه و تلمسه و تحيط به دفعة واحدة. إنها عالم ذو أبعاد (...) عالم متموج متداخل كثيف بشفافيته .. تعيش فيها، و تعجز عن القبض عليها. تقودك في سديم من المشاعر و الأحاسيس، سديم يستقل بنظامه الخاص. تغمرك، و حين تهمّ أن تحتضنها تفلت من بين ذراعيك كالموج»(13).

و يصرّ بعض الشعراء على توظيف أساطير عديدة داخل النص الواحد تحمل دلالات و رموزاً متباينة، وتنفصل في آن عن الوحدة الموضوعية الشمولية للقصيدة، مما يجعل هذه الرموز مستغلقة و غير قادرة على الإيحاء، و إزاء ذلك يجد المتلقّي نفسه عاجزاً عن فهم هذه الرموز و فكّ استغلاقاتها، لأنها موظفة توظيفاً نصياً لا إبداعياً، فهي بدلاً من أن توسّع آفاق النص و تزيد ثراءه المعرفي و الدلالي، فإنها تحجبه و تحوله إلى شبكة من العلاقات المبهمة، من هنا فإنّه مطلوب من المتلقّي - و وفقاً لرؤية الشاعر - أن يتمثّل الموقف الأسطوري و دلالته الرمزيّة، حتى و لو وظّف هذا الشاعر الرمز الأسطوري توظيفاً غائياً و مستغلقاً.

فعلى سبيل المثال يلجأ الشاعر عبد الوهاب البياتي إلى شحن القصيدة بأساطير عديدة تأخذ كل منها دلالة مغايرة للأخرى، و تتكثف هذه الأساطير بحيث تبدو قلعةً مغلقةً أمام المتلقّي، الذي يظلّ عاجزاً عن فهم الرمز الأسطوري و علاقته

بالرموز الأخرى. يقول الشاعر في قصيدة « مرثية إلى عائشة » من ديوان الموت في الحياة:

« يموت راعي الضأن في انتظاره ميتة جالينوس
يأكل قرص الشمس أورفيوس
تبكي على الفرات عشتروت
تبحث في مياهه عن خاتم ضاعَ و عن أغنية تموت
تندب تموز: فيا زوارق الدخان
عائشة عادت مع الشتاء للبستان
صفصافة عارية الأوراق
تبكي على الفرات
تصنع من دموعها، حارسةُ الأموات
تاجاً لحب مات »(14) .

تغرق القصيدة في ضبابية كثيفة إزاء هذا الحشد من الأساطير، و تفقد الأسطورة قدرتها على الايحاء و تَمَثُّل الرمز. فما هي الملامح المشتركة بين أورفيوس المغني، و عائشة الشابة التي أحبها عمر الخيام، و التي يستخدمها البياتي كرمز أسطوري يجسّد الحب الأزلي الواحد، الذي يضيء ما لا يتناهى من صور الوجود كما يرى البياتي(15)، و بين عشتروت الباكية « تموزها » المقتول غيلةً، و جالينوس الرمز المعقّد الذي يشير إلى عادة قديمة تجري في مراسيم الندب و البكاء على تموز إله الخضرة (16) و الذي يستعيره البياتي من بيت المتنبي:

« يموت راعي الضأن في جهله ميتة جالينوس في طبه»؟ .

إذا كان هناك ملامح مشتركة فإنها جدّ طفيفة، و أمام هذا التوظيف يجد المتلقي نفسه عاجزاً عن استيعاب رؤاها الموحدة، و دلالاتها البعيدة أو القريبة، إنّ هذا التكثيف يؤدي إلى فقدان القدرة على الإيحاء، و يزيد القصيدة تعمية و تعقيداً. صحيح أنّ « كل لغة شعرية تبدأ بكونها لغة أسرار، بمعنى خلق عالم شخصي، عالم منغلق على نفسه تماماً »(17)، لكنّ الابداع الشعري يحوّل لغة الأسرار هذه بطاقتها الرمزية، لتصبح لغة منفتحة على فضاءات جمالية انسانية و ثقافية و تاريخية، يمكن أن تؤول وتُفهم، بعد أن يستنفر المتلقي طاقاته و قدراته الثقافية، و يعمل على فك أسرار هذه اللغة.

إنّ الشاعرالمعاصر يلجأ أحياناً إلى تكثيف أساطيره، و شحنها برموز متداخلة غامضة، هو نفسه لا يستطيع أن يفكّ غموضها، بحيث تبدو القصيدة مجرد لعبة شكلية أهم سماتها الهذيان الذي لا ضابط له إلاّ بوصفه هذياناً سريالياً عالياً، شكّله شاعر مبدع، و عجز عن فهمه متلقٍّ متخلف مُطالَب بأن يقرأ كثيراً، و يفكر كثيراً، كما يرى مبدع هذا الهذيان السريالي، و هنا يمكن القول إنّ « الخيال الذي يعبّر عنه الترميز غالباً ما يكون خيالاً خاصاً، انعزالياً، جزافياً. و بالتالي فهو خيال لا اجتماعي (...) هذا إذا لم يكن خيالاً ضد اجتماعي، فالشاعر ينكفئ إلى الماضي باستمرار. إنه لا يرى الحاضر إلا من خلال رموز الماضي التي تشبه حشداً من المومياءات ينفخ فيها الحياة و يحرّكها بمهارة جاذب خيوط الدمى المختبئ وراء

المســـرح.
و هكذا فإن مخيلته تتحرك في مجال حيوي هو التاريخ، تستعير رموزها منه. بينما تهمل رموز المجتمع الراهن. و قد أصبح الترميز في أحيان كثيرة، حيلة يتوسل بها من أجل المرواغة و اصطناع غلالة تحجب حقيقة كون القصيدة لا تقول شيئاً»(18).

و يبقى استخدام الرمز في القصيدة سمة من سمات الحداثة، و ظاهرة فنية و صحيّة، لأنه عملية خلق عناصر و مكوّنات جديدة وفق رؤية ابداعية من جهة، و ابتعـــــــــــــاد عـــــــــــــن الخطابيـــــــــــــة و المباشرة من جهة ثانية، و يبقى سوء استخدام الرمز عائداً إلى الشاعر نفسه: « فإما أن يستخدم الشاعر الرمز القديم بوصفه مقابلاً عقلياً فيفقده طبيعة الرمز، و إما أن يكّدس هذه الرموز تكديساً يصعبُ معه تمثل دور كل رمز منها في السياق الشعوري للقصيدة»(19).

و من الشعراء الذين عرفوا بتكديسهم الرموز الأسطورية و حشدها في أعمالهم الشعرية، الشاعر العراقي بدر شاكر السيّاب، إذ جمع قسماً كبيراً من هذه الرموز في قصيدته « المومس العمياء »، بحيث باتت ظاهرة شكليّة، قُدِّمت فيها الشخصية الأسطورية تقديماً يفتقر إلى الإيحاء العميق، و إلى الرؤية الإبداعية التي تجعل من النص الأدبي طاقة تخيّليّة، بل تحيله إلى مجموعة من الألفاظ الأسطورية المتراكمة بعضها فوق بعض، إذ يصبح النص سجين هذه الألفاظ المنتقاة لغاية نفعية، هدفها صناعة القصيدة و تركيب جدرانها على نمط مُصنّع و مُشكّل سابقاً، تحضر الصنعة اللفظية و الشكلية و يتضاءل مدّ الرؤية الشعرية، و يطغى حضور الشخصية الأسطورية على بنية القصيدة و رؤيتها. و لا يستطيع القارئ أن يتمثّل جوانب هذه الرؤية إلاّ إذا اصطحب معجماً خاصاً للميثولوجيا و الأساطير القديمة، و حتى في حال رجوعه إلى كل أسطورة من هذه الأساطير و محاولته فهم أحداثها الأسطورية، و من ثمّ إيجاد رؤى معاصرة تشير إليها القصيدة، اعتماداً على الحقل المرجعي الأسطوري، سيجد أن كثيراً من هذه الرؤى غائبة، و سيتساءل: ماذا أضافت هذه الأساطير من رؤى جديدة، و لماذا أُقسِرت بهذه الغائية التعسفية و أُلصقت ببنية القصيدة ؟ و ما هي الغاية الجمالية التي حققتها ؟. و سيجد نفسه عاجزاً عن إيجاد جواب دقيق يرضي طموحه المعرفي، و استعداده النفسي لمحبة الشعرِ، و الإيمان بقدرته على توسيع آفاق المخيّلة، باعتباره فناً إبداعيا و جمالياً و إنسانيا.

يقول في قصيدته المومس العمياء:

« و تفتّحت، كأزهار الدّفلى، مصابيح الطريق،
كعيون « ميدوزا » تحجّر كلّ قلب بالضغينة ».
و « قابيل، اخفِ دم الجريمة بالأزاهر و الشفوف ».
و « أحفاد « أوديب » الضرير و وارثوه المبصرون
(جوكست) أرملة كأمس، و باب « طيبة » مايزال
يلقي « أبوالهول » الرهيب عليه، من رعب ظلال ».
و « لا تنقلنّ خطاك فالمبغى « علائي » الأديم

ابناؤك الصرعى تراب تحت نعلك مستباح ».
و « مترقّباً ميلاد « أفروديت » ليلاً أو نهاراً ».
و « فاوست ، في أعماقهن يعيد أغنية حزينة
المال، شيطان المدينة، ربُّ « فاوست » الجديد ».
و « المومس العجفاء - لا « هيلين » و الظمأ اللعين ».
و « ستظلّ - ما دامت سهام التبر تصفر في الهواء -
تعدو و يتبعها « أبولو » من جديد كالقضاء ».
و « طلول مقبرة تضمّ رفات « هابيل » الجنين ؟
سور كهذا، حدّثوها عنه في قصص الطفولة:
« يأجوج » يغرز فيه، من حنق، أظافره الطويلة » (20).

إن حشوداً أسطورية كهذه و غيرها، تدعو الناقد رجاء عيد(21) لأن يقول: « الخطورة تتربص بالشعر حين يعتمد على لصق أسطوري لا يضيف بعداً و لا يثري أداء و لا يخلق نماء. هذه الخطورة آفة لا يكاد يسلم منها شعرنا المعاصر فما أكثر ما تصادفك (بنيلوب) و (ايزيس) و (عشتروت) و (أرفيوس) و سيدهم المتربع على كل مائدة (السندباد) إلى آخر الحشد المكرور و الملول ».

و من المظاهر السلبية لاستخدام الأسطورة في القصيدة العربية المعاصرة، أن يكتفي الشاعر و لا يتجاوز حدود القيمة الفكرية للأسطورة، بحيث تبدو القيمة الفكرية التي يطرحها الشاعر هي الهدف الأول من توظيفها، و هنا يبدو توظيف الأسطورة عملية نقل نصّي و موضوعاتي لها، و من ثمّ إلصاقها ببنية القصيدة، دون أن يتعدى ذلك إلى الاهتمام بالجانب الفني و الجمالي. و « قد تكون الأفكار جميلة جداً، و لكنها لن تكون شعرية أبداً. إنّ غاية ما يمكن أن تؤديه الأفكار من نفع هي قيامها بدور المدخل إلى الشعر إذ من شأنها صفع الخيال و تحديد تيار من التصورات المحسوسة. و قد تكتمل فكرة تأملية بحلم يقظة متخذة في النهاية طابعاً شعرياً. إنّ الفكر تجميع و تركيز، و الشعر توزيع و توسيع، و هما حركتان متعاكستان و قد يتناوبان، و قد يتداعيان، و لكنهما يتنافيان بالضرورة. إن الشعر يبدأ دوماً منذ اللحظة التي يقف فيها التفكير و يحلّ محلّه حلم اليقظة » (22).

إنّ الدلالة النصيّة - و بخاصة في الشعر - لا يمكن أن تكون كل شيء. إنها مجرد عنصر بنائي من بقية مكوّنات البناء الشعري للقصيدة، و بناء القصيدة عملية جدّ متداخلة، إنها فكرية و نفسية، و رؤية إبداعية شمولية في آن، فـ « أجمل الأشياء و أنبل العواطف و أعظم المواقف لا تشكّل أثراً فنياً إذا نقلت نقلاً، فإذا بهرتنا منقولة لم تكن عظمتها متولّدة من فنيتها بل من خصائصها التي أُمكِنَ نقلها. و النقل تأريخ ناقص أما في الفنّ فلا بُدّ من إبداع علاقة، من توليد حركة تتجادل فيها العمومية و خصوصية الرؤية أو خصوصية اللحظة. الواقع الراهن و الواقع الممكن، صورة الشيء الحيادية و الصورة الحلميّة الإنسانية. بل إنّ أغرب الأحلام

لا يشكل أثراً فنياً إذا نقل حرفياً لأنّ نقله الحرفي يبقيه أسير حالته الانعكاسية و لا بدّ أن يتجاوز هذه الحالة الخاصة إلى محاورة العالم كي يكتسب الحضور الفني»(23).

يقول الشاعر يوسف الخال في قصيدة بعنوان الحرية:

« ويحَ أَشّور ! كم سكبتُ بها الدمع،
و غيّبت في ثراها النفوسا،
رافعاً فوقها من المجدِ مُلكا
يتحدّى - إذا تُطلُّ - الشموسا
أيُّ ملكٍ على العبوديةِ العمياءِ
يُبنى، و ما أذلّ و ديسا:
سلْ أشوراً، و رومةً ، و الفراعينَ،
و كسرى - سلْ نينوى، و المجوسا،
و الأولى طرّقت جيادُهُمُ البحرَ،
و صبّت نعالها هندوسا.
أيُّ ملكٍ كذاكَ يُبنى على القوّة
يبقى، فلا يزول و يبلى:
أينَ مجد العربان بعد ازدهارٍ
حطَّ في قمّة الجلال و حلاَّ ؟
أين جنكيزُ فاتحُ الشرقِ و الغربِ،
نذيرُ الهلاك أنّى أحلاَّ ؟
أين « تيمور » قاهراً، و السلاطينُ
غزاةً، « والبونابرتيّ » مولى ؟»(24).

الشاعر يوسف الخال يريد هنا أن يؤكد فكرة جوهرية، وهي أن المُلْكَ الذي يستمد أساس وجوده من الجبروت و الطغيان و التسلط هو مُلْكٌ زائل، و أن أساس قيام المُلك الحضاري هو تكريس الفكر و الحرية. و أن الطغاة و الجبابرة مهما وصلوا إلى قمة المجد و العظمة و القوة فإنهم في النهاية ظل زائل، و أن العقلَ و الفكرَ هما السيدان المُتوّجان الباقيان في تاريخ الحضارات الإنسانية، و لكي يؤكد هذه الفكرة الجمالية، فإنه يلجأ إلى الشخصيّات التاريخية التي عُرِفت بجبروتها و سطوتها، و تسلطها، و ينتزعها من حقلها التاريخي و المعرفي، ليلصقها بالقصيدة لتأكيد فكرته، إنها شخصيات وظيفية يدفعُ بها إلى القصيدة لإبراز الفكرة و استخدام هذه الشخوص التاريخية الكثيرة لا يتعدى حدودَ ما تبرزه من قيمة فكرية و حقيقة تاريخية، و بعد أن ينتهي الشاعر من سرد هذه الشخوص، يقرّر فكرته:

« هكذا يمّحي ظلام الليالي
و يفيءُ الصَّباح مهما تولَّى
....

فتحكمت بالطبيعة، فانقادت
إلى فكرتي، سريعاً، و فكري
فإذا العقل سيِّدٌ و الأمانيُّ
حبالى بكلِّ حبِّ و خير .»(25).

و يؤكد سيادة الفكر، فلقد ساد فكر أثينا و حكمتها النيّرة، بينما زالت عروش الطغاة:

« يا لفتح للفكر فتح أثينا،
أين منه فَتح السيوف البواتر ؟
تمَّحي دونه العروش، و يفنى
كلّ طاغٍ على الشعوب و قاهرْ.
يا لفتحٍ للفكر، مهّد للحقّ
سبيلاً، و زفّ خير البشائر »(26).

و لو حاولنا أن نتابع آراء يوسف الخال ناقداً و مفكراً، لوجدنا أنّ هناك قطيعة معرفية بين ما يطرحه من فكر نقدي، في كتاباته التنظيرية لحركة الشعر الحديث، و بين رؤيته الإبداعية التي تتجلى في نصوصه الشعرية، مع ملاحظة أنّ هذه القطيعة ليست عند يوسف الخال فحسب، بل هي عند أكثر الشعراء الذين نظّروا لحركة الشعر الحديث، و أبدعوا في تشكيله في آن. يقول يوسف الخال: « الشاعر الحقيقي لا يلجأ إلى القوالب و الأشكال للتأثير على قرّائه، و لا يطمح إلى أن تكون هذه، رغم بيانها الرائع و شطارتها اللغوية، سبيله إلى التجديد، بل يغوص إلى أعماق نفسه، و يخرج منها بتجربة تأخذ في التعبير عن حجمها الحقيقي، و ألاّ يصبح التعبير النظري منقولاً لا صلة له بصدق التجربة و حقيقتها»(27).

و حدود الشعر و رسالته عنده، لا تتعدى عملية خلقه و إبداعه، يقول: « الكلام على رسالة الشاعر في المجتمع كلام هراء، بل هراء كل كلام عن غايةٍ للشاعر الأصيل غير عملية الخلق ذاتها. و هذا يكفي، و نتائجه على المجتمع أو الإنسان لا شأن للشاعر بها»(28)، لكنّ هذه الرسالة تظهر واضحة، و يغلب عليها الطابع الإيديولوجي العقائدي في أعماله الأولى: الحرية 1945، و هيروديا 1953.

و نأخذ مثالاً شعرياً آخر. يقول الشاعر أدونيس في مقطع بعنوان « سحر »:

« رقَصت بين جفوني الخائفة
جثة الليل و حِرباء المدينة،
فتقنّعتُ بعشتار الحزينة
و رسمتُ العاصفة »(29).

و لا تتعدى القيمة الجمالية لأسطورة عشتار هنا، إلا بكونها تشير إلى الحزن الشفيف في ظل أروقة الليل المرعبة، و أحوال المدينة المتبدلة بوجهها الحرباوي، و الذي تنفر منه الذات الشاعرة. إن فكرة الحزن فكرة جسّدتها أسطورة « أدونيس و عشتار» من خلال بكاء عشتار على أدونيس حين نزوله إلى العالم

السفلي، و قام الشاعر أدونيس بنقلها إلى قصيدته، لتشير إلى الحزن و تكتفي بدلالته على المستوى الفردي عنده.

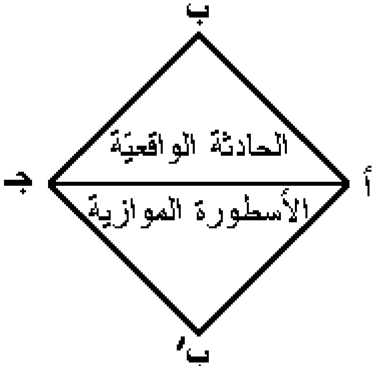
و من الأعمال الشعرية التي استفادت من القيمة الفكرية للشخصية التراثية، و نقلتها من حقلها التاريخي، لتصبّها في قالب شعري و درامي، قصيدة بعنوان « صوفيّ زاهد »، للشاعر التونسي نور الدين صمود. يقول الشاعر:

« سفيان الثّوري .. رجل صوفيّ زاهد
ذاعت شهرته في الآفاق
حتى بلغت أسماع المنصور
ثاني خلفاء بني العبّاس
فدعاه المنصور إلى القصر و قال:
« اطلب ما شئت أبا عبد الله.
إنّي أقضي حاجاتك مهما كانت
فأجاب أبو عبد الله الثّوري:
أو تقضي حاجيّاتي مهما كانت ؟ ! »
فأجاب الصوفيّ الزاهد: « أطلب شيئين اثنين:
- لا تطلبني حتى آتيك
لا تمنحني شيئاً حتى أطلبه منك ».
و توارى من فوره، من قصر المنصور.
قال أبو جعفر
لمّا خرج الصوفيّ الزاهد من قصره:
« ألقوا الحَبَّ إلى كلّ العلماء
فحنَوا للحَبِّ رؤوسهمُ
مثل الطير الجوعان.
...
إلاّ سفيان الثوريّ
فلقد أعيانا زهداً
و لقد أعيانا هربا ».» (30).

و بالرغم من شفافية النقل، و وضوح اللغة الشعرية، فإنّ الشخصية التاريخية بقيت أسيرة الرؤية التاريخية، و الحدث التاريخي، و لم ترتبط بدلالات أخرى، و رؤى إنسانية معاصرة. بقي التاريخ أسيراً لحقله المعرفيّ، و الشاعر لم يشكّل رؤية إبداعية، بل صاغ الحادثة التاريخية بلغة سهلة معاصرة لا غموض فيها.

إنّ « المقصود من إفادة الشعر الحديث بالأساطير القديمة هو خلق حادثة معاصرة موازية في بعض تفاصيلها للحادثة القديمة، بحيث تخلق هذه الموازاة انطباقاً بين ظلّ الحادثة القديمة و ظل الحادثة الجديدة، فيتكوّن عمق يشعر القارىء بعظمة التجربة الإنسانية و استمرارها. و بتعابير الهندسة نقول أنّ خطّاً وهمياً يسقط

من الحادثة القديمة إلى أسفل التاريخ، فينتج من هذا الامتداد عمقٌ عن طريق الموازاة في الزوايا بين الحادثة القديمة و الحادثة الجديدة دون حاجة إلى ذكر الأسماء و الصفات، بحيث تكون شخصية (ب) البطل الجديد مطابقة في مضمونها و حركتها للبطل القديم (ب´) سواءً أورد ذكره أم لم يرد، كما هو مبيّن في الشكل التالي:



و كل خروج عن هذه الموازاة المتخيلة يفسد الشعر بحشو من أسماء و شروح و حوادث لا طائل وراءها، تمتص الطاقة الشعرية، و تعيق حركة المخيلة المبدعة، و تجفف تدفق الروح الغنائية »(31) .

إنّ هذه الموازاة تشكّل رؤية شعرية معاصرة يستفيد منها الشعراء في أنسنة أخبار الأبطال الأسطوريين و مواقفهم الفكرية، و تطويع هذه المواقف لصالح المفهومات الجديدة، و القيم الحضارية الجديدة، التي تغنّى بها الشعراء الجدد.

و من المظاهر السلبية لاستخدام الأسطورة أيضاً، افتقاد الشاعر إلى الرؤية الشاملة لدلالات الأسطورة و أبعادها، و عدم النجاح في اختيار الشخصية الأسطورية أو التاريخية، مما يؤدي في أحيان كثيرة إلى ظهور حالة من العجز، في فهم و تمثل الموقف الإنساني المعاصر، و بالتالي: « إذابته في شبيهه الأسطوري، ليكوّن الكلّ الذي يعطي الإحساس بالصدق التلقائي »(32).

إنّ إيجاد علاقة وشيجة فكرية و رؤيوية على مستوى الفن و الموضوع، بين الموقف الإنساني المراد التركيز عليه، و الموقف الأسطوري، باعتباره موقفاً ميثولوجياً و تاريخياً يقتضي بالدرجة الأولى: « البحث عن السمات الدالّة في الشخصية أو الأسطورة، و أن يربط ربطاً موفقاً بينها، و بين ما يريد أن يعبّر عنه الشاعر من أفكار، و يراعي في ذلك أيضاً « الحداثة » و « السمة المتجددة » التي تحملها الشخصية التاريخية أو الأسطورية،

فبعض الشخصيات التاريخية أو الأسطورية، لا تصلح موضوعاً معاصراً على الإطلاق، و ذلك لانعدام السمة الدالة فيها، و من هنا تنشأ الصعوبة، ذلك لا بدّ للشاعر من قراءة التراث قراءة عميقة من خلال رؤية علمية فلسفية شاملة (84).
يقول الشاعر عبد الوهاب البياتي في قصيدة بعنوان: « إلى مالك حداد »، من ديوان النار و الكلمات :

« أقسمت يا جزائري الجديدة
أن أعبر المخاض
أن أنهض الليلة فوق الدم و الأنقاض
أن أجمع النجوم و المحارْ
إليكِ من شواطئ البحار
أقسمت للإنسان
للأمل الجديد في وهران
لأحرف القصيدة
أقسمت يا جزائري الجديدة
أن أحمل الصليب
أن أطأ اللهيب »(34).

أن يُحمل الصليب في ظل ثورة جزائرية مات فيها مليون و نصف مليون مواطن، تلك مفارقة حادة. إنّ الثورة برجالها و المتعاطفين معها، بحاجة لأن تحمل مدفعاً و رشاشاً بدلاً من الصليب، و المفارقة الأخرى تكمن في أن يحمل المواطن الجزائري الذي هاجمته فرنسا بطائراتها و قواتها الشرسة و ذبحت منه مئة و خمسة و أربعين ألف رجل و امرأة و طفل في مذابح قالمة و خرّاطة و سطيف عام 1948، و خلال ثلاثة أيام فقط، صليباً و يطأ لهيباً في آن. و إذا كان المسيح رمزاً للمعاناة الإنسانية و النبل البشري و التسامح الإنساني بين بني البشر، فإنّ توظيف إشارة دالة عليه « الصليب » في مجال الصراع الحاد بين أشرس القوى الاستعمارية و بين شعب مضطّهدَ و مستعمَر ـ بفتح الميم ـ يبقى توظيفاً غائماً، و لا يبلغ إلى الهدف الذي أراده الشاعر، و يفتقد إلى الرؤية الثورية التي يفرضها المنطق الثوري في ظلّ الصراع المصيري بين الخير و الشرّ.

و لا يعني توظيف هذه الإشارة الدالة على الشخصية التاريخية المقدسة « المسيح » أنّ البياتي ليس متضامناً مع الإنسان في ثوراته العادلة، بل تقف أكثر قصائده التزاماً و تضامناً مع شرفاء العالم و مظلوميه. « و لعلّ البياتي ـ بين جيل رواد الشعر الحديث ـ خير مَنْ يمثّل منهج الالتزام باطراد خلال معاناته الطويلة، و كتاباته المتفرقة حوله »(35).

ويقول الشاعر صلاح عبد الصبور في قصيدة له بعنوان « أبي »:

« لِمَ يبدو الموتُ في منزلنا
قدراً لا يخطئ ؟
و أبي يثني ذراعَهُ كهرقل
ثم يعلو بي إلى جبهته و يناغي

تارة رأسي و طوراً منكبي

...

و نرى طلعتَهُ بينَ الضباب

و أرى الموتَ، فأعوي يا أبي !

و أتى نعيُ أبي هذا الصباح

نام في الميدان مشجوج الجبين »(36).

فـي القصـيدة يبكـي طفلٌ أبـاه الميـت، فيصـفه كهرقل، إن الصـورة هنـا لا تحتاج إلى هذا التشبيه الأسطوري، ولا سيما و أن الأب من خلال ذكريات الطفل عنه من أسرة فقيرة بائسة، يقول الشاعر:

« و أتينا بوعاءٍ حجري

و ملأناه تراباً و خشبْ

و جلسنا نأكل الخبزَ المُقَدَّدْ »(37).

بلا شك أنّ من حقِ أي طفلٍ عربي أن يصف أباه أنـه كهرقل، باعتبـار أنّ الأب يمثل نموذجاً أعلى و أسمى بالنسبة لهذا الطفل، و من حقّ الشاعر أن يجسّد هذه الفكرة، لكن نلاحظ أن ثمـة قطيعـة بين الموقف الإنساني الـذي يريد الشاعر صلاح عبد الصبور التعبير عنه، و بين الموقف الأسطوري، فالموقف الإنساني المعاصر موقف الضعف و الجوع و الفقر في ظل أزمنة سوداء، في حين أن الموقف الأسطوري هو موقف القوة و الجبروت و التفوق بكل أبعاده.

و إذا كانـت الرؤيـة الشـعرية تتمـاهى و تختبـئ وراء صـورة الطفـل فـي القصيدة من خلال تداعيات هذا الطفل و ذكرياته، و موقفه الفاجع من موت أبيه، فإنّ طبيعـة الشخصـية الأسـطورية التاريخيـة هنـا، لا تصـلح لتمثـل الموقـف الإنسـاني و التعبير عنه، و لا تتفق مع رؤية الشاعر و موقفه الفكري و الإنساني المتعاطف مع هـذا الطفـل فـي فاجعتـه بفقـدان والـده، و «المفروض ـ ما دام الشاعر قد اختار للقصيدة أن تدور على لسان شخصية تعتبر معادلاً لأفكاره و عواطفه ـ أن يوائم بين طبيعة هذه الشخصية و ما تقولـه، و أن يبلـغ بهذه المواءمة إلى مداها»(38).

و أحياناً تطغى « الأنا » عند الشاعر، و تتضخم، إذ يعمد الشاعر بشكل مباشـر أو غيـر مباشـر إلـى تضـخيمها، و ذلـك عـن طريـق مباهاتـه و استعراضـه لغزارتـه الثقافيـة و الفكريـة، و معرفته بـالتراث و التـاريخ و الأسطورة، و هنـا يبدو استخدامه للأسطورة مجرد استعراض معرفـي، و مباهاة بغزارة ثقافتـه، و هكذا صُدمنا ـ علـى حدّ تعبير أحد الدارسين « ببروميثيوس و سيزيف و عشتار ممسوخين في معظم القصـائد العربيـة، حيث وُضعوا كلافتات لعرض العضلات الثقافية بدون أن تكون هناك تجربـة أصيلة تربط الإسم المذكور بحنايا القصيدة »(39).

و مـع بـروز و تضـخّم « الأنـا الشـعرية »، تظهـر الرغبـة الجامحـة فـي استـخدام الأسـطورة، و ذلـك إعـلاء لشـأن « الأنـا » المعرفـي و الثقـافي، و تمهيـداً

لـدخولها في العصرية
و الحداثة و السباق المعرفي مع الغير، إمّا بتقليده و إمّا بتجاوزه، فتأتي هذه الرغبة تأكيداً مفتعلاً « للأنا » المعرفي و الثقافي، و بالتالي تشكّل خطاباً شعرياً مباشراً و تقريرياً للعصرية
و الحداثة التي ترغب « الأنا » بدخولها.

و لذا نجد كثيراً من الأساطير المستخدمة و قد « أُقسرت على الدخول في بناء القصيدة، دون تمثُّل لها و لأبعادها فوضح أنّها دخيلة قلقة في موضعها، أو أنّها جاءت أحياناً لا تؤدي سوى وظيفة تفسيرية و توضيحية، شأنها في ذلك شأن كثير من التشبيه في الشعر القديم، و أحياناً كان رصّ نماذج منها في نطاق واحد لا يقدم شيئاً سوى الشهادة على الدرجة الثقافية للشاعر، و لذلك قلّما ينبض الرمز بالحياة و تتشعب عروقها به » **(40)**.

و نأخذ نموذجاً لهذا الاستعراض المعرفي قصيدة للشاعر سليمان العيسى بعنوان
« عودة شهرزاد ». يقول في أحد مقاطعها:

« الشاعر: وأينَ كنتِ ؟
شهرزاد: على أُرْجُوعةِ القصبِ
تَموَّجَتْ في شعابِ النّخل أغنيةٌ
فغبتُ فيها ..
الشاعر: خذيني ..
شهرزاد: « في جد »:
لستَ للهربِ
مُسَمَّرٌ أنت في الصحراءِ متحِدٌ
بالأرضِ، ممتزجٌ بالكأسِ و العنبِ
بالحزنِ يحمِلُ تاريخاً برُمَّتهِ
في منكَبيه .. و حُلما في جفون نبي
مُعَذّبُ أنتَ ..
مصلوبٌ على حُلُم ..
الشاعر: أنا الذي اخترتُ ..
شهرزاد: واصِلْ رحلةَ السَّغبِ
لا تنشُدِ الظلّ، لا تحلمْ بزنبقةٍ
على الطريق .. تشرَّدْ وحدَكَ .. اغتربِ !
اقبض على الريح و اسقِ الظامئينَ بها
و أطعِمِ الجوعَ و الجوعى دَمَ الحِقبِ
...
تَمزَّق وَحْدَك اغتربِ !
لا .. لستَ للهربِ
لا .. لستَ يا شاعرَ الأصفادِ للهربِ »(41).

حتى يعبّر الشاعر سليمان العيسى عن رؤيته الخاصة و يقدّم نفسه على أنه ثائر كبير و معروف، يقف في صفوف الجياع و مع المظلومين، و أنه ملتصق بالأرض، لم يجد إلاّ شهرزاد، فيجعل منها سُلّماً يصعدُ فوقه إلى جماهيره، فيستعير صوتها، ليبرزَ نفسّه، و ينتزع شهرزاد من حقلها الأسطوري و التاريخي، ليجبرها على الدخول في فضاءاته الشعرية، التي تركّز تحديداً على بروز « الأنا » الشعرية عنده، فيحشر نفسّهُ مع شهرزاد بشكل تقريري لا علاقة له بطاقات الشعر الرؤيوية الرحبة، إنه يرجوها أن تعترف له بأنه شاعر الالتزام، و أنه ليس للهرب، و أنه مُتفَرِدٌ و مغترب، و متباين عن المجموع الإنساني، فهو المدافع عن قضاياهم و هو شاعر الأصفاد و هو الذي يحمل أحلام الأنبياء و أحزانهم، و تعترف شهرزاد له بكل ذلك مُجْبَرة، فتأتي الرؤية الشعرية تقريرية، وتترهل بالرؤية الإيديولوجية، إنه يرجو شهرزاد أن تقول له « تشرد وحدك .. اغترب »، و « تمزق وحدك اغترب ». ليس الشاعر سليمان العيسى وحده المغترب، إنّ كل الجماهير العربية مخنوقة بالاغتراب و الحزن و اليأس، و حتى لو اغترب فإنّ اغترابه سيظلّ فردياً، لأنه يحمل أعباء التاريخ برمته، و في جفونه تنام أحلام الأنبياء.

إن « اغتراب الشاعر السوري ليس اغتراباً إنسانياً على مستوى رفض الحضارة، بل هو على الأغلب اغتراب فردي أو جزئي أو مؤقت، يظهر حيناً ليختفي حيناً آخر، و يتشكّل أشكالاً مختلفة تبعاً للظروف العارضة التي تخلقه. إنه ليس اغتراباً مبدئياً، ينطلق فيه الشاعر من نظرة عامة إلى الحياة مبنية على عقيدة راسخة توجّه هذه النظرة، بل مجرد اغتراب رومانسي يستعذب فيه الشاعر النفي و الغربة بتأثير حدث خارجي مؤقت أو صفة نفسية متأصلة فيه، و هكذا يمكن للشاعر أن يبكي في سبيل حادث فردي، و إن كانت أمته تضحك للحادث نفسه »(42) .

و في قصيدة أخرى يجعل من نفسه ذاتاً متعالية، متفوقة على الزمان و التاريخ، فيستدعي الفرزدق، و جريراً و الأصمعي، و شهرزاد الجميلة إلى خيمة الأصمعي، و ينصّب نفسه أستاذاً، و يعطيهم النصائح، و يدعوهم إلى تغيير وجه التاريخ، باعتباره حاملاً لشعلة هذا التاريخ، تساعده في ذلك شهرزاد:

« الأصمعي: « لشهرزاد » ..
صديقتي .. عنك أخذنا الرؤى
منكِ تعلّمنا عطاء السُّهاد
جرير: « للفرزدق » .. رائعة كالصّبح ..
...
الفرزدق: « متمتماً »: يا جسداً لو مَلَكْتُهُ يدي
نقعت منه غُلَّ حرّان صاد
الشاعر: « لنفسه »: يا شرقنا المسكين ..
على مدى الدهر و كرِّ السنين
يعيش في لحم امرأة
يموت في لحم امرأة
خياله، و عقله الحزين

.... (43).

شـهرزاد: « للأصـمعي »: مـاذا يقـول الليـل ؟ مـاذ

تقول

أيّامك الغرُّ .. ذوات الحجول ؟ (44).

الأصمعي: لم يبقَ في الكوب سوى قطرة

أقمارنا الخضر طواها الأفول

الشاعر: « مقاطعاً »: شرارة من عصرنا جئتكم

لنشعل التاريخ ..

الأصمعي: دربٌ يطول

حلم يهون العمر من أجله

أنْ يُشْعَل التاريخ .. حلم يهول

عظامنا باردة في الثّرى

فلا تطيلوا المكث فوق الطّلول

شهرزاد: لا تيأسوا ..

...

الشاعر: « في تصميم »: سنشعل التاريخ ..

شهرزاد: لا تيأسوا !

الأصمعي: و لا تطيلوا المكث فوق الطّلول »(45).

آثرت أن أطيل المقاطع الشعرية التي أخذتها من القصيدة، حتى يتضح الخطاب الذي أراد الشاعر سليمان العيسى فرضه على شهرزاد و اعتبارها مصلحة و ناقدة تعيب على الشاعرين « جرير و الفرزدق »، اهتماماتهما الجسدية بها و بغيرها، و بالتالي تعيب على التراث الشعري العربي القديم مثل هذه الاهتمامات، و من خلال الاتكاء على شهرزاد، يبرز صوت الشاعر تقريرياً ليدين الشرق و الأمّة العربيّة المعطّلة طاقاتها، و ملكاتها العقليّة و الإبداعية، و المهدورة في أجساد النساء، و ينتزع الفرزدق من تاريخه الشعري، و يجبره لكي يتشهّى شهرزاد، و يطمع في جسدها المثير. فشهرزاد في هذه القصيدة لا تتعدّى أن تكون مثالاً وظائفياً (46)، و سلّماً يصعده الشاعر لإدانة الشرق و إبراز ذاته باعتبارها ذاتاً تتعالى على هذا الشرق.

إنّ شهرزاد من خلال حكاياتها الجميلة في ألف ليلة و ليلة تمثّل طاقةً من التخيّل الإبداعي و السحري، إذ يغيب الزمان و المكان، أمام أفق القصّ الرحب الممتد من بغداد إلى واق الواق إلى الصين و الهند و أماكن أخرى، لكنها عند الشاعر سليمان العيسى لا تتعدى أن تكون لفظة أو تسمية أو إشارة يشكّلها الشاعر كما يشاء، و يجبرها أن تقول ما يمليه عليها، و بالتالي يعطّل طاقاتها التخيليّة و الأسطورية الثرّة. إن الشعر « يتجاوز الاستعمال النفعي للّغة، و لا يخضع لنفس قواعد توليد المعنى التي تخضع لها بقية النصوص الأخرى. لأن الشعر لا يلجأ إلى العلاقة المباشرة بين الإشارة و الدلالة، بل يحاول الإطاحة بها و يخلق توتراً في علاقة الإشارة بدلالتها اللغوية المألوفة.»(47).

ثمة سؤال يطرح نفسه: هل يعني توظيف الأسطورة في الخطاب الشعري العربي المعاصر لمجرد نظمها و التعريف بها، و إعادة تشكيل بنائها القصصي في قالب شعري، أو قسرها للدخول على بنية القصيدة لتكون أداة وظيفية يتّكيء الشاعر عليها لفرض ما يريده ؟. إذا كان ذلك هدف الشاعر فإن القصيدة الشعرية لا يمكن أن تشكّل خطاباً إبداعياً، لأنّ هذا التشكيل لا يتعدى أن يكون محاكاة نصيّة لبنية الأسطورة القديمة. و في هذه الحالة تبدو استفادة المتلقّي من الأسطورة القديمة أفضل بكثير فيما إذا تعرّف عليها ودرسها في مصادرها الأصلية، بدلاً من التعرف عليها و هي موظّفة توظيفاً شعرياً. فالقارىء المتذوّق للقصيدة الشعرية لا يهمّه هذا التكرار المملّ للشخوص الأسطورية و التاريخية، و لا للوظيفة التفسيرية التي يقوم الشاعر بالتأكيد عليها بقدر ما يهمّه هذا العالم الجمالي الإنساني الذي يمكن أن يُتخيَّل من جراء توظيف الأسطورة.

و من بين المظاهر السلبية لاستخدام الأسطورة في الخطاب الشّعري العربي المعاصر، حشد الكثير من الرموز الأسطورية و التاريخية و الأقنعة الفنية داخل النص الواحد، بحيث تبدو أسطورية مرّة، و أخرى تاريخية، و تنتمي إلى فضاءات مكانية و زمانية بعيدة جدّاً أو قريبة، و يحشد الشعراء هذه الرموز لاعتقادهم أنّهم يعملون بحشدها على تأسيس اقتصاد لغوي في لغة الخطاب الشعري، و على تعميق رؤيتهم الشعرية و زيادتها بعداً فنياً، لكنّ هذه الرموز الكثيرة المتجاورة تقسر الفضاء الشعري على احتوائها بدلالاتها الوظيفية و الغائيّة، عندها يقصر مدُّ الرؤية الشعرية، و يترهّل الفضاء الشعري بهذه الشخوص الكثيرة التي تفقد قدرتها بالتالي على الإيحاء، و إذا فقد الرمز قدرته على الإيحاء يصبح مجرد لغة عادية، بل مفتعلة في أحيان كثيرة، و « لغة الشعر بطبيعتها لغة رمزية تحوّل المفردات من عالم المعجم إلى عالم السحر والأسطورة بالمعنى العميق الشامل، حيث تصبح المفردات بذاتها كائنات »(48).

و لا يكون الرمز قادراً على الإيحاء إلاّ إذا لامسّ الجوهر، و كشف عن البنية العميقة لهذا الجوهر، و تخطّى حدود اللفظ العادي و التسمية و الإشارة التاريخية، كما يرى الشاعر أدونيس**(49)** حين حديثه عن الرمز: « فهو يكاد أن يكون في معظم هذا النتاج مجرد تسمية، مجرد إشارة تاريخية، مجرد لفظ، حين لا ينقلك الرمز بعيداً عن تخوم القصيدة، بعيداً عن نصّها المباشر، لا يكون رمزاً، يصبح رمزاً حين يتيح لنا أن نتأمل شيئاً آخر وراء النص. فالرمز هو قبل كل شيء معنى خفي و إيحاء. إنه اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة، أو هو القصيدة التي تتكون في وعيك بعد قراءة القصيدة. إنه البرق الذي يتيح للوعي أن يستشفّ عالماً لا حدود له، لذلك هو إضاءة و اندفاع نحو الجوهر ».

و تمتلئ القصيدة العربية المعاصرة بحشد من أسماء الشخوص الأسطورية

و التاريخية التي تبدو مُفتَعَلة في كثير من الأحيان مما يفقد الرمز إيحاءه العميق، و لا يتعدى كونه مجرد لفظ، فبدلاً من أن ينفتح الفضاء الشعري في القصيدة على آفاق

الحلم و التخيّل الإبداعي فإنّه يترهّل بهذه الأسماء الكثيرة. يقول الشاعر يوسف الخال في المشهد الأول من هيروديا:

« هيروديا (مقاطعة): حسب تامار!
فأزكى من الطيوب خصالي:
هل « لحوّاء » يوم آدم إغواء
و شوقي إلى ارتياد المحال.
أم « لسارة» بعض الذي وهبت نفسي
و أملى على الزمان وصالي،
أم « لراحيل » زهوة الحبّ في قلبي
و ديباجة الصّبا في جمالي
...
أم « لإستير » رونقي. و ارتداد الشمس
عن طلعتي. و فرط جلالي
...
أم « لإيزابل » الدخيلة شيء
من صدود العذراء في إقبالي
...
و لو رآني سليمان
أما جُنَّ قلبه لدلالي
...
لا شلمّيث تدّعي حبّه بعدي
و لا الألف من ذوات الحجال»(50)

يريد الشاعر يوسف الخال أن يؤكّد جمال هيروديا المذهل، و مدى تأثيرها على هيرودوس ملك الجليل، فيتكئ على صور عديدة لنساء كان لهنّ دورهنّ المتميّز في التاريخ الذكوري، بفعل طغيان سحرهنّ الأنثوي، وتأثيره على الرجال المهمّين، و تصبح البؤرة المركزية في القصيدة هي تأكيد حالة الجمال هذه. فالفكرة بسيطة جداً، إنّ هيروديا ساحرة و جذّابة و كفى. و تبدو الشخصيات الأسطورية و التاريخيّة المحشورة داخل القصيدة عبئاً على فضاء النصّ الشعري، حتى أنّه يُدخل سليمان بن داود « النبي » في عالم النساء هذا.

إن توظيف الأسطورة هنا لا يتعدّى التشبيه، وتتضاءل قيمة الرمز الأسطوري، ليصبح مجرد لفظ، لا يتعدّى حدود التسمية والتشبيه، ومع تطور تقنيّات يوسف الخال الشعرية على مستوى الرؤية واللغة، ومع تجاوز القصيدة العربية المعاصرة لتقنيّات النظم الكلاسيكي والرومانسي، سيطوّر الشاعر يوسف الخال استخدامه للّغة، وبالتالي استخدامه للأساطير والرموز، باعتبارها بنية مهمة من بنى هذه اللغة، يقول الخال(51) : « قد تكون هيروديا آخر ما سأنتجه من أدب في هذا الأسلوب الشعري العتيق. فمن العبث الاستمرار في أساليب شعرية لا تصحُّ بعد الآن

للتعبير الكامل الطليق عن خوارج النفس. ولا أعني القوافي والأوزان فحسب، بل اللغة ذاتها أيضاً (...) فأزمة الحياة العربية إجمالاً هي أزمة لغة كما هي أزمة عقل. ومهما طال الوقوف في وجه الحياة. فلا بدّ عاجلاً أو آجلاً من الانصياع إلى نواميسها. وإلى أن يتمّ ذلك يظلُّ الأدب العربي المعاصر أدباً قديماً، مصطنعاً، محدوداً، لا يتجاوب مع نفس القارئ ولا يعبِّر تعبيراً صادقاً عن حياته».

ويُعْتَبر الشاعر بدر شاكر السيّاب أيضاً، من الشعراء المولعين بتكديس الرموز الأسطورية، فتارةً يستمدّها من الأسطورة اليونانية، وأخرى من رموز التراث المسيحي، وأحيانا من التراث الإسلامي، وتتشعب الحقول المرجعية للأسطورة في فضاءات بدر شاكر السيّاب الشعرية، فتبدو بابلية وفينيقية وسومرية، وعربية قديمة، وتصبح أحياناً صينية، كما في قصيدته « من رؤيا فوكاي » **(52)**، وأحياناً يُزيحها من حقلها التاريخي، ليشكِّلها تشكيلاً ميثولوجياً، وأحياناً أخرى يقوم بصياغتها من شخصيات عادية، وذلك بأن يخرج هذه الشخصيات من حقلها المألوف ليدخلها ضمن دائرة الاستخدام الأسطوري، ومن النماذج الأسطورية المتداخلة في أعمال السيّاب قصيدته المعنونة بـ « مرثية الآلهة»، وفي هذه القصيدة يدين المدينة الغربية لانعدام القيم الإنسانية فيها ولتقديسها للذهب، واعتباره سيداً وإلهاً لها، ومن خلال هذه الإدانة تتزاحم الشخصيات الأسطورية من مصادرها المختلفة، ليضيق بها فضاء النص الشعري. يقول في القصيدة:

«و يبقى « كربٌ » الجالب الكرب: كالصدى — يغض المنادي بالردى، و ه
كقابيل يغتال الأشقّاء، راكلٌ — -كأوديب- للخبز الإله
و هذا الإله الأملس الفظّ ما جلا — لنرسيس يجثو عنده و ه
سوى وجه نرسيس الرخامي، شابه — شحوبٌ يهوذيّ الـ[...]
و أوفى من الأرباب جيلٌ يئمه — على قمّة الأولمب ر
ترى « فحم » إذ يلقاه يلقاه راجفاً — و « فولاذ » من تلماح عيني
و يا عهد كنّا كابن حلاج : واحداً — مع الله إن ضاع الورى فهو

و هناك إشارات أسطورية أخرى في القصيدة لم أثبتها ضمن فضاءاتها الشعرية و داخل المتن، لئلاّ يطول الاقتباس الشعري، و هي: فرعون، و العنقاء، و تموز، و اللات، و ميدوز، و لم يكتف السيّاب بهذه الأساطير، بل شكّل أساطير أخرى لأرباب جدد، بأن جرّد الكلمة من معناها الاصطلاحي لتصبح دالةً على إله مثل « فحم » و « فولاذ »، و هما من أتباع الإله زيوس الجديد - الذي عنى به الذهب. و قد ساهمت هذه الأساطير المتباينة في جعل القصيدة نصّاً مغلقاً، و متكلف الصنعة، فبات الخطاب الشعري مجرد استعراض لمعرفة السيّاب بالأساطير، و ثقافته الموسوعية فيها، حضرت الصنعة، و غاب الشعر بأفقه التخيّلي، و فنياته الإبداعية، و يلاحظ الدكتور محمد فتوح أحمد **(56)** « أنّ وظيفة هذه الرموز لم تتعد حدود الاستعارة أو التشبيه الصريح، و أنّ بعضها يمكن اطراحه دون ضير فني يُذكر، و أنها جميعا

تنحو إلى التفسير بخلع بعض الشخصيات الخرافية أو التراثية على أشياء و شخصيات حقيقية، بحيث تحلّ الأولى محلّ الثانية على سبيل التبادل ».

و تحت ظاهرة هذه الحشود الأسطورية، التي برزت في القصيدة العربية المعاصرة نثبت المقاطع الآتية للشاعر السوري محمد حمدان من قصيدة له بعنوان « جلجامش يتقلّد سيفاً »، تقول المقاطع:

« في قاع البوغاز رماحٌ
يعطيها القوّة آداد و إنليل لتحرس سوراً

....

تغفو الشِّعرى بين ضلوع الفيض
بعيداً عن همجية ناماتار

....

نيسابا تطعم أهل القلعة
آنو يحرسهم

....

كنت أعيش بجوف الحوت المملوء سعالاً

....

غدوت مع الفينيق
أبحرت و أرشانابي
أفكر في ملكوت الشرق المتخم بالظلم
و سيدوري تسكره
إركالا تمسك جمّته

....

هل جئت لتطفئ شعلة عشتار و تموز ؟
أغرب عني يا مبعوث الشر

....

قال الفينيق: « بقية جلجامش في الأرض العربية»

....

دعه يتعلّمْ من عروة قرآن أبي ذر

....

صديق الرحلة أنكيدو
قتلته سجاح و مسيلمة الكذّاب على أبواب الغابة
جلجامش أضحى معزولاً و محاصر

....

لعلّ قصاصات آملة
تدعو ألاّ يركع وجه الشرق
لعجل الأصنام و ناب يهوذا و القسطنطينية

....

و الحلاّج تشقق مصحفه مذْ ضاع الركن الخامس منه

....

أكمات الليل تحاصر أنهار الوطن العربي
تبيع الطمي ليسكر ناماتار و سيدوري
تموت و لا تسأل عنها آيا
لا تخش الآتية فينيق
فجلجامش ليس عقيماً
شعب يحرق ذيل الطاووس و يحمل سيفاً
لن يقتله حمبابا
جلجامش حطّم حمبابا يوماً
جلجامش سوف يحطّم حمبابا يوماً » (57).

و حتّى يدين الشاعر محمد حمدان الواقع العربي الأسود بهزائمه و فجائعه وظّف معظم شخصيات ملحمة جلجامش، و لم يكتفِ بهذه الشخصيات، بل أخذ شخصيات أخرى من التراث الإسلامي سواء أكانت سلبية: « سجاح و مسيلمة الكذّاب »، أم إيجابية: « الحلاّج، أبو ذر، عروة »، و استفاد من أسطورة « فينيق »، و أسطورة « تمّوز و عشتار».

إنّ فكرة الرفض للبنى العربية السوداء، و إن كانت شديدة السواد و التمزّق لا تحتاج إلى كل هذه الحشود الأسطورية و التاريخية، إذ يمكن أن تتخلّص القصيدة من نصف رموز أسطورة جلجامش، و نصف رموز الشخصيات العربية، و تبقى محافظة على رؤيتها الإنسانية و الحضارية. إنّ هذه الحشود الأسطورية و التاريخية حوّلت الخطاب الشعري إلى خطاب إيديولوجي، و مقولات عقائدية، فطغت الإيديولوجيا، و ترهّل الفضاء الشعري بالحمولات اللفظية الأسطورية على حساب الفنية الجمالية.

و يرى د. رجاء عيد أنّ من سوءات الشعر الحديث الإلحاح على الفكرة الواحدة، و يضرب أمثلة لهذا الإلحاح بعض المقاطع للشاعر عبد الوهاب البياتي، في اتكائه على المعتقد المسيحي حينما يقول:

« يافا يسوعك في القيود
فالباب أوصده « يهوذا » و الطريق ... »
و « أنا هنا، وحدي، على الصليب ».
و « يا من رأى أحفاد عدنان على خشب الصليب مسمّرين ».
و « ... و هو يموت حاملاً صليبه و وطنه »(58) .

إنّ توظيف الأسطورة في الخطاب الشعري العربي المعاصر يعني إبداع مستوى من الترميز، قادر على تشكيل الشخصية التاريخية و الأسطورية تشكيلاً جديداً، و ليس لمجرد استعادتها فقط، فالاستعادة النصيّة هي استعادة ميكانيكية لا

تخدم الرؤية الشعرية بقدر ما تسطّحها. و« أن تسمي الشيء مباشرة معناه أنك تقضي على أكبر قدر من المتعة المستخلصة من قصيدة مثلاً، حيث أنّ هذه المتعة تتضمن في عملية الكشف التدريجي عن الشيء المقصود» على حد تعبير مالارميه(59). أما عملية الاستعادة الجديدة، أو التشكيل الجديد بالاعتماد على الرموز الإيحائية ذات الدلالات الجديدة و المعاصرة، فإنها قادرة على إحداث شبكة من العلاقات الجمالية بين الرمز و بين ما يطمح الرمز إلى تأكيده، بحيث يصبح الرمز شبكةً من التأويلات المفتوحة و المتداخلة في آن، لكنها قادرة على إحداث الخلل في البنى السائدة تمهيداً لتشكيل بنى جديدة، و الأسطورة التي لا تشكّل بنية جديدة قادرة على طرح مزيد من الأسئلة التي من شأنها أن توسّع أفق المخيّلة، فإنها تبقى مجرد لفظ أو إشارة لا تمتدّ و لا تنمو، بتعبير آخر إنها مجرد بنية نصيّة تفتقد إلى جماليات التوظيف أولاً، و إلى جماليات الحركة الشعرية شكلاً و مضموناً و رؤية من منحى ثانٍ، إنّ خلخلة المألوف والسائد و إحداث شرخ فيه، أمور باتت مهمة في الخطاب الشعري العربي المعاصر.

وهنا تبرز أهمية التوليد اللغوي، و أهمية التخيّل، و حتى لو أدّى ذلك إلى تبديل بنية الأسطورة القديمة ببنية جديدة سواء تفارقت معها أم ظلت متناصّة معها. و « يصبح الشاعر « صانع كلام »، فهو فضلاً عن كونه يفتح ذهن المتلقّي على رؤى جديدة، يقوم بخلق طرائق جديدة في التعبير يرفد بها النظام اللغوي »(60). و من أهم هذه الطرائق الجديدة: استخدامه طاقات الرمز و الأسطورة، و التاريخ الإيحائية، و بالتالي تشكيله لنظام لغوي يختلف عن نظام القصيدة التقليدية.

إن التجربة الشعرية الناضجة ثقافة و فنّاً لهي الخالقة للرمز و الأسطورة، و الصورة الشعرية، و بقية مكوّنات القصيدة، و عملية تشكيل الأسطورة في رؤية جديدة يتضمن موقفاً من دور الأدب و الفن في الحياة و المجتمع، و يتجسّد هذا الموقف من خلال استنفار التجربة الشعرية بعواطفها و أفكارها و مشاعرها المختلفة، و ذلك عن طريق التعامل مع اللغة التي هي المكوّن الرئيسي الأول لبنية القصيدة فكرياً و جمالياً، فـ« إذا كانت التجربة تنهض إلى اللغة وتختزنها هذه اللغة فإنّ ذلك يتم بواسطة الأساطير و الصور، و يمكننا في اللغة العربية أن نعثر على عدد كبير من الأساطير و الصور المَعِيْشَة التي تختزنها المفردات»(61).

إنّ مدى رهافة التجربة الشعرية و مكوّناتها تختلف من شاعر إلى آخر، و بالتالي فإنّ اللغة التي تعبّر عن هذه التجربة هي لغة متباينة، و لا تشكّل نسقاً واحداً، فلكل شاعر لغته الخاصة، التي تشكّل بنية هذه الرؤية. و « لكل شاعر أساطيره الشخصيّة، و نطاقه الطيفي، أو تشكيلته العجيبة من الرموز»(62).

و تبقى عملية توظيف الأساطير و الشخصيات التاريخية و التراثية في الخطاب الشعري العربي المعاصر عملية إبداعية، لأنها تشكّل النسق الشعري تشكيلاً جديداً، فالشاعر المجدد هو الذي يستطيع تشكيل أسطورته تشكيلاً فنياً من أُولى خصائصه أنه لا يحاكي النموذج الأسطوري أو التاريخي محاكاة حرفية، لأن هذا التشكيل يحاول أن يبدع من التاريخ

و الفكر الأسطوري ظاهرة فنيّة. ينزاح التاريخ ليصبح فكراً و فنّاً. و هذا التشكيل قد يبدع أسطورة جديدة أو شخصية تاريخية معاصرة، و قد يغيّر من الأسطورة أو الحادثة التاريخية القديمة، فيضيف عليها أو ينقص منها، أو يقيم بديلاً عنها مستفيداً من بنيتها ذاتها، و ذلك وفق قدرة الرؤية الشعرية على النفاذ إلى أعماق الحياة و الكون. و من نماذج هذا التشكيل قصيدة الشاعر ممدوح عدوان « خارجي قبل الأوان ». يقول فيها:

« ... و إذا الحلم الذي جاهدت حتى أصنعه
بين كفيَّ تحطّم
و خيول الخصم تغزوني بداري
و عليّ قابع في الصومعة
و إذا فتيتنا بين المجالس
تركوا السيف ليغشوا حلقات الذِّكْر و التسبيح حوله
... و عليّ أغلق الجنّة باباً إثر باب و تعمم
و أنا ما عدت أعلم
فيما أهرقنا دمانا و وقفنا في الطريق ؟
و تركنا نسوة الحيّ على الدرب رقيق !
حينما صحت بهم: « لا تبدلوا بالحرب أخبار الحروب »
قيل لي: « إن لم تجد ماءً تيمم » !
... قلت : « مولاي، تطلّع نحوهم »
لم يتكلّم.
قلت: « مولاي، أما قلت لنا: إنّ الجهاد - ».
قطع الحاجب بالسيف النداء !
وعلي صامت لا يتكلّم
و لذا أعطيت سيفي لابن ملجم !! ».»(63)

يؤكّد التاريخ أنّ الإمام علي بن أبي طالب(كرم الله وجهه)، ما تقاعس يوماً في الدفاع عن المسلمين و المظلومين و المُسْتَضْعَفين و نصرتهم، و دعا إلى الجهاد في مواقفه و خطبه إعلاءً لراية الحق و القيم الإنسانية العادلة، و حضّ قومه لرفع هذه الرّاية و الدّفاع عنها، و هو القائل:
« أمّا بعدُ فإنَّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنّة فتحه الله لخاصّة أوليائه. و هو لباس التّقوى، و درعُ الله الحصينة، و جنّته الوثيقة، فمن تركه رغْبةً عنه ألبسه الله ثوب الذلّ و شَمْلَة البلاءِ، و دِيْثَ بالصَّغَار و القَمَاء و ضُرِبَ على قلبه بالأسداد. » (64)
و يستثمر الشاعر ممدوح عدوان الموقف التاريخي، و يشكّله تشكيلاً جديداً، فتأتي الشخصية المعاصرة « علي »، متباينة عن شخصيّة الإمام « علي » التاريخية المضيئة،

و بوضعها الجديد من خلال الرؤية الشعرية المعاصرة، تصبح معادلاً لواقع الاستسلام و الهزيمة المعاصرة، الواقع الهشّ الذي يموت فيه الجهاد، و يصبح الصمت و الاستكانة من أبرز علاماته.

إنّ الرمز الإبداعي هو الذي يبعث في الظاهرة اللغوية نبضاً حيّاً متدفقاً بالجمال، قادراً على تشكيل رؤية تخيلية و إشارية عميقة في آن، و إذا فقد الرمز قدرته على الإيحاء يصبح مجرّد لغة عادية، بل مفتعلة في أحيان كثيرة.

و إذا كانت الأسطورة جزءاً من الماضي الثقافي و الحضاري للأمم و الشعوب، فإن دلالة الرمز الأسطوري ينبغي أن تكون متجاوزة للماضي، لأنّ هذه الدلالة تكتسب بعدها الإنساني بقدرتها على أن لا تخضع لبنيات الماضي، وأن تنفلت من سيطرته، و تأبى الخضوع له، و بالتالي فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتجربة الإنسانية و الجمالية للإنسان المعاصر في علاقته مع الحاضر بكلّ إشكالياته و بنياته وصولاً إلى مستقبل أكثر إضاءة. يقول الشاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة:

« الكلّ أقسم أن ينام
يا هذه المدن السفيهة
إنني الولد السفيه
لو كنت أعرف
أنّ الذين أتيتهم صبغوا الوجوه
و تلفّعوا بالصمت في هذا البلد
و أنا أريد بني أسد
قتلوا أبي و استأسدوا
ما عاد ينهرهم سوى الخيل الضّوامر و السيوف بلا عدد »(65)

من المعروف تاريخياً أنّ قبائل « بني أسد »، المعادية لامرئ القيس غدرت بوالده و قتلته، و حاول أن يثأر لدم أبيه، فاستعان بقبائل أخرى و بقيصر الرّوم، لكنّهم خذلوه.

و يستفيد الشاعر عز الدين المناصرة من الرؤية التاريخية القديمة، ليشكّل منها تجربة معاصرة تتعلق بالواقع العربي المعاصر، و تحديداً قضية فلسطين، فالقبائل العربية المعاصرة في مدنها السفيهة - و تحديداً أقطار الوطن العربي - خذلت الشاعر و لم تطلب الثأر لدماء الشهداء في فلسطين. و من خلال الحادثة التاريخية يتشكّل فضاء النصّ الشعري رؤيوياً و إنسانياً ليشير إلى فضاءات سياسية و اجتماعية معاصرة، يُخْذَلُ فيها الفرد و يُهان أمام جبروت أعداء الأمة وطغيانهم.

إنّ الرمز الأسطوري حينما يُوَظَّف بشكل فنّي و معاصر و غير مُفْتَعَل أو غائي، فإنّه يشيد عالماً من التخيلي و الجمالي، بعد أن يهدم الصيغة الماضوية، و يفتتها، و يتجاوزها ليبني مستقبلاً متخيّلاً في ذاكرة الجماعات الإنسانية، عن طريق استثمار إمكانيات هذا الرمز،

و تجسّده في رموز وطنية و تاريخية و إنسانية، جسّدتها شخصيات معينة لعبت دوراً هاماً في تاريخ الإنسانية، حتى استطاعت أن تكون حلماً و تاريخاً مضيئاً بحد ذاتها، و عالم الإبداع الشعري ليس عالم النموذج التاريخي و الأسطوري، إنه تجاوز للتاريخ و الأسطورة و الواقع، لكنه مستفيد منها في آن، فالخطاب الشعري الإبداعي منفلت صوب الحرية، و غير خاضع للقوانين، و كل محاولة لقولبته داخل أطر و قوانين معينة، هي محاولة آنية لتغييب إبداعه، و طموحه لأن يكون فعلاً ثقافياً مغايراً و مغيّراً في آن.

إن العمل الفني والإبداعي:

> **« تشكيل يواجه تشكيلاً، تشكيل جمالي يواجه تشكيلاً تاريخياً اجتماعياً. بناء يواجه بناء. إنّ الفنان يدرك واقعه جمالياً، و العمل الفني هو تشكيل جمالي لموقف من هذا الواقع. إنّ الفنان يواجه واقعه بتشكيل مقابل، يقهر - رمزياً - التشكيل التاريخي، و يعيد بناء الواقع الحقيقي. و لذلك فإنّ الفن - أكثر من أي ضرب آخر من النشاط البشري - يحرر الواقع من المثول و الثبات و الجمود، لأنه يقهر - رمزياً - الضرورة في الواقع - الطبيعة و المجتمع - ليصل بهذا الواقع إلى الحرية. إنه يقهر و يحرر جمالياً و رمزياً، ثم تأتي كل الأعمال و الأنشطة البشرية لتقهر و تحرر فعلياً »(66).**

إنّ إعادة بناء الأسطورة و توظيفها في النص الشعري وفق رؤية جديدة للحياة و العالم، عملية جدّ مهمة للتخلص من النموذج الماضوي المتعارف عليه. و قيمة التجربة الإبداعية تكمن بالدرجة الأولى في لحظة تواجدها و انبثاقها، و في قدرة هذا الانبثاق على تجاوز الماضي لبناء مجتمع الغد، انطلاقاً من الحاضر.

هوامش الدراسة ومراجعها

(1) - **خلدون الشمعة، النقد والحرية** ، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، الطبعة الأولى 1977 م، **ص 189.**

(2) - مجلة الفكر، تونس، السنة 29، العدد الخامس، فيفري، 1984 م، ص 62 -63 .

(3) - سليمان العيسى، شعر سليمان العيسى، المجموعة الكاملة، المجلد الثاني، ديوان كلمات للألم، دارالشورى، بيروت، الطبعة الثانية، صيف 1981 م، ص 629 - 630.

(4) - الخليفة الأموي.

(5) - د. رجاء عيد، لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف، الإسكندرية، الطبعةالأولى 1985 م، ص 204.

(6) - أدونيس، الآثار الكاملة، ديوان أغاني مهيار الدمشقي، دار العودة، بيروت، طبعة 1971 م، ص 377.

(7) - ب .كوملان، الأساطير الإغريقية والرومانية، ترجمة أحمد رضا محمد رضا، و مراجعة محمود خليل

النحاس، سلسلة الألف كتاب (الثاني)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1992 م، ص 238.

(8) - أدونيس، الآثار الكاملة، ص 345.

(9) - م، س، ص 351.

(10) - ب. كوملان، م، س، ص 239.

(11) - دراسات في النقد الأدبي، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية، حزيران، 1980 م، ص 179.

(12) - زمن الشعر، دار العودة، بيروت، الطبعة الثالثة 1983 م، ص 158.

(13) - المرجع السابق، ص 158 - 159.

(14) - ديوان عبد الوهاب البياتي، المجلد الثاني، دار العودة، بيروت، الطبعة الأولى، 1972 م، ص 321.

(15) - نفسه، ص 416.

(16) - نفسه، ص 414.

(17) - Iliade, Mirsea. Shamanism, Archaic Techniques Of Ecstasy, Translated From French By Trask, Willard. R. Princeton: University Press, 1972, P.510.

عن / د. أحمد شمس الدين الحجاجي، الأسطورة والشعر العربي .. المكونات الأولى، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, مجلد 4، العدد الثاني، يناير، فبراير، مارس، 1984 م، ص 44.

(18) - خلدون الشمعة، النقد والحرية، ص 114.

(19) - د.عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة, بيروت, الطبعة الخامسة, 1988م, ص 213.

(20) - ديوان بدر شاكر السيّاب، مجموعة أنشودة المطر، المجلد الأول، دار العودة، بيروت، طبعة 1989م، ص: 509، 510، 511، 512، 514، 515، 516، 529.

(21) - لغة الشعر، ص 332.

(22) - بول سوريو P.Souriau، الشعر والفكر، ترجمة د. ابراهيم الكيلاني، مجلة الآداب الأجنبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 24، السنة السابعة، تموز 1980، ص 129.

(23) - د. خالدة سعيد، حركية الابداع (دراسات في الأدب العربي الحديث)، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية 1982 م، ص 16.

(24) - الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان الحرية، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية، 1979/1/1 م، ص 103- 104.

(25) - نفسه، ص 105.

(26) - نفسه ص، 108.

(27) - الحداثة في الشعر، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى 1978 م، ص 88.

(28) - نفسه، ص 94.

(29) - الآثار الكاملة، ديوان قصائد أولى، ص 71.

(30) - نور الدين صمّود. مجلة الشعر، دار مجلة الإذاعة والتلفزيون، القاهرة، العدد السابع عشر، يناير 1980 م، ص 146.

(31) - محي الدين صبحي، الأدب والموقف القومي، دار الأنوار للطباعة، دمشق، الطبعة الأولى، 1976 م، ص 80 - 81.

(32) - د.أحمد كمال زكي، دراسات في النقد الأدبي، ص 179.

(33) - عبدالوهاب البياتي، تجربتي الشعرية، ، منشورات دار نزار قباني، بيروت، الطبعة الأولى، اكتوبر 1968 م، ص 34. ص 35 - 36.

(34) - ديوان عبدالوهاب البياتي، الطبعة الرابعة، دار العودة، بيروت، 1990 م، ص 507، المجلد الأول.

(35) ـ صالح جواد الطعمة، الشاعر العربي المعاصر، مجلة فصول، القاهرة، المجلد الرابع، العدد الرابع، سبتمبر 1984، ص 21.

(36) ـ ديوان صلاح عبد الصبور، مجموعة الناس في بلادي، المجلد الأول، دار العودة، بيروت، طبعة 1988 م، ص 26.

(37) ـ نفسه، ص 24.

(38) ـ د. محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر،الطبعة الثالثة، دار المعارف, القاهرة, 1984م، ص 318.

(39) ـ محي الدين محمد، الرموز عند بدر شاكر السيّاب، مجلة المجلة، القاهرة، عدد يوليو 1963 م، ص 88. عن / د. محمد فتوح أحمد، المرجع السابق، ص 319.

(40) ـ د. احسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، الطبعة الثانية, دار الشروق, عمّان, 1992م، ص 129.

(41) ـ شعر سليمان العيسى، المجموعة الكاملة، ديوان أغنية في جزيرة السندباد، م3، دار الشورى، بيروت، الطبعة الثانية، صيف 1981 م، ص 67 - 68.

(42) ـ د. أحمد بسام ساعي، حركة الشعرالحديث من خلال أعلامه في سوريا، دار المأمون، دمشق طبعة 1978 م، ص 444.

(43) ـ تم حذف بعض المقاطع الشعرية التي تبرز فيها رؤية الشاعر خطابية، و تقريرية مؤدلجة، وهي تدين الشرق المعطلة طلقاته في الجنس، و ذلك حتى لا يطول الاقتباس الشعري.

(44) ـ اشارة إلى أيام العرب، كما يشرح الشاعر.

(45) ـ سليمان العيسى، من قصيدة بعنوان: في خيمة الأصمعي، ديوان أغنية في جزيرة السندباد، المجموعة الكاملة، ص 92 - 93 - 94.

(46) ـ نستعير مصطلح المثال الوظائفي من فلاديمير بروب في تحليله للحكايات الخرافية.

(47) ـ هشام علي، نقد الشعر، اشكالية المنهج، مجلة الثقافة الجديدة، عدن، السنة السابعة عشرة، العدد السابع، ديسمبر 1987 ، ص 125 .

(48) ـ أحمد عبد المعطي حجازي، مجلة آفاق عربية، بغداد، السنة السابعة، العدد الثاني، تشرين أول،1981م، ص 115.

(49) ـ زمن الشعر، دار العودة، بيروت، الطبعة الأولى، 1972 م، ص 239.

(50) ـ يوسف الخال، هيروديا، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 126 - 127.

(51) ـ نفسه، مقدمة هيروديا، ص 119.

(52) ـ ديوان بدر شاكر السياب، مجموعة أنشودة المطر، المجلد الأول، من: ص 355 إلى ص 358.

(53) ـ كربّ Krupp، صاحب معامل الأسلحة الألمانية الشهيرة كما يفسره السياب، ص 349، من المجلد الأول.

(54) ـ يقول السياب في تعليقه: جرّدت من الفحم و الفولاذ شخصين لإلهين من الأرباب الجدد، أتباع زيوس الجديد ـ الذهب ـ و عاملتهما كاسمي علم، و منعتهما من الصرف، ص 354 من المجلد الأول.

(55) ـ أنشودة المطر، المصدر السابق، ص 349 - 353 - 354.

(56) ـ د. محمد فتوح أحمد، الرمز و الرمزية في الشعر المعاصر، ص 298.

(57) ـ محمد حمدان، بين يدي المحيط، دار الحقائق، بيروت، الطبعة الأولى 1992 م، من ص 33، 35 حتى ص41.

(58) ـ د. رجاء عيد، لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي, الطبعة الأولى, منشأة المعارف, الإسكندرية, 1985م، ص 238.

(59) ـ عن / تشارلز تشادويك، الرمزيّة، ترجمة نسيم ابراهيم يوسف، الهيئة المصرية العامة للكاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1992 م، ص 40.

(60) ـ محمد لطفي اليوسفي، في بنية الشعر العربي المعاصر، الطبعة الأولى, دار سراس، تونس, 1985م، ص 28.
(61) ـ خالدة سعيد، مجلة مواقف، بيروت، العدد 51 - 52، صيف وخريف 1984 م، ص 33.
(62) ـ نور ثروب فراي، الأدب والأسطورة، ص 27.
(63) ـ المقاطع الشعرية مأخوذة من كتاب: محي الدين صبحي، الأدب و الموقف القومي، ص 85 - 86.
(64) ـ الإمام علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، جمعه الشيخ محمد عبده، المطبعة الرحمانية بمصر، د. ت المجلد الأول، ص 75.
(65) ـ النص من ديوان «الخروج من البحر الميت»، عن / د. رجاء عيد، لغة الشعر، ص 239.
(66) ـ د. عبدالمنعم تليمة، مداخل إلى علم الجمال الأدبي، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى 1987م، ص 75.

مفهـوم المؤسسـة الأدبيـة وشروطهـا...

●الدكتور عبد السلام فزازي

جامعة ابن زهر بأغادير المغرب / شعبة اللغة العربية وآدابها/ كلية الآداب.
fizaziabdeslam@hotmail.com

إذا كـان الأدب خلقـا و نشـأ – مستبعديـن مصطلـح إبـداع لمـا فيـه مـن إيحـاء للخيـال، مقتصريـن على المفهـوم المـادي لمعنـى البـدء و التكـون في الشـيء-، فإنه محتـاج لا محالـة إلى حماية ورعاية، تسند لجهة تتكلـف بضمـان هذه المهمـة، و تجيد تحمـل المسؤوليـة، و أجدر من يقـوم بهذه الوظيفـة مؤسسـة تعـي دورهـا وتمارسـه، لا أن تحتكـر الاسـم والموقـع. و قد راعينـا في هـذا الصـدد التطـرق إلى المؤسسـة الأدبيـة، فماذا نقصـد بهـا؟.

لنتطرق في البدايـة إلى تحديـد مفهـوم المؤسسـة الأدبيـة، عند بعـض الدارسين، فكـل واحـد منهـم يبنـــي تصـوره لهـا و يقدم تعريفـا خاصـا. و لأن الأدب كـان و لا يـزال عبر العصـور، موضوعـا يلقـى اهتمامـــا ودعمـا أحيانـا، وأحيانـا أخـرى يواجـه بالصـد والإهمـال، تبقى نظـرة المجتمعـات إليه تختلـف وتتمايـز حسبادخلت كل سيرتك في فايسبوك المتعلق بي

درجـة وعيهـا بالظاهـرة. يـرى في هذا الصدد كليمـون مـوازان Clément Moisan أن « مـوضـوع الأدب ليـس فقـط النظـر في الوجـه الأدبـي، بـل أيضـا في الوجـه المؤسساتـي فيـه »1.

يقتضـي تنـاول موضـوع الأدب النظـر إليـه باعتبـاره مؤسسـة مثـل باقـي المؤسسـات، يشتغـل وينتـج في إطارهـا؛ في هـذا الصـدد يقـول سعيـد يقطيـن :« لا أدب يمكـن أن يبـدع في غيـاب أو تغييـب تصـور مـا للأدب السابـق أو المؤسسـة الأدبيـة »2؛ و يفتـرض في هـذه المؤسسـة أن تشمـل «

مجموعة ممارسات أدبية مقننة (رمزية Symboliques) ومنظمة (من قبل أجهزة Appareils). لا تنتج بل تنظم وتشرع، يتعلق الأمر بمجموعة من إواليات تنظيمية تعطي لنفسها قواعد ومعايير خاصة للاشتغال لها القدرة على الاعتراف للإنتاجيات الأدبية أو عم الاعتراف لها بالمصداقية و الشرعية »3.

بمعنى أن المؤسسة الأدبية جهاز تنظيمي يسهر على جعل الأدب يخضع للتقعيد والتنظيم، هكذا تلعب مؤسسات، كالجامعة، والأكاديمية، والرقابة والجوائز الأدبية، دورا وهذا تدعيم و تشجيع تسهر هذه المؤسسات على تحقيقها ومسايرتهما للأدب وأهله.

ويتبين من خلال هذه التصورات المقدمة لمفهوم الأدب وعلاقته بالمؤسسة، أنها تصورات تنظيرية ترمي إلى خلق مؤسسة للأدب. هكذا ننتهي إلى تعريف، انطلاقا منه نقدم تصورا لمفهوم المؤسسة الأدبية، وهي في نظرنا مجموعة من المؤسسات الصغرى التي تندمج في ما بينها لتعطينا، المؤسسة الأدبية؛ التي تتكون من الطباعة والنشر، والتوزيع، والوسائط السمعية - البصرية، والمكتوبة من جرائد ومجلات نقد وجامعي، وجمعيات ثقافية، وكذلك الانترنيت استشرافا منا له ببحث مستقل.

مفهوم المؤسسة الأدبية.

نتناول في هذا القسم عناصر المؤسسة الأدبية: الطباعة، والنشر والتوزيع والوسائط السمعية البصرية، والمكتوبة من جرائد ومجلات ونقد جامعي، وجمعيات ثقافية، والانترنيت، فما هي هذه العناصر ؟

1- الطباعة :

تعتبر الطباعة عملية أولى لولادة العمل الأدبي، بحيث تضطلع بنسخ المطبوعات الأدبية، وتوفير المتن الأدبي على شكل كتاب، و بذلك تكون جزءا رئيسا من تشكل المؤسسة الأدبية.

و يتحدد دور الطباعة الهام في كونها « تؤكد (...) على عملية الطبع »5، ولم تكن لتعرف هذا المستوى من الإجرائية لولا ظروف تاريخية أجملها نيوتن Newton في « اختراع الطباعة والنشر وتطورهما جزءا من تطور السوق العامة للبرجوازية الحرة »6. وينضاف إلى ذلك، استقلاليتها عن النشر، رغم ما قد يبدو للوهلة الأولى من

أنهمـا متداخــلان، غير أن ذلك حاصـل لأمريـن : إما بهـدف تنسيقـي بينهما، أو لخلط مفهومـي لتاريخهما.

وفي هـذا التحديـد يقـول أوكتافيـو بات Octavio Path : « منـذ ظهـور الطباعـة والعـلاقــة بـين المؤلـف والناشـر مضطربـة »7. يتضـح من قـول أوكتافيـو أن الطباعـة مرحلة سابقـة، من جهـة على النشـر، و من جهـة أخـرى مستقلـة استقـلالا تامـا عنـه.

نستنتـج إذن، أن النشـر مرحلـة لاحقـة دورهـا لا يقـل أهميـة عن مرحلـة الطباعـة، وأن اضطراب العلاقـة بين المؤلـف والناشـر لدليـل على أن الطباعـة مستقلـة عن النشر. وفي رأينا، الطباعـة متعلقـة بطبع العمـل الأدبـي، أي نسخـه، والنشـر مرحلـة تأتي بعـد ذلك « فأهـل المطابـع الأقويـاء - نظرا للتعقيدات المتزايـدة لصناعتهـم - سرعـان ما يتخلـون للاختصاصييـن بأمـر بيـع مصنوعهـم بالتقسيـط» 8 مـن خـلال هـذا النـوع مـن التخصـص يتبيـن أنـه يمكـن أن نضـع النشـر مقابـل التوزيـع لا الطباعـة مقابـل النشـر.

من هنـا، نجـد أن الطباعـة مرحلـة هامـة وعمليـة معقـدة وحاسمـة فـي إخـراج العمـل الأدبـي بالشكـل المتعـارف عليـه، والذي تتحـدد فيه أولـى ملامـح المؤسسـة الأدبيـة، لتجسـد لدينـا المفهـوم والتصـور النظـري.

2 النشـر :

إلى جانـب الطباعـة التي كانـت المظهـر الأول لتحديـد مفهـوم المؤسسـة الأدبيـة، نجـد النشـر، باعتبـاره مظهـرا آخـر من مظاهـر تشكلهـا، يمثـل لنا مرحلـة نعتبرهـا بدايـة العمـل النقـدي في الترويـج للعمـل الأدبـي. و في هـذا الصـدد يقـول روبيـر اسكاربيـت (Robert Escarpit) : « بالنسبـة للناشـر، إن للنقـد قيمـــة موضوعيـة لـرأي أدبـي هو الناطـق باسمـه »9.

نلاحـظ هنـا أن وظيفـة الناشـر تتجـاوز العمـل الإداري، لتمثـل لنا العمـل الإداري في احتياجـه لهذه الرؤيـة؛ فالعمليـة النقديـة التي يجريهـا الناشـر على العمـل الأدبـي قبل الإقـدام على نشـره، يستشـرف من خلالهـا ما بعـد عمليتـه الآنيـة، وإن كـان الهـدف تجاريـا، فهو يراعـي في ذلك طرفـا فاعـلا في العمليـة الأدبيـة (المتلقـي) حيث إن « الحصـول على عينـة من الجمهـور النظـري من خلالـه يقنـن اختياراتـه »10 أمـر في غايـة الأهميـة.

و هكـذا، نجـد الناشـر يحسـم في تأديتـه لـدوره على أكمـل وجـه، فمجـرد نقـد العمـل الأدبـي قبـل النشـر، يعتبـر ترويجـا لـه، و قبـل ذلك

اعترافا بوجود هذا العمل؛ وبالإضافة إلى ذلك يمثل خلق متلق نظري عملية نقدية ثانية، وفي إطار العمليتين خدمة جلية للعمل الأدبي. وبمفهوم آخر، تحقق عملية النشر شكل المؤسسة الأدبية كما في تصورنا النظري.

3- التوزيع:

يمثل مفهوم التوزيع داخل المؤسسة الأدبية باعتباره جسرا يصل بين المنتج والمتلقي، ويرى اسكاربيت Escarpit أن « عملية التوزيع، بالمعنى الحقيقي والعام للكلمة هو البيع رغم وجود كتب موزعة مجانا. لأن البيع في الواقع هو تقريبا ضروري لكي يكون العمل الأدبي مكتملا»11 تحمل هاته القولة في طياتها جملة مفتاحا بالنسبة إلى ترويج عمل أدبي، فجملة " عملية التوزيع " نستشف منها الترابط اللصيق بين العمليتين، و أن إحداهما تستلزم الأخرى.

فدلالة " التوزيع " تعني وضع المطبوعات للتداول وبيعها بواسطة المكتبات أو الباعة، بحيث يتبين أن « التوزيع التجاري للقراءات الأدبية بكمية وفيرة بالأساس مؤمنة من طرف موزعي الكتب والمؤسسات من نوع دكاكين و أكشاك الجرائد » 12.

و تتضح أهمية التوزيع في تفعيل العمل الأدبي وحركيته، نظرا لأنها مرحلة هامة في منظومة المؤسسة الأدبية إذ نرى « التوزيع في الدول الرأسمالية العملية الأكثر صعوبة في عملية النشر » 13. مما يزكي أن عملية التوزيع، تمثل ركيزة أساسية لعقد النشر في الدول الرأسمالية، اعترافا منها وإيمانا بجسامة مهمة التوزيع.

التوزيع إذن، عملية دقيقة، تستمد منها المؤسسة الأدبية شكلا ينضاف إلى الأشكال السابقة؛ و لكونها كذلك، فهي تستحق العناية لأنها الحلقة الوسطى بين الثبات والتحول، بين آلاف النسخ و هي متراكمة، و بين مئات النسخ وهي تبحث لها عن قنوات تصريف، من بين القنوات التي تتوسط للعمل الأدبي انخراطا جديدا – دونما يصبح من المتعذر اليوم، التعرف لمجرد الصدفة على عمل أدبي خرج للوجود – وسائط تعرض لعناوين الأعمال الأدبية، وتقيم لقاءات وعروضا وندوات تقدم فيها قراءات نقدية جديدة تخلق لنفسها وللعمل الأدبي حلقة ضمن حلقات سابقة.

4 - الوسائط:

إن محاولتنا رصد مختلف العناصر التي تدخل في علاقة مباشرة مع المؤسسة الأدبية، جعلتنا نقف على أبرز عنصر متكامل، في الاسم المشاع عنه، الإعلام السمعي البصري، وسنعتمد في تعبيرنا الأدبي صيغة الوسائط لما لها من معنى علمي.

أضحت الوسائط السمعية البصرية اليوم، تلعب دورا خيرا لا يقل أهمية عن باقي الوسائط المعتمدة للتعريف بالعمل الأدبي ف « منذ ظهورها في مجتمعنا الحديث أسهمت مساهمات جلى في تطوير الأدب وتوسيع دائرة قرائه »14. و نجد الرأي نفسه لدى سعيد يقطين واردا عند اسكاربيت Escarpit إذ يقول : « منذ ظهور وسائل الاتصال السمعية البصرية، تغيرت وضعية القراءة شيئا ما، لتصبح في الإجمال، استهلاكا ثقافيا في حركية داخلية ما زالت غير معروفة. فالاقتباسات السينمائية والاتصالات لاسلكية وخصوصا التلفزية أثرت بعمق على الرؤية الأدبية » 15.

و ظهورها كان دورا مساهما ومؤثرا في العمل الأدبي، بالإضافة إلى ذلك نشر ثقافة القراءة وتوسيعها، وتطويرها للعمل الأدبي يتجلى كذلك في إخضاعه لأشكال من الاستعمال الآني، في عصر تطبعه العولمة ف « بفضل (...) وسائل الإعلام، أصبحت الأعمال الأدبية في متناول الجميع: سواء كانت على شكل كتاب الجيب، أو الأشرطة، أو أشرطة الفيديو أو الاقتباسات السينمائية.. » 16.

و في هذا التأقلم مع المتطلبات العصر، مراعاة حظ العمل الأدبي، وضمان ترويجه إلى أبعد الحدود بأشكال متطورة، آخذة بعين الاعتبار المحطات التاريخية والتواصل المؤطر ضمنها. يقول كليمون موازان Clément Moisan : « تساهم وسائل الإعلام أكثر مما نظن في إعادة الاعتبار لضرورة التاريخ بشكله الشفهي » 17 ، وفي هذا التصريح المعلن عنه، نشير إلى نقطة هامة، فإذا كان المؤلف قديما يلقي ما ألفه شفويا على المتلقي، ليدون من بعد، وتتسع المسافة بينهما، فإن هذا العصر أصبح الإلقاء من جديد شفويا عن طريق الوسائط السمعية البصرية.

1.4- الوسائط السمعية البصرية:

لقد صارت الوسائط البصرية اليوم عنصرا هاما، تتجسد أهميتها في اتصالها، بالجمهور والاحتكاك به يوميا. وفي هذا الإطار كان لا بد من إسهامها في توفير ولو لوقت قليل من برامجها للعناية بالعمل الأدبي ونلحظ أن «الإعلام بمختلف أنواعه ... يساهم في التعريف

بمختلف الإنجازات الأدبية من الكتاب إلى مجموع الاهتمامات والقضايا التي تشغل بال المشتغلين والقراء » 18.

و يتجلى إسهام هذه الوسائط من خلال إيصالها للعمل الأدبي إلى عامة الجمهور. وما كان لهذا التواصل أن يتحقق لولا« أن التليفزيون خرج بالأدب من دائرته الأرستقراطية القديمة وجعله أدبا ديمقراطيا، يتصل بقوائم الشعب كله وحطم الأبراج العاجية في التذوق » 19.

و هكذا، فالوسائط السمعية البصرية ذات وظيفة تغييرية. فالوسيط السمعي البصري « لا يجب أن يكون سوى صلة لمعرفة أفضل للثقافة المكتبية، ويمكن كذلك من خلال إنتاجه الخاص حتى خارج " البث الثقافي " أن يصبح مبدعا ومعكسا للثقافة الجديدة والحقيقية للجماهير » 20 . وتتأكد لنا هذه الوظيفة، إذ « لم يعد التليفزيون اليوم في خدمة الثقافة نوعا من أنواع الرفاهية بل أصبح له دور في معالجة كثير من مشكلات الثقافة » 21.

وهذا النهج المتوالي لهذه الوسائط، في اتخاذها جملة من التغيرات مرة بعد مرة، يهيئ لتشابك وطيد تنصهر فيه الوسائط السمعية البصرية والمؤسسة الأدبية في الوظائف والأدوار، ومن ثم الانخراط في مشاكل الأدب الحقيقية. وقد يتحقق هذا الوعي إذا كانت « البرامج الثقافية في التليفزيون تهدف إلى تحسين حال المشاهد وتنبع في الواقع من أعمق تقاليد العلم والتوعية و الثقافة » 22.

ولن يظل الاهتمام السمعي البصري محكوما بثوابت المخططات السابقة وما قبل الوجود الفعلي لهذه الوسائل المشتغلة على المستوى الرسمي والشعبي إذ « لم تعد الثقافة في البرامج الثقافية ترتبط بالتقاليد التي كانت قبل ظهور التليفزيون مقتصرة على المحظوظين ممن كانوا يعيشون بالقرب من مراكز هذه الثقافات، ومن كانت أحوالهم الاقتصادية تسمح لهم بممارسة هذه النشاطات » 23.

إن شيوع الثقافة بين مختلف شرائح الجمهور، وتوسيع دائرة المستفيدين من الوسائط السمعية البصرية المناولة للأعمال الأدبية، أزالت الحواجز الزمنية وقبلها الطبقية بحيث أضحت « هذه البرامج لا تمنح إجازات دراسية أو شهادات إلا أن ما تقدمه من جهود تساعد على نشر الثقافة لا يمكن أن تقاس أو تقدر بثمن أو جهد » 24. وفي جهدها لخدمة الأدب وتطويره لم تغفل الكاتب باعتباره طرفا هاما في العملية ككل. بل إننا نجد من هذه الوسائط، وبالأخص التليفزيون، « حاليا ليست (.) بالنسبة إلى الكاتب مجرد وسيلة للتعبير وإنما هي كذلك مورد رزق » 25.

نستنتج أن هذه الوسائط في علاقتها بالعمل الأدبي، لم تهمل أي طرف في العملية الأدبية، الأدب والكاتب والمتلقي، مدركة أن غياب قطب واحد منه، إهدار لحقوق القطبين الآخرين. وفي تحديد دور الوسائط السمعية البصرية، وطبيعة تفعيلها للعمل الأدبي، يظهر لنا بجلاء أن تضافر الجهود ضروري وأساسي في دعم الأدب، وتكوين المتلقي، ومساندة الكاتب ومؤازرته. ورغم ذلك ستظل هذه الوسائط السمعية البصرية مجرد تقديم جاهز لكل ما هو أدبي، لتأتي الوسائط المكتوبة، لتجعل المتلقي مشاركا في العمل الأدبي، من خلال احتكاكه المباشر وسجاله الفكري، لأن ميدان السمعي البصري ضيق الزمن، بينما الوسائط المكتوبة تسمح بالقراءة المتعددة والمتفحصة، و لكي يفهم العمل الأدبي جيدا ويستوعب يجب أن يقرأ، مما يساعد على تمثله على أفضل نحو ممكن.

2.4- الوسائط المكتوبة :

نقصد بالوسائط المكتوبة الجرائد والمجلات والنقد الجامعي.

1.2.4- الجرائد :

تساهم الجرائد في تفعيل العمل الأدبي، باعتبارها وسيطا كتابيا علاقتها بالعمل الأدبي جعلتها معروفة، يقول في هذا الصدد روبير اسكاربيت Robert Escarpit : « يجب الأخذ بعين الاعتبار الطبعات ليس فقط عند دور النشر ولكن أيضا عند الصحافة التي هي عموما أكثر رواجا. فيما تبقى الطبعات الأخرى صعبة المنال » 26. من هنا نلمس قوة الجرائد في دعمها للعمل الأدبي والنشر معا. كما أن احتكاكها اليومي بالمتلقي، بمختلف شرائحه جعلها « تقوم (...) بالتعريف بالكتب المنشورة حديثا و المجلات بدورها تجعل المواضيع الأدبية الهامة في متناول الجمهور » 27 .

و هذا الشيوع الفريد لهذا الوسيط، لم يكن محض صدفة بل نتيجة تنويعها لمادتها بأنواع الموضوعات، يكون فيها للعمل الأدبي حظ؛ مما يجعل الجمهور المتلقي مقبلا عليها، حيث « توجد في الصحافة مثلها في النشر مجموعة كبيرة من النصوص غايتها وظيفية غالبا ما يحصل في التحقيقات وفي نقد الكتب، وسيكون من السهل الإشارة إلى عدد من

الأعمـال التقنيـة، أو العلميـة أو الفلسفيـة بمقاصدهـا المعلنـة. والتي تشكـل أعمـالا أدبيـة أصيلـة وتناولهـا الجمهـور باعتبارهـا كذلـك » 28.

إن هذا الاهتمـام الجـاد الذي يتحـول بعمـل هـذا الوسيـط المكتـوب مـن غايتـه الوظيفيـة إلى استعمـال غير وظيفي، ليفسـح المجـال للعمـل الأدبـي عن طريـق الربورتاجـات Reportages ، ونقد الكتـب الأدبيـة ليمتـد نطاقـه إلى نـوع من العمـل الأدبـي يقـول عنه فـاروق خورشيـد:« ليس هنـاك في الواقـع لـون مـن ألـوان الإنتـاج الأدبـي تقبـل عليـه الصحافـة وتتهافـت على نشـره مثـل القصـة القصيـرة » 29 . تسوقنـا عبـارة خورشيـد عن القصــة، في تصريحـه بأن العلاقـة بينها وبين الجريـدة علاقة دين، تديـن فيها القصـة للجريـدة، بمـاذا ؟ يقصـد الانتشـار والـرواج. ولكـن السـؤال الـذي يطـرح نفسـه في هـذا المقـام هـو لمـاذا تتهافـت الجريـدة على نشـر هـذا اللـون من ألـوان الإنـتاج الأدبـي ؟ ونجـد الجواب متضمنا في قولـه: « كلما تطـورت الصحافـة وازدادت توزيعـا وازدادت حجمـا [يقصـد عدد الصفحـات] زاد مقـدار مـا تفسحـه فـي صفحاتهـا للقصـة، وزاد بالتالـي الإقبـال من الكتـاب على كتابـة هـذا اللـون الرائـج السريـع التـداول السهـل النشـر » 30. لتصبـح العلاقـة، تبادليـة: إفـادة واستفـادة من جهـة، ومن جهـة أخـرى دعمـا للعمـل الأدبـي وتشجيعـا لـه.

ومما تقـدم، يبـدو جليـا أن طريقـة تعامـل الجريـدة عمومـا مـع العمـل الأدبـي، ينـم عن وعـي منهجـي واستثمـار ذكـي لـهذا اللـون من ألـوان الإنتـاج الأدبـي، عن طريـق إعطائـه صفحـات يـزداد حجمهـا كلمـا ازداد توزيـع الجريـدة وتطورهـا، وفي ظـل هـذه العلاقـة يمكـن القـول، إنـه كلمـا ازدادت أعـداد الصفحـات في الجرائـد ازدادت كذلك الصفحـات المخصصـة للعمـل الأدبـي.

2.2.4- المجـلات :

ينضـاف إلى الجريـدة وسيـط كتابـي آخـر، هو المجـلات التي تساهـم بـدورها في تشكـل المؤسسـة الأدبيـة، حيث تعتبـر المجلـة عملا صحافيـا تختلـف عن الجريـدة في كونهـا غير منتظمـة، تصـدر شهريـا أو سنويـا، وأحيانـا تغيـب لأنهـا « أبعـد الأشيـاء عن الصحافـة بمعناهـا المتعـارف عليـه، رغـم لجوئهـا لوسائـل الصحافـة فـي الظهـور إلى النـاس » 31 ، لأننـا نجـد هـذا التشابـه الشكلـي يخلـق خلطـا وظيفيـا فـ « إذا كنـا نظلـم الصحافـة في الظهـور حين نطلـب منهـا الأبحـاث المتخصصـة التي لا تهـم

سوى مجموعة من الناس، فإننا نظلم المجلة الأدبية حين نطلب منها غير هذه الأبحاث المتخصصة » 32.

ولن يبخس حق المجلة الأدبية لأنها واعية بالدور المنوط بها، تسعى جاهدة للانخراط في العمل الأدبي بممارسة تصل إلى حد أنه « تعود وظيفة المجلات إلى الدور الترويجي للنصوص وللمؤلفين خارج الحدود اللغوية والثقافية » 33، ولتجسد إسهامها القوي « تقوم بعض المجلات المتخصصة ب " تبادلات " أدبية مهمة سواء بنشر منتظم لوقائع تاريخية حول "الآداب الأجنبية " أو بشكل مباشر عبر ترجمة النصوص» 34 .

ولكي تبلغ شأو في هذا الجهد المضاعف « مطلوب من المجلة الأدبية أن تنافس على قدم المساواة المجلات الأخرى التي تصدر معها في نفس وبنفس الحجم وبنفس الثمن»35 ، يقصد بذلك تنبيه المجلة الأدبية لمسائل هامة، قد تعتبر خارجة عن إطار العمل الأدبي لمحتوى المجلة ولكنها أمر فاعل في تصورنا لمفهوم المؤسسة الأدبية.

ولتتأكد لنا جدية مساءلة المجلة الأدبية لنفسها، نجدها تهيئ أعدادها لـ « استقبال الأصوات الجديدة وتقديمها. فالأديب المنكود الحظ في كلا الحالتين: النشر المتأخر أو عدمه، لا يجد بدا من دفع نتاجه إلى المجلات الأدبية المحلية، فهي تؤمن له رواجا أوليا ملحوظا ما يلبث أن يندفع لتأسيس اسمه الأدبي».كما تعمل على التجديد في محتواها بحيث يعتبر « كل مشروع مجلة هو نوعا ما نتيجة مؤامرة : كمؤامرة جيل من الشباب ضد القدماء، أو مؤامرة جمالية ضد أخرى أو قيم طليعية ضد قيم مؤسسة أكاديمية »37.

ننتهي إلى أن استقبال المجلة الأدبية للأصوات الجديدة دليل على حركيتها وتجددها، وفي نشرها للعمل الأدبي تأكيد بأن المؤسسة الأدبية سلسلة حلقات، فقد حلقة واحدة منها يخل بالنظام والتصور معا.

3.2.4- النقد الجامعي :

لا يمكننا الحديث عن مفهوم المؤسسة الأدبية دون الإشارة إلى النقد الجامعي، الذي يكون "الأدب " بالنسبة إليه موضوعا للبحث والدراسة، و " النقد " وسيلته في المنهج و التحليل.

و يقدم هذا النقد إسهامات كبيرة في مجال دراسة العمل الأدبي، سواء منه النقد التقليدي الذي يدرس علاقة الإنتاج الأدبي بشخصية مبدعيه أو بالوسيط الذي نشأ فيه، أو " النقد الجديد " الذي يهتم بالنص ولا شيء غير النص؛ وكلا النقدين يروج للعمل الأدبي.

ولأن الجامعة تشتغل على النص، وأداتها النقد، فإنها وسيط من خلاله يتم تحقيق مفهوم المؤسسة الأدبية. وتتجلى وساطتها في إصدار منشورات تتضمن ندوات، ورسائل جامعية. وفي مجمل هذه المجلات تتضمن ما يتصل بكليات الآداب والتخصصات المنضوية تحتها.

5- الجمعيات الثقافية :

كما نجد الجمعيات الثقافية، ترصد للعمل الأدبي برنامجا خاصا، وتضفي على عملها الثقافي أنواعا من الأعمال المسرحية والسينمائية (المقتبسة من النصوص الأدبية) والندوات الفكرية والأدبية، وأحيانا باستضافة المبدعين والنقاد، بالإضافة إلى خلق أنشطة ثقافية مختلفة؛ تتمثل في التعاقد مع المكتبات، وإقامة معارض للكتب وحفلات توقيع الأعمال الأدبية، وتنظيم الأيام الثقافية باستقطابها للعناصر الجديدة من المبدعين، كما تعنى بإصدار الأعمال الأدبية.

وننتهي إلى أن الجمعيات الثقافية، تضطلع بدور كبير في تكريس مفهوم المؤسسة الأدبية، بحيث تجعل الشباب المنضوي تحتها يهتم – منذ بداية انخراطه – بالأدب والأدباء.

6- الانترنيت :

أفرز تطور الإعلاميات ظهور شبكة الانترنيت، التي أصبح بالإمكان عن طريقها التنقل عبر العديد من المواقع المشتملة على مجموعة من التخصصات والمجلات، وكثير من المعارف والعلوم.

وفي ذكرنا لهذا العنصر، وعي منا بأهمية هذا الوسيط المحدث الذي يطرح نفسه بديلا مفضلا لتوزيع العمل الأدبي مكونا بذلك مؤسسة أدبية تشمل كل العناصر التي أسلفنا ذكرها.

شروط المؤسسة الأدبية:

نناقش في هذا القسم شروط المؤسسة الأدبية، التي بدونها لا يمكن الحديث عن المؤسسة الأدبية، وهي على التوالي: الشرط الاقتصادي، والشرط السياسي، والشرط الاجتماعي الثقافي.

1- الشـرط الاقتصـادي :

يعتبـر الشـرط الاقتصـادي من الشـروط الرئيسـة في مقاربـة ظاهـرة الترويـج للعمـل الأدبـي. وعمومـا، يمكـن القـول إن القـارئ دور أساسـي: فإذا كان دخلـه اليومـي مرتفعـا، فسيكون مشجـعا على اقتنائـه للأعمـال الأدبيـة. ولأن القـدرة الشرائية تلعـب دورا حاسمـا في عمليـة الشـراء ككـل، نلحـظ بعـض دور النشـر الـتي تعمـل على تخفيـض أثمـان الكتـب؛ وذلك أمـر فيه اهتمـام بالقـارئ وترويـج للعمـل الأدبـي في الآن نفسـه. كما أننـا نلمـس المبـادرة نفسها لـدى أصحـاب المكتبـات التي تعلـق لافتـات لتخفيـض الأسعـار.

وحين يتحقـق الشـرط الاقتصـادي، باقتنـاء القـارئ لعمـل أدبي فـإن تلقيـه « يفتـح أمـام منتـج النـص الأدبـي أبوابـا أخـرى للشهـرة والـرزق وبالتالي للمزيـد من الاستقـلال المـادي والفكـري والفنـي » 38 ، فيستفيـد منتـج العمـل بالمقابـل، لأن اقتنـاء عمـل أدبـي يضمـن للمنتـج استمـرار فـي عملـه، ودعما ماديـا يشجعـه ليبدع في فضـاء أرحـب لا تطـارده الهـواجس الماديـة، والتوجيهـات الخارجيـة المكلفـة بدعمـه.

كمـا نلاحـظ أن حسـن التلقـي هـذا ينعكس إيجـابا على المردوديـة لإنتـاج نصـوص لاحقـة، ممـا يجعلـه « يدفـع بـرؤسـاء تحريـر الدوريـات التي ينشـر فيها منتـج النـص الأدبـي نتاجه إلى استكتابـه من جديـد، ولربمـا الإلحـاح عليـه ليخـص دوريـة ما بهـذا النتـاج، باذليـن له مكافـآت أسخـى ورسومـا أغلـى ومفسحيـن له حيزا أوسـع وصفحـات أكثـر في دورياتهـم ، و ميسيريـن له حريـة أكبـر سـواء أكـان ذلك في مجـال التجريـب الفنـي أم في مجـال حريـة التفكيـر و التعبيـر عامـة » 39.

ولأن المتلقـي هـو المعـول عليـه في استهـلاك العمـل الأدبـي، أفـرز لنا ذلك، أسئلـة تتمثـل في أن العمـل الأدبـي لم يعـد مجـرد إبـداع تتنـاولـه الأفكـار والأخيلـة، بل عمـلا تتداولـه الصنـاعـة والتجـارة، ويتأكـد ذلك « إذا قلنا أن الكتـاب " المستعمل " ليس سلعـة ماديـة، فلا نقصد بأي حـال أنه لا يدخـل ضمـن صناعـة لها مراميهـا التداوليـة التجاريـة أو أنـه منتـوج معنوي أثيـري مجرد لا يـرى ولا يلمس » 40 ، وفي اعتبار أن الكتاب تواصـل ثقافـي بين المبدع و القـارئ، ولا يلغي المعاييـر الماديـة، ولا يمكن استبعاد الأهداف التجارية؛ لأنه منتـوج معنوي لا يدخل في الاستعمال المادي بل مجـرد الرغبـة في الإطلاع عليه والحصول على نسخـة منه، سلعـة ماديـة تمـر عبر مؤسسـات.

وليتأكد ما قلناه، نجد مؤسسات في دعمها للعمل الأدبي، تحقق الشرط الاقتصادي، وتؤكد مفهوم المؤسسة الأدبية حيث « إن التحقق التقني للتاريخ الأدبي يستفيد أيضا من الوسائل المعلوماتية الحديثة. فبنوك المعطيات البيبليوغرافية تشكل مصدرا للمعلومات لإنجاز مؤلف ما »41.

ففي مساندة البنوك العمل الأدبي من خلال تهيئها له، بتقديم الوسائل الحديثة، وكونها تختص في المعطيات البيبليوغرافية، فإنها تسهل إنتاج عمل أدبي ما، وتدعمه ماديا مما ينم عن وعي في اتخاذ هذا الإجراء الذي تترجمه مثل هذه السلوكات الناجعة.

2 - الشرط السياسي :

يتمثل هذا الشرط في دعم الدولة للعمل الأدبي، بحيث « إذا كان من المظاهر التي يتبدى فيها رقي الأمم هو مدى مساهمتها في إنتاج المعرفة، وكان الكتاب من صميم تلك المعرفة، ومن قنوات توصيلها وحفظها، فإن وضع الكتاب في مشاريع التنمية الثقافية للدول، هو المبرهن على مدى إسهامها أو عدم إسهامها في الدفع بعجلة التنمية الثقافية والمعرفية إلى الأمام » 42.

هكذا يتضح لنا أن رقي الأمم مرتبط بمدى مساهمتها في إنتاج المعرفة. ولأن المعرفة تحفظ في كتاب، كان لا بد إذن من إدخاله في مشاريع التنمية الثقافية للدول لأن « إسهام الدولة في إنتاج الكتاب، هو إسهامها في ترويج الكتاب »43.

وسيظل العمل الأدبي في حاجة إلى مساندة الدولة وتهييئها لجو الإبداع، ومن جملة المبادرات التي قد تقوم بها « تحمل مسؤولية التوزيع بوساطة قطاعها العام 44، وأن تتكلف بالتوزيع لا يعني « مسؤولية (...) محصورة في توزيع الكتاب على نقط البيع، بل أيضا في خلق مراكز جهوية لاحتضان الكتاب حتى تتم الاستفادة منه من غير أن تبقى الاستفادة مقترنة بشرائه بالضرورة »45.

ولأن أي عمل أدبي هدفه الوصول إلى القارئ، سواء بشرائه أو إعارته، من خلال خلق الدولة لخزانات ثابتة ذوات مقرات معروفة، أو خلق مكتبات متنقلة تقرب العمل الأدبي إلى القارئ، أو إيجاد أشكال متعارف عليها تبقى « مسؤوليات الدولة في تسهيل شروط تداول الكتاب وتوزيعه، إقامتها لمعارض وطنية و دولية وجهوية » 46. ودعمها للعمل الأدبي المحلي يتجسد ذلك في تعريفها « بالكتاب في

دول أخـرى من خـلال معـارض أجنبيـة وأسابيـع ثقافيـة ومعاهدات تبادل ثقافـي» 47.

ونخلـص إلى أن دعـم الدولـة للعمـل الأدبـي شـرط لابـد منـه، بل إن «توفيـر أسبـاب ازدهـار الأدب يستلـزم إيجـاد البنيـة الماديـة التحتيـة الضروريـة ».

3- الشـرط الاجتماعـي الثقافـي :

لقـد سبقـت الإشـارة في النقطتيـن السابقتيـن إلى ضـرورة تـوفـر شـروط أساسيـة تدعـم العمـل الأدبـي، وتخلـق له الجـو الملائـم لإنـتـاج أكثـر : شـرط اقتصـادي يتحكـم في رواج العمـل الأدبـي بالـدرجـة الأولـى، وشـرط سياسـي تضمـن فيه الدولـة شـروطا ماديـة ومعنويـة، ونضيـف هذا الشـرط الذي نتنـاولـه هنـا وهـو الشـرط الاجتماعـي الثقافـي.

وإذا تأملنـا قـول أوكتافيـو بـاث (Octavio Path) : « يمكن أن نستـدل على صحـة المجتمع من حالـة الأدب فيه »49 ، نجـده يشتمـل على عنصريـن اثنيـن، نستـدل بأحدهمـا على الآخر، فالمجتمـع بنيـة تحتيـة، إذ دراسة الأدب لا يمكـن أن تتـم بمعـزل عنه وبالتالـي ف « تفسيـر الظواهـر الأدبيـة المهمـة، كنشـوء وتطـور الأجنـاس والتيـارات الأدبيـة، لا يكـون بإرجاعهـا إلى أسبـاب أدبيـة داخليـة فحسـب، بل بربطهـا بالمسببـات الاجتماعيـة التي أحاطـت بنشوئهـا و تطورهـا»50.

هكـذا إذن تكـون العلاقـة بين الأدب والمجتمـع، علاقـة تتجسـد في ضـرورة تنـاول الطرفـين معا، ويقـول في هـذا الصـدد عبـده عبـود : « التطـور الأدبـي لا يـتم بفعـل العوامـل الأدبيـة الداخليـة وحدهـا، بل بفعـل تفاعـل الأدب مع المجتمـع وتعبيـره عمـا يجـري فيه من تطـورات» 51. بحيـث لا يمكـن أن نتصـور حصـول التطـور في الأدب دون حصولـه على صعيـد المجتمـع والعكـس صحيـح؛ فالأدب بنيـة فوقيـة : دراستـه لا يمكـن أن تتـم بـدون مواكبـة التطـورات أو المستجـدات الحاصلـة في المجتمـع حيث « إن دور الثقافـة (...) كبنيـة فوقيـة فاعـل في الحيـاة اليوميـة، و مـرآة صافيـة للكشـف عن تفاعـلات البنيـة التحتيـة »52. إذا أمعنـا النظـر في هـذه العلاقـة بين المجتمـع و العمـل الأدبـي، نـرى أن « العمـل الثقافـي بأوسـع معانيـه هو خلـق شـروط ملائمـة، لتنصهـر في ديناميكيـة إنتـاج ثقافـة جمـاهيريـة تمـارس حقهـا في الوجـود. تنتـج فعلهـا السياسـي، أي الانتقـال بالثقافـة العالمـة إلى مستـوى الثقافـة الشعبيـة، و صيـاغـة مفاهيـم معرفيـة جديـدة مرتبطـة بالهـم اليومـي للمواطنيـن، وهـذا النـوع من الممارسـة لا بـد أن يكـون قائمـا على النقـد الذاتـي ، نقـد كل مظاهـر البنيـة التحتيـة المعرقلـة لتطـور البنيـة الفوقيـة» 53.

وإذا أردنـا أن نحلـل هـذا القـول، فإننـا نتوصـل لشرطيـن، تطبيقهما يكفـل للعمـل الأدبي والمجتمـع انسجامـا وانصهـارا تامـين؛ نجـد أولا: الانتقـال بالثقافـة العالمـة إلى مستـوى الثقافـة الشعبيـة. ثانيـا: صياغـة مفاهيـم ترتبـط بالهـم اليومـي للمواطنيـن. ولتحقيـق هذيـن الشرطيـن، لابـد للنقد الذاتـي من حضوره بقـوة ليخلـق لهـذه الشـروط أرضيـة صلبـة، ولكـي ينقد المجتمـع ذاتـه.

إن النهضـة في العمـل الأدبـي لا تتوقـف على مدى قـراءته بل« في حاجـة لسند أساسـي هو تحـرر العقليـات من المفهـوم المجانـي لمجانيـة الإبـداع. وإذا شئنـا نهضـة في مجـال الفكـر، فـلا بـد مـن نهضـة في مجـال الكتـاب الإبداعـي، حتى لا يظـل أعـزل في العـراء تطمـره العقليـات الضيقـة السطحيـة» 54. لأن العمـل الأدبـي غايتـه أن يقـرأ فالمتلقـي عمومـا « قطب مهم وأساسـي حيـوي وفاعـل في عمليـة التوصيل الأدبـي» 55، وفي تلقيـه « يخلـق الحافـز لـدى المنتـج على التفكيـر في كتابـة نصـوص جديـدة ».56

و يظهـر دور القـارئ في تفعيـل العمـل الأدبـي، من خـلال المنتـج الذي يعـول عليه، فهو حينما« يبث نصـا يقصـد به متلقيـا ما يتلقـاه، و يعجـب به ويفيد منه ويعجب من ثم بصاحبـه فيتلقـى نصوصـه الأخـرى السابقـة والتاليـة لهـذا النـص، ويتحـول بالتدريـج إلى نصيـر لهذا المنتـج» 57. وهـذا الاتصـال بين القـارئ والمنتج شـرط ثقافـي لتأسيس العمـل الأدبـي، ودعـم الأول للثانـي يتأكـد إن هو ظـل « يشتـري كتبـه، أو يحضـر محاضرتـه، أو يتتبـع أخباره، ويلاحقـه بضـروب الإطـراء والتشجيـع والمناصـرة والمنافحـة عندما يحـاول خصومـه أو منافسـوه النيـل منـه أو من نصوصـه »58.

ويتبيـن لنـا أن حـدود تدعيـم القـارئ للمنتـج ولعملـه الأدبـي يتمظهـر فـي أشكـال متعـددة : اقتنـاء عملـه وتتبـع أخبـاره وتشجيعـه في الشـدة. كما يمكـن أن يتجسـد دور القـارئ في شكـل آخـر أكثـر أهميـة، حيث نجده « يؤثـر في ناشره بشكل مباشـر فيجعلـه يقدم شـروطا أفضل للنشـر، ويقدم عوائـد أسخـى»59. وحسـن تلقيـه يتمثـل في أنه « يدفـع الناشـر إلى تحسيـن معاملتـه مع المنتـج وربمـا تحسيـن شـروط النشــر وزيـادة فرصـه أمامـه»60، عن طريـق إغـراء القـارئ للناشـر بإصـدار طبعـات جديـدة.

ومن نتائـج حسـن التلقـي أنه « يدفـع المؤسسـات التربويـة والثقافيـة والإعلاميـة، والأدبيـة، القائمـة إلى إعـادة النظـر في كثيـر من مسلمـاتهـا وقيمهـا ومقاييسهـا، وأعرافها، وقواعدها»61، فهـذا التحفيـز من القـارئ عبر حسـن تلقيـه، يخلـق للعمـل الأدبـي فضـاءات تستقبلـه وتعيد النظر في تعاملهـا الضيـق لـه.

كما أنه قد « يغري مخرجا أو منتجا بالتفكير في تحويل النص المنتج إلى مسلسل إذاعي أو تلفزيوني، أو فيلم سينمائي»62 ويمكننا أن نقول في هذا الصدد، إن دور المتلقي، شرط ثقافي محض يتجلى في حشده لكل هذه المحفزات والظروف المشجعة على استجلاب الدعم للعمل الأدبي ليتسنم المكانة اللائقة به. و بكلمة واحدة، « إن هذا المتلقي هو طريق المنتج إلى محراب البقاء »63.

خلاصة

نخلص من كل هذا إلى أن المؤسسة الأدبية عبارة عن بنية تتمثل عناصرها في مجموعة من المؤسسات الصغرى، المترابطة في ما بينها، وهي الطباعة والنشر والتوزيع والوسائط السمعية البصرية، والمكتوبة من جرائد ومجلات، ونقد جامعي، وجمعيات ثقافية ومواقع للانترنيت. ومفهومها هذا – كما تصورناه – لا يتحقق إجراءا ولا يخلق للعمل الأدبي مسيرا في منظومة العملية الأدبية: الأديب والعمل الأدبي والمتلقي، إلا إذا توافرت بنية تحتية تمر منها العملية الإبداعية بكاملها؛ فوسائط تحشد من التدابير والإجراءات مما يدعم العمل الأدبي ماديا ومعنويا؛ وشروط اقتصادية وسياسية واجتماعية ثقافية تكفل له الاستمرارية والدوام.

المصادر والمراجع

بالتوازي في إنتاج الكتب ونشرها >> (4)،

Clément Moisan : L'histoire littérature, PUF, Paris 1990, P.26. -1

2-سعيد يقطين : الأدب و المؤسسة نحو ممارسة أدبية جديدة ، منشورات الزمن ، الرباط ، 2000، ص :28 .

Clément Moisan : L'histoire littérature, PUF, Paris 1990, P.55. -3

Jacques Leenhardt : << Sociologie de la littérature >>, Association CURSUS ,2000-2001, www ARFE CURSUS .COM, P.2. -4

Robert Escarpit : Sociologie de la littérature, P.U.F, Paris, 7éd, 1986, P.58. -5

6- ك. م. نيوتن : نظرية الأدب في القرن العشرين ، ت ، عيسى علي العاكوب ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، الهرم ، مصر ، 1996 ، ص : 91.

7- أوكتافيو باث : << مقالة عن الأدب و النشر >>، ت . علي القاسمي ، العلم ، الرباط ، 21نونبر 1998، ص : 12.

-8 Robert Escarpit : Sociologie de la littérature, P.U.F, Paris, 7 éd, 186, P .59.

9-المرجع نفسه ، ص : 82.

10- المرجع نفسه ، ص : 82.

-11 Robert Escarpit: Sociologie de la literature, PUF, Paris, 7éd, 1986, P.58.

12 - المرجع نفسه ، ص: 83.

13- المرجع نفسه ، ص: 66.

14-سعيد يقطين: الأدب و المؤسسة نحو ممارسة أدبية جديدة ، منشورات الزمن ، الرباط ، 2000، ص: 96.

-15 Robert Escarpit :<< Le literature et le social>> In: L e literature et le social,
Paris, 1970 P .36. Flammarion,

-16 Clément Moissan : L'histoire littérature, P.U.F, Paris 1990, P.112-113.

-17 Clément Moissan : L'histoire littérature, PUF, Paris 1990, P.112-113.

18- سعيد يقطين: الأدب و المؤسسة نحو ممارسة أدبية جديدة ، منشورات الزمن ، الرباط ، 2000، ص: 101.

19-شهير جاد: البرامج التليفزيونية و الإعلام الثقافي: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د.م) ، 1987، ص: 183.

20- رولان كايرول: الصحافة المكتوبة و السمعية البصرية، ت... مرشلي محمد، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984 ، ص: 699.

21- سهير جاد: البرامج التليفزيونية و الإعلام الثقافي: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د.م) ، 1987، ص: 132.

22- المرجع نفسه ، ص: 62.

23- المرجع نفسه ، ص: 62.

24- المرجع نفسه ، ص: 63.

-25 Augusta Vitter: Histoire compare des literatures froncophones, Fernand Nathan, Paris III, 1980, P .159.

-26 Robert Escarpit : Sociologie de la littérature, P.U.F, Paris, 7éd, 1986, P.17.

-27 E.Rothisberger : << La Statistique international des œuvres littéraires >>

In : La littérature et le social, Flammarion, Paris, 1970, P. 280.

28- Robert Escarpit : Sociologie de la littérature, P.U.F, Paris, 7éd, 1986, P 20.

29-فـاروق خورشيـد : بين الأدب و الصحافـة ، منشـورات اقرأ ، بيـروت ، ط4 ، 1980، ص : 106.

30- المرجـع نفسـه ، ص: 107.

31-فـاروق خورشيـد : بين الأدب و الصحافـة ، منشـورات اقرأ ، بيـروت ، ط4 ، 1980 ، ص : 47.

32-المرجـع نفسـه ، ص : 47.

33- Corpet Olivier : << Revues littéraires >>, Association CURSUS 2000-2001, www .ARFE CURSUS. COM, P.4.

34- المرجـع نفسـه ، ص : 4.

35-فـاروق خورشيـد : بين الأدب و الصحافـة ، منشـورات اقرأ ، بيـروت ، ط4 ، 1980 ، ص : 40.

36- أحمـد فرحـات : أصـوات ثقافيـة من المغـرب العربـي، الدار العالميـة للطباعـة و النشـر و التوزيـع ، بيـروت ، 1984 ، ص : 11.

37- Corpet Olivier : << Revues littéraires >>, Association CURSUS 2000-2001, www .ARFE CURSUS. COM, P.3.

3- عبد النبـي أصطيـف << النـص الأدبـي و المتلقـي> > ، <u>علامـات في النقـد</u> ، ج 21مجلـد 6، النـادي الأدبـي الثقـافـي ، جـدة ، سبمبتـر1996 ، ص : 56.

40- رشيـد يحيـاوي :<< الكتـاب المستعمـل>> ، <u>قرطـاس</u> ، ع 14 ، دار قرطـاس للنشـر ، الكويـت ، مـارس ،1997 ، ص :10.

41- Clément Moisan : L'histoire littérature, P.U.F, Paris 1990, P.112-113.

48)).

42-رشيـد يحيـاوي : << توزيـع الكتـاب : من الخطـاب التقنـي إلى الخطـاب الثقافـي >>، <u>قرطـاس</u> ، ع 15، دار قرطـاس للنشر ، الكويـت ، أبريـل ، 1997، ص : 26.

43-المرجـع نفسـه ، ص : 26.

44- المرجـع نفسـه ، ص : 26.

45- المرجـع نفسـه ، ص : 26.

46- المرجـع نفسـه ، ص : 26.

47- المرجـع نفسـه ، ص : 26.

48 – عبد الكبيـر الخطيبـي : في الكتابـة و التجربـة ، ت .محمـد بـرادة ، دار العـودة ، بيـروت ، 1980، ص : 112.

49-أوكتافيو باث : << مقالة عن الأدب و النشر اليوم >> ، ت. علي القاسمي ، العلم ، الرباط ، 21نونبر1998 ، ص :12 .

50- عبده عبود :<< الأدب المقارن و الاتجاهات النقدية الحديثة>> ، عالم الفكر ، ع 1، المجلس الوطني للثقافة و الفنون ، الكويت ، 1999، ص : 281.

51- المرجع نفسه ، ص : 281.

52- عبد الغني أبو العزم : الثقافة و المجتمع المدني ، المتقي برينتر ، المحمدية ، 1996، ص : 70

53-عبد الغني أبو العزم : الثقافة و المجتمع المدني ، المتقي برينتر ، المحمدية ، 1996 ، ص : 29

54-رشيد يحياوي : << الكتاب الإبداعي في عراء التلقي >> ، قرطاس ، ع 15، دار قرطاس للنشر ، الكويت ، نوفمبر 1997، ص : 13.

55-عبد الغني أصطيف :<< النص الأدبي و المتقي >> ، علامات في النقد ، ج21 ، مجلد 6 ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، سبتمبر 1996 ، ص : 44.

56-المرجع نفسه ، ص : 56.

57- المرجع نفسه ، ص : 49.

58-عبد الغني أصطيف :<< النص الأدبي و المتقي >> ، علامات في النقد ، ج21 ، مجلد 6 ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، سبتمبر 1996 ، ص : 49.

59-المرجع نفسه ، ص : 49.

60- المرجع نفسه ، ص : 56.

61- المرجع نفسه ، ص : 57.

62-المرجع نفسه ، ص : 56.

63- المرجع نفسه ، ص : 49.

دراسة فسيولوجية الأصوات عند إبن سينا من خلال كتابه "أسباب حدوث الحروف"

د. إسحاق رحماني

الملخص:
لقد تطور علم الأصوات في السنوات الأخيرة تطوراً سريعاً وملحوظاً، وذلك نتيجة التطور الهائل في الأجهزة الإلكترونية والتطور الهائل في مجالات التصوير بالأشعة، وجهود العلماء المخلصين، ومع هذا كله فقد بقى علم الأصوات بكراً، فيه مرتع خصيب، وميدان واسع لكثير من البحوث الجادة. لكن قام علماؤنا الأوائل بتسطير صفحات مشرقة في هذا المجال، دون أن يعتمدوا على أجهزة إلكترونية، بل إعتمدوا أحاسيسهم المرهفة، وسجاياهم الخلاقة.

ومن دراساتهم هي دراسة فسيولوجية الأصوات التي حظيت بمجهود كبير من العلماء نحو كتاب"الكتاب" لسيبويه، وكتاب" سر صناعة الإعراب" لإبن جنّي و"القانون" لابن سينا. ولعل من أهم المراجع في هذا المجال هو كتاب أو رسالة أسباب حدوث الحروف لإبن سينا.

وعلى الرغم من أن إبن سينا قد تحدث عن فِيزياء الصوت وفسيولوجية الكلام والسمع في بعض كتبه كالقانون في الطب، الشفاء وغيرهما، ولكن عرض في رسالته "أسباب حدوث الحروف "، الجوانب الفسيولوجية والفيزيائية للصوت بشكل عام وللأصوات العربية وبعض الأصوات الفارسية بشكل خاص.

هذه المقالة قد وقفت على آراء الفيلسلوف الكبير في اللغة وفي أدق فروعها ألا وهو فسيولوجية الأصوات ولعل المحدثين لم ينتبهوا كثيرا لهذا الكتاب لأن مؤلفه لم يكن من علماء اللغة إذ هو فيلسوف وطبيب معروف.

الكلمات الدليلية: اللغوية، الفسيولوجية، الأصوات، ابن سينا، حدوث الحروف

المقدمه:

نشأ علم الأصوات عند العرب في القرن الثاني للهجرة ضمن تطور الحضارة في تلك العصر، وصار هذا العلم أساسا لسائر علوم اللغة العربية من نحو وصرف. ومع مرّ العصور، وظّفت معطيات علم الأصوات في علوم اللغة العربية من جانب وفي القراءات القرآنية من جانب آخرحتى ظهر علم التجويد(محمدقدور،1998/7). نحن نرى النشاطات اللغوية لعلماء اللغة

العربية في كل العصور، ولكن أكثر آراءهم في مجال الأصوات تكون على أساس التجربة والأحاسيس دون إستخدام العلوم التجريبية والأجهزة الإلكترونية.

ويعتبر الخليل بن أحمد الفراهيدي رائد علم الأصوات عند العرب، ثم يأتي سيبويه، فهو بسط القول في مجال الأصوات من جهة بيان مخارج الحروف وصفات الحروف في كتابه الشهير"الكتاب ". وفي القرون التالية ظهر إبن جني وإبن يعيش في ساحة اللغة ولكن في مجال الأصوات ماقاموا بجديد فيها. في القرن العاشر الميلادي نرى فيلسوفا وطبيبا كبيرا في عالم العربى الذى بحث عن الأصوات والحروف من جهة الفيزيائية والفسيولوجية، يعنى بادر بتشريح الجهاز النطقي وحدوث الصوت بالشكل العام لأول مرة في ساحة اللغة العربية. فهو عالج بعلم الأصوات خلال مؤلفاته الطبية ككتاب "القانون" ورسالته المسمى بإسم "أسباب حدوث الحروف" خاصة.

هذا الفيلسوف الكبير ضيع حقه في البحوث اللغوية الحديثة، لأن العلماء المحدثين، لم ينتبهوا إلى أعماله القيمة في علم الأصوات، لعدم إشتهاره في اللغة. ونحن لانرى كتابا أو بحثا قيما فى رسالة إبن سينا وخدمته اللغوية الكبيرة، بل توجد إشارات عابرة في بعض الكتب اللغوِية وتقارير مختصرة في كتاب "الأصوات اللغوية" لإبراهيم أنيس. و ما وجدنا بحثا أو مقالة كتبت بالعربية فى هذا الرحاب، ورأينا مقالتين بالفارسية بإسم «نگرشي بر ديدگاههاى ابن سينا درعلم آواشناسى» لمحمد رضا ستوده نيا و«بوعلي سينا وآواشناسي» لمحمود شكيب أنصاري فحسب.

إن هذه المقالة عالجت بآراء إبن سينا في الجوانب الفسيولوجية والفيزيائية للأصوات خلال تفصيل آرائه وموازنتها بالآراء القديم والجديد من اللغويين، حتى أرتنا الجهود العلمية والعملية اللغوية لهذه الطبيب الكبير التي تكوّنت قسما عظيما من التراث الصوتي العربي.

نبذة عن حياة إبن سينا:

أبو علي الحسِين بن عبد الله فيلسوف ورياضي وطبيب فارسي. ولد قرب البخارى عام 980.م و توفي في همدان بفارس عام 1027.م فهو تعلّمت القرآن وعلوم الدين من أبيه و أجادها قبل أن يبلغ العاشرة، ثم بدأ دراسته للطب على يد عيسى يحيى المسيحي وأبي المنصور القمري. فتركهم جميعا وبدأ بأخذ العلم من الكتب والناس في الأسواق. وفي السابعة عشرة من عمره لم يكن منافسا له في الطب(ابن ابي اصيبعه،2/1882).

لما نجح إبن سينا في مداواة منصور بن نوح الساماني قرّبه الأمير وجعله وزيرا لنفسه، فإنتظمت حياته منذ هذا الوقت. ولكن مالبث هذا الإنتظام و وقع

إبن سينا مع حاشية الأمير وجنوده في خلافات، لأنه كان مغرور بنفسه وشديد الإعتزاز بها. فكدرت العلاقات بينه وبين الأمير وأصحابه، فلهذا توجه طبيبنا إلى إصفهان، وفي إصفهان إستقبله الإمير علاء الدين بالترحاب و الإكرام. فأستطاع إبن سينا أن يتفرّغ لشيء من التأليف والعمل بالفلك(نفسه/4).

كان لإبن سينا عقل قوي و ذاكرة ممتازة وبراعة خاصة في التوصّل إلى جذور المسائل. فله مؤلفات في الفلسفة والطب والطبيعيات، فهو في كتبه متأثر بالثقافة الإغريقية و اليونانية و الفارسية. من أهم كتبه هو كتاب "قانون في الطب" الذي كان يدرس السنين المتوالية في الجامعات الغربية. هذا الكتاب يشتمل على فصل في تشريح الحنجرة واللسان، فهذا علم الطب وبراعته في تشريح الجهاز النطقي وثقافته الوسيعة ساعد إبن سينا في كتابة رسالته المسمى بإسم "أسباب حدوث الحروف" وهذه الرسالة هي موضوع بحث هذا المقال لتعريف هذه الرسالة وبيان الوجوه البديعة في هذه الرسالة.

رسالة أسباب حدوث الحروف:

كتب إبن سينا هذه الرسالة بإلتماس أبو منصور الجبان وبإسمها(ابن سينا، 4/1348). هذه الرسالة تشتمل على ستة فصول، فهي: الفصل الأول: في حدوث الصوت، الفصل الثاني: في سبب حدوث الحروف، الفصل الثالث: في تشريح الحنجرة واللسان، الفصل الرابع: في الأسباب الجزئية لحرف حرف من حروف العرب، الفصل الخامس: في الحروف الشبيهة بهذه الحروف وليست في لغة العرب والفصل السادس: في إن هذه الحروف قد تسمع من حركات غير نطقية. كما أسلفنا أسلوب إبن سينا في هذه الرسالة ممزوجة من الأسلوب الإغريقي و الهندي، فنحن نأتي بآراء إبن سينا في مجال الصوتيات وبعد نوازنه بآراء الأقدمين والمحدثين في هذا المجال، ثم نذكر النتيجة الأخيرة من هذه الموازنات ونأتي ببديع عمل شيخنا الكبير.

إبن سينا وآرائه الصوتية:

في الإبتداء يقول إبن سينا: "إن السببب القريب لحدوث الصوت التموج للهواء دفعة بسرعة وبقوة. والسبب الأكثري لهذا التموج هوالقرع، ولكنه ليس سببا كليا للصوت، لأن الصوت قد يحدث عن القلع وهو مقابل القرع"(نفسه/5). "أما في القرع فلإضطرار القارع الهواء إلى أن ينضغط و ينفلت من المسافة التي يسلكها القارع إلى جنبتيها بعنف و شدة وسرعة، أما في القلع فلإضطرار القالع الهواء إلى أن يندفع إلى المكان الذي أخلاه المقلوع منهما دفعة بعنف وشدّة"(نفسه/6). فهو بدأ القول بالبحث عن السبب

الكلي للصوت ودخل فيه بتفصيل هذه العملية. ولكنه ليس مطمئنا بهذا القول ويقول: كما أظن علة حدوث الصوت هي التموج وعلة التموج هي القرع والقلع(نفسه).

من المسائل التي يشير إليها إبن سينا في كتابه الآخر "الشفاء" هو: إن الصوت ليس الحالة التي حدثت في الأذن فحسب، بل يكون للصوت وجود خارج من الأذن، ومن أهم الأدلة التي تؤيد هذا النظر، هي، إن السامع يستطيع أن يدرک الجانب التي حدث الصوت منه والجانب الذي ينتهي حدوث الصوت فيها. فإن يحدث الصوت في الأذن فحسب لا يستطيع السامع أن يميز بين هذين الجانبين(ابن سينا، 1406/261).

في الفصل الثاني يأتي شيخ الرئيس بآرائه في أسباب حدوث الحروف، فيعدّ للحروف الصفتين:الحدة والثقل، ثم يأتي بتعريف الحرف. ويقول إن إتصال أجزاء المتموج وتملسها وتشظيها وتشذبها يفعل الحدّة والثقل. وحال المتموج من جهة الهيئات التي يستفيدها من المخارج والمحابس في مسلكه فيفعل الحرف. والحرف هيئة عارضة للصوت يتميز الصوت بها عن الصوت الآخر مثله في الحدّة والثقل تميزا في المسموع(نفسه/7). ثم يقسم الشيخ الحروف على قسمين: الحروف المفردة والحروف المركبة، فالحروف المفردة تحدث عن حبسات تامة للصوت أوالهوء الفاعل للصوت، يتبعها إطلاق دفعة، فالحروف المفردة هى:«الباء، التاء، الجيم، الدال، الطاء، القاف، الكاف، اللام، الميم والضاد والنون أيضاً من وجه».والحروف المركبة تكون بقية الحروف التي نراها في اللغة العربية(نفسه/8).

يعرض الشيخ في الفصل الثالث تشريح الجهاز النطقي، فهو يتحدث عنه خلال تشريح اللسان والحنجرة. فبدأ الكلام بالحنجرة. إن الحنجرة مركبة من ثلاثة غضاريف: غضروف الدرقي أوالترسي، غضروف عديم الإسم الذي خلف الدرقي ومتصل به بالرباطات يمنةً ويسرةً، والغضروف المسمى بالمكبى أوالطرجهاري(نفسه/11). ثم يدخل في تشريح هذه الغضاريف و دورها في حدوث الصوت و العضلات التي إنقباضها و إنبساطها لها دور الأساسي في حدة وثقل الصوت. وفي نهاية تشريح الحنجرة يقول الشيخ: إن هذه العضلات وهيئتها تختلف في الناس(نفسه/14_12). ثم ينتقل الشيخ الى تشريح اللسان و عضلاتها يصف الشيخ في هذا المجال حالات اللسان عند التكلم، ولكن الشيخ لم يطوّل القول في وصفه كما كان يتحدث عن الحنجرة. وفي هذه الفصول الثلاثُة يركز على الجانب الفيزيايي للصوت وينظر إلى القضايا الصوتية كلغويٍ ثم طبيب بارع .

فهو في هذا الفصل يتمتع بعلمه الطبي وهذا البحث قد إكتمل بالمباحث التي طرحها الشيخ في كتاب القانون. إن وصف الشيخ للجهاز النطقي مطبّق على

حصيلة علم التشريح الحديث، إلا أنّ الشيخ لم يشر إلى الأوتار الصوتية ودورها الهام في حدوث الصوت.

الآن ننتقل إلى الفصل الرابع الذي خصّصه الشيخ لمخارج الحروف و طريقة حدوث هذه الحروف. فهو يذكر مخارج الحروف و عملية حدوثها من أبعد المخرج و هو الحلق حتى يصل إلى أقرب المخرج و هو الشفة. فهو في هذا الفصل يركز على الجانب الفيزيايي ولكن يشير إلى الجوانب الفيسيولوجية للصوت أيضاً، كذكر صفة الصفير للزاى وذكر صفة التكرير والإطباق والغنة للأصوات الأخرى(ستوده نيا،1383). إن الشيخ في هذا الفصل لايستطيع أن يكون متبايناً عن ثقافته الطبية، فيستخدم بعض المصطلحات الطبية لتعيين مخارج الحروف، فيقول: «والعين في الموضع الذي يناله هواء للتهوع...والغين تحدث في موضع التغرغر»(السابق/29)، فمصطلحا التهوع والتغرغر يكونا مصطلحين طبيين ولا لغويين(شكيب انصاري،1383).

يعرض إبن سينا في الفصل الخامس بالحروف الشبيهة بالحروف العربية و لكنها ليس في اللغة العربية الفصيحة، بل تكون في اللهجات القديمة أو في اللغات التركية و الفارسية، و ليس لبعض هذه الحروف المذكورة منشأ دقيق في بعض الأحيان.

مما يميز به إبن سينا هو الفصل السادس للرسالة فهو في هذا الفصل دخل في إحدى فروع جديدة للغة وهو فرع إنتاج الصوت. إن الشيخ يسعى أن يستنسخ بعض الأصوات النطقية عن طريق غير النطقية، خلال إستخدام الظواهر الطبيعية أو بعض الآليات. فهو في هذا الفصل بدأ الكلام بالحروف التي مخرجها أبعد من سائر الحروف و هو العين فذكر حدوثه عن الطريقة الإصطناعية. إن الشيء الذي أعجب النفس به ويعترف النفس بذكاوة الشيخ و تدقيقه في بحثه بعد فهم هذا، هوإقتراح الشيخ لإنتاج الصوت و الصلة القوية بين هذا الإنتاج غِير النطقية و الصفة النطقية لهذا الصوت(ستوده نيا،1383)، فيقول الشيخ نموذجاً: « إن الفاء تحدث عن حفيف الأشجار»(ابن سينا، 29/1348). فحفيف نوعٌ من هبوب الرياح بالضغط، فصوت الفاء تحدث إثر الحبس التام والضغط القوي و الإحتكاك، فهذه الصلة بين حالة هبوب الرياح و صفة هذا الصوت علامة تدقيق الشيخ وإختباره العلمى للوصول إلى هذا لإستنساخ(السابق). ثمّ الشيخ ذكر آليّة إنتاج الأصوات الأخرى عن الطريق الإصطناعي، وذكر طريقين لإنتاج صوت إحياناً، فيقول نموذجاً في صوت اللام يحدث « عن صفق اليد على رطوبة، أو وقوع شيء فيها دفعة حتى يضطر الهواء إلى أن ينضغط معه ثم ينصرف». فهو رائد علم إنتاج الأصوات الإصطناعية دون أن يستخدم أى

الأجهزة الإلكترونية التي يستخدمها علماء هذا الفرع في العصر الحديث(شكيب انصاري، 1383).

الموازنة بين آراء القدماء وإبن سينا:

إن شيخ الرئيس بدأ الكلام بحدوث الصوت عامةً، إن القدماء لم يبحثوا عن حدوث الصوت والحروف بشكل العام كما عالج به إبن سينا، بل هم عالجوا بمخارج ومحابس للحروف وصفات الحروف.فلهذا إبن سينا هو أول عالم بحث عن كلية الصوت، الصوت الإنساني أو الصوت الطبيعي والحيواني. ثم يدخل في طريقة حدوث الحروف. إن الشيخ يبين لنا عملية حدوث الصوت خطوة بعد خطوة وخلال هذا يأتي بتعريف الحرف و هو في هذا الفصل كعالم طبيعي يشرح فيزياء الصوت، خلافاً للقدماء كسيبويه وإبن جني الذين بدأوا كلامهم بمخارج الحروف، يعني دخلوا في الفرع دون أن يأتوا بالكل. ونحن نرى هذا تقسيم إلى الصوت والحرف عند السيوطي أيضاً، فيقول: «الكلام:إما هو حرف أو صوت...» ثم يشيرإلى الجهاز النطقي التي يبدأ من أقصى الرئة إلى منتهى الفم(سيوطي، 36/1992).

إن إبن سينا يتمتع بعلمه الطبي في هذه الرسالة كثيراً، وفي تشريح الجهاز النطقي خاصةً. يقول الدكتور خانلري:إن العلماء العرب الأقدمين ما تحدثوا عن الجهاز النطقي، فإبن سينا هو رائد في هذا المجال (ابن سينا، 101/1348). أما الحقيقة يكون هكذا: إن العلماء الأقدمين تحدثوا عن الجهاز النطقي، و ذكروا أعضاء هذا الجهاز، لكنهم ما طوّلوا الكلام فيها، بل أشاروا إليه خلال معالجتهم لمخارج الحروف. وممايجدر بالذكر في هذا المقام هو: إن تشريح الشيخ الجهاز النطقي في قسمين يدل على تنبّه الشيخ للدور الأساسي لهذين العضوين، والقدماء لم يأتوا بهذا التقسيم فهم يركّزون على اللسان والحلق دون الإشارة إلى الحنجرة. فلسان عندهم أهم أداة لحدوث الصوت خلافاً لإبن سينا الذي يعتقد إن الحنجرة أهم عضوٍ في حدوث الصوت ثم اللسان(درار،2007/ 157).

إن الوجه البديع لعمل إبن سينا هو ذكر الحنجرة وتبيين دورها في حدوث الصوت. فالقدماء كالخليل و سيبويه وإبن جنى و تابعيهم لم يتنبهوا للحنجرة و دورها النطقي، و لكن الشيخ خلال ذكر الحنجرة، و وصف أجزاءها وصفاً مسهباً، جعلها مخرجاً لحرف الهاء و الهمزة. يعني الأصوات التي نسبوها الخليل و سيبويه إلى الحلق، نسبها إبن سينا إلى الحنجرة. فإن هذه الغفلة عن الحنجرة عند القدماء يكون ناشئاً عن عدم معرفتهم الطبية وعلم التشريح

وعدم ترجمة التراث الأجنبية الطبية التي نراها في عصر إبن سيناإيضاً(محمدقدور،51/1998).

بعض القدماء كإبن جني يعرّف لنا الحنجرة غير مباشرة عندما يتحدث عن الأصوات المختلفة وصفاتها و إختلاف مخارجها، فهو يستمد في تفهيم كلامه من آلة الغنى المسمى بآلة "الأرغن" التي مركبة عن ثلاثة زقاق كبار من جلود الجواميس يضم بعضها إلى بعض، ورأس الزّق الأوسط زقّ كبير، ثم يركب على هذا أنانيب. إن هذه الآلة و أجزاءها قريب من شكل الحنجرة و غضاريفها الثلاثة(درار،143/2007). فيقول إبن جني: هذا الأرغن«يسمعک صوتاً عجيباً يبکي بكاءاً شديداً،ويسمعک صوتاً مرقداً ينيم صاحبه على المكان، ويسمعک صوتاً يسحر ويذهب به العقل»(إبن جني، سر صناعة الاعراب /4). فهذه آلالة معروف في عصر إبن جني وتكون آلة الغناء عند الروم و اليونان في الحقيقة. فنستنتج من هذا الكلام، أنهم دركوا موضع حدوث الأصوات الحنجرية و لكن لم يعرف الحنجرة و تركيبه بصورة دقيقة.

أما اللسان هو الجزء الآخر التي عالج به إبن سينا ويعد لها ثماني عضلات. فالشيخ يركز على حالات اللسان عند التكلم و دور هذه العضلات في تحرک اللسان يعني يتوجه إلى الجانب الفيزيايي للصوت، و لم يدخل أثناء تشريح اللسان في بحث مخارج الحروف و صفاتها التي ترتبط باللسان، و لكن العلماء الأقدمين خلال بحث صفات الحروف ذكروا أعضاء اللسان يعنى إنهم عالجوا بفسيولوجية الصوت أكثر من فيزياء الصوت. فسيبويه يقسم اللسان على تسعة أقسام وذكر لكل منهم إسماً(درار،157/2007). خلاف إبن سينا الذي ذكر دور عضلات مختلفة في اللسان دون أن يذكر لهم إسماً. وسبب هذا هو إن الشيخ طبيب و لا لغويٍ يكون همه اللغة وقضاياه.

إن إبن سينا لايتبع أسلوب سيبويه أوالخليل في ترتيب مخارج الحروف خلاف سائر اللغويين الذين إتّبعوا طريقة سيبويه، كإبن جني وإبن يعيش. فترتيب مخارج الحروف لإبن سينا يكون هكذا: " ء، ه، ع، ح، غ، خ، ک، ق، ض، ج، ش، ی، ل، ر،ط، ت، د، ث، ظ، ذ، ل، ر، ف، ، ب، م، ن، و، ي، ا"

فإبن سينا يأتي بالألف آخر المخارج، لأنه يعتقد إن هذه من المصوتات وحدثت إثر مر الهواء عن مجرى الحلق، فليس بإمكاننا أن نجعلها بعد الهمزه التي تكون مخرجها الحنجرة(آقا گلزاده، 1383).

لم يغفل إبن سينا في وصفه للإصوات العربية عن الحركات أو الصوائت الستة (ـَ، ـِ، ـُ وآ، و، ي) ولو وصفه لهذه الحروف أقلّ دقةً من وصف

الصوامت. هو يعترف نفسه بعدم الدرک الدقيق لمخارج هذه الحروف(ابن سينا، 22/1348).

فهو يشير إلى المدة الزمنية التي يستغرقها نطق الحركات و لم يدخل في تعيين مخرج هذه الصوائت(باكلا، 1381). ولكن القدماء كسيبويه يعيّنون مخارجها، فيقول: "إن مخرج الياء هو وسط اللسان، مخرج الواو هو ما بطن الشفتين ومخرج الألف هو أقصى الحلق"(سيبويه، الكتاب/434). ولكن الخليل جعل مخرج الصوائت الطويلة والهمزة موضعاً يسميها الهاوي(الفراهيدى، العين/10).

إن بحث الشيخ في الحروف ليس بحثاً جديداً في اللغة العربية، بل نراه عند سيبويه و إبن جنّي أيضاً. فالشيخ يذكر تسعة من هذه الحروف ـ كالباء المشددة التي تقع في لغة الفرس «پ» و الفاء التي كالباء في لغة الفرس كالفاء في لفظة «فزوني» ـ ثم يذكر وجوه الإختلاف بين مخارج هذه الحروف و طريقة حدوثها و ذكر شباهة هذه الحروف بالحروف التي تكون مشبهة بها في اللغة العربية الفصيحة(الرسالة/92-86).

إن القدماء كسيبويه و إبن جني يقسم هذه الحروف على قسمين: الحروف المستحسنة و الحروف غير المستحسنة، فالحروف المستحسنة عند هما تكون هكذا: النون الخفيفة، الهمزة التي بين بين الألف التي تمال إمالة شديدة، الشين التي كالجيم... وحروف غيرالمستحسنة: نون الخفيفة، الهمزة المخفّفة، والألف الإمالة... وإختلافهما يكون: في أن إبن جنّي يعدّ الصاد التي كالزاى من الحروف غير المستحسنة وإختلاف آخر في تسمية بعض الحروف، فيسمّي إبن جنّي همزة بين بين بالهمزة المفخمّة والنون الخفيفة بالنون الخفيّة(إبن جنى،سر صناعة الإعراب/121وسيبويه، الكتاب/432).

نحن نرى بأن الشيخ لم يأتِ بهذا التقسيم الدقيق، بل يذكر هذه الحروف دون ترتيب خاص. و في الموارد التي لم يذكر الشيخ المخرج الدقيق لهذه الحروف بإمكاننا أن نقول هو متأثرة بالنظام اللغوي الإغريقي. إن إبن سينا في هذا الفصل يأتي بمقارنات بين الحروف العربية و الحروف الفارسية أو التركية. فهو في هذا الفصل يسعى أن يبين وجوه الشباهة الصوتية بين العربية والفارسية متأثراً بثقافته الفارسية أيضاً(ستوده نيا،1383). فدراسته في هذا الفصل دراسة غنيّة في مجال الدرس الصوتي المقارن(محمود ياسين/2002).

إبن سينا وعلم اللغة الحديث:

إن الشيخ يتكلم حول الجانبين من علم الأصوات: علم الأصوات النطقي(الفيسيولوجى) و علم الأصوات الفيزيائي(الإكوستيكي) و عمله و أسلوبه قريب من حصيلة عمل اللغويون الحديث لكنه ما دخل في علم الأصوات السمعي و يشير إلى دور الأذن أو الصماخ أثناء كلامه أحياناً فقط.

هو يذكر سبب حدوث الصوت و بعد يدخل في سبب حدوث الحروف. فغرضه من الصوت هو كل الأصوات في الطبيعة و غرضه من الحروف هو الأصوات الإنسانية(محمود ياسين/2002). فهذا الترتيب مطبق على ترتيب عمل المحدثين، فهم يأتون بتعريف الصوت و سبب حدوثه، ثم يتكلمون حول حدوث الحروف و مخارجها وصفاتها(ستوده نيا، 1383).

فعالمنا يعتقد بأن الصوت يحدث إثر التموج الهواء التي توجد بسبب القرع و القلع (ابن سينا، 5/1348). هذا الدليل لسبب حدوث الصوت قريب من آراء علماء اللغة الحديث فهم يقولون: إن الصوت يحدث إثر الذبذبات الصادرة التي تكون في الغالب من الحنجرة أو الوترين الصوتيين لدى الإنسان. فعند إندفاع النفس من الرئتين يمرّ بالحنجرة فيسبب تلك الإهتزازات التي تكون من مصدر الصوت، فخلا له الهواء الخارجي تنتقل الإهتزازات في شكل موجاتٍ حتى تصل إلى الأذن(صالح الضامن، 163/2007). الحقيقة التي يشير إليه إبن سينا في كتابه الشفاء و يقول: إن الصوت الظاهرة خارجية وداخلية وليس في الإذن فحسب هى منشأ بحوث العلماء الحديث وأدّى إلى إنتاج بعض الآلات الإلكترونية.

الآن ندخل في ذكر بعض وجوه الشباهة بين عمل الشيخ و عمل علماء في العصر الحديث فغرض الشيخ من الحروف الحادة و الثقيلة هو ما نبحث عنها اليوم في درجة الصوت وتعداد الذبذبات الصوتية في الأصوات الحادة والعميقة. فيقول غير مباشر: إن أجزاء المتموج في الأصوات الحادة مقترب إلى الأخرى، و في الأصوات الثقيلة مبعدة عن الأخرى، يعنى الشيخ في هذا المكان دخل في بحث عن سعة الموج الصوتي(أنيس،1374). فهو يعتقد بأن إختلاف الحروف يكون في هيئة الحروف(رساله/7)، وهذه الهيئة في الحقيقة هي الأمواج الصوتية الفرعية التي إختلط بالأمواج الأصلية، ويسميها المعاصرون بالأمواج المتناسبة(اقا گلزاده، 1383). عندما يتكلم الشيخ عن الحروف المفردة والمركبة، يتكلم عن الحروف الإنفجارية و الإحتكاكية في الحقيقة و يختلف تسميتها عنده فقط(مهند،1383).

إن إبن سينا يشير في كتابه «القانون» إلى: أن صوت الرجال من الأصوات الثقيلة و صوت النساء من الأصوات الحادة(ابن سينا، 418/1366). إن ننظر في كلام المحدثين نرى هذا الكلام بصورة أخرى، برأيهم إن درجة

صوت المرء يتناسب مع سنه و جنسه و عدد الإهتزازات في الثانية. إن الأطفال و النساء أحد أصواتاً من الرجال، لأن الوترين الصوتيين فيهما أقلّ ضخامةً و أقصر منهم، و هذا يؤدّي إلى زيادة في سرعتهما وعدد ذبذباتها في الثانية، فيصير صوت النساء و الأطفال أحدّاً من صوت الرجال(صالح الضامن، 164/2007).

إن الشيخ في الفصليين الأول و الثاني لم يغفل عن فسيولوجية الصوت بل يشير إلى الحبس الأشد و ألين و حدة و ثقل الصوت، و لكنه لم يتناول به كثيراً كما يتناول بالجوانب الفيزيائية للصوت، لأنه طبيبٌ والأطباء يشتغلون بالفيزياء والتشريح ولا الفسيولوجيا(باكلا، 1380).

إن تشريح الشيخ للحنجرة واللسان دقيق جداً. فهو يذكر ثلاثة غضاريف للحنجرة ويتناول الناحية الوظيفية لهذه المكونات الحنجرية و دورها في حدوث الصوت. فهذا العمل كعمل علماء التشريح اليوم، لكن الشيخ لم يشرإلى الوترين الصوتيين ودورهما الهام في حدوث الصوت(شكيب انصارى، 1383). و من وجوه الإختلاف بينه و بينهم هى: إن مايسميها الشيخ عديم الإسم هو ما يسمونها اليوم لسان المزمار، و الذي يسميها الشيخ لسان المزمار هو مايسمونها فتحة المزمار(انيس،1374/138-137). علينا أن ننتبه إلى تعريف لسان المزمار، فهو لسان صغير شبيه برأس الملعقة و واقعة فوق الحنجرة، وظيفتها حماية الحنجرة و طريق التنفس حتى لايدخل شيئاً فيه أثناء البلع (الراجحي ، /29) فإن عمل هذا اللسان كعمل الذي يذكر الشيخ لعديم الإسم. و في تشريح غضروف الطرجهاري لم يشر إبن سينا إلى شعبتى هذا الغضروف تكونان كالمغرفة و لهما دور هام في حدوث الصوت(نفسه).

إن الشيخ في تشريح اللسان يقول: إن اللسان يتكون من ثماني عضلات، و علماء التشريح الحديث يعدون سبع عشرة عضلة للسان، فإن ننظر ونتأمل، ندرک بأن الشيخ يأتي بالعضلات ثناء و مثنى، ثم يأتي بعضلة وحيدة(اقا گلزاده، 1383).

إن ترتيب المخارج عند إبن سينا يكون خلافاً لعلماء الحديث، لأنهم يرتبون المخارج من أقرب المخارج «الشفة» إلى أقصى المخارج«الحنجرة»، و الشيخ يرتب عكس هذا. و من وجوه الشباهة في تعيين مخارج الحروف بينه و بينهم هو في تعيين مخرج الهمزة والهاء، فهو يجعل مخرجهما الحنجرة، و المحدثين يجعلون مخرجهما الحنجرة و لكنهم يركزون على دور الوترين الصوتيين في حدوثهما. فيقولون أن هذا المخرج يتحقق عندما تتوقف حركة الوترين الصوتيين و يتقلص الغشاء الداخلي، فهو مخرج الهمزة و الهاء(لوشن، 114/2008)، و الشيخ لا يشير إلى دور الأوتار الصوتي.

نحن نرى بديع عمل إبن سينا في الفصل الأخير من رسالته، هو يأتي بمعلومات التي تكون أسس العلم الذي ليس بعض جوانبه معروفة حتى الآن، نعم هو رائد علم إنتاج الأصوات الإصطناعية. إن الشيخ في هذا الفصل يقرب إلى علم الأصوات السمعي و جوانبه الفسيولوجية أكثر فأكثر(باكلا، 1383). فهو يستخدم مظاهر الطبيعة وحالاتها و بعض الآليات، حتى يستنسخ بعض الأصوات و الحروف. إن حاصل عمل الشيخ في هذا المجال، يطابق على عمل علماء التجويد واللغويين الحديث. فيقول نموذجاً: إن صوت اللام يحدث عن صفق اليد على رطوبة أو وقوع شيءٍ فيها دفعةً، حتى يضطر الهواء إلى أن ينضغط معه ثم يتصرف وتتبعه رطوبةً(ابن سينا، 29/1348). فهو بهذا الإستنساخ يشير إلى صفة التي يعدها علماء التجويد للام، و هي صفة بين الرخوة و الشدة. يعني لايصل إلى إحتكاك الواو أو الفاء و لا إنسداد الهمزة. و في حدوث صوت السين يشير غير مباشر إلى صفة الصفير له، فعندما يمر الهواء عن أسنان المشط يحدث هذا الإحتكاك و الصفير بوضوح(ستوده نيا، 1383). فهذه النقاط يبين لنا، إن عمل الشيخ في مجال إنتاج الصوت يكون عملاً تجريبياً وعلمياً دقيقاً دون إستخدام الآليات، واليوم اللغويون المعاصرون يتباحثون حول هذا إنتاج الصوت الإصطناعي بالكمبيوتر والبرامج الخاصة لها.

ولكن علينا أن نشير إلى قول الدكتور إبراهيم أنيس في هذا المجال فيقول : إن هذا إقتراحات الشيخ قريب بآراء الحديثة. و لكن بعد إختبار بعض الطلاب في إقتراحات الشيخ في الأصوات الإصطناعية، نحن نرى بعض الإختلافات في إستنباطهم و إستنباط الشيخ. إن هذا الإختلاف يرجع إلى عاملين، الأول: كل شخص في حياته اليومية يدرب الأصوات و يأنس بالأصوات النطقية و غيرالنطقية في بيئته. لكن تجربة الشخص في هذا المكان و ذاك المكان مختلفة. و العامل الثاني: إن تفسير المخ من أثر السمعية لكل الأمواج الصوتية بين أفراد الناس مختلفة، فلهذا من الواضح أن نرى الإختلاف بين إستنباط الشيخ وإستنباطنا من بعض الظواهرالصوتية الإصطناعية. فلهذا لايمكننا أن نطبق هذا الإنتاج الإصطناعي للأصوات على كل اللغات و حتى على اللغة العربية في كل البلاد(انيس، 142-143/1374).

النتيجة:

فهذا شيخ الرئيس إبن سينا عالمنا و طبيبنا الذي إمتزج بين علمه اللغوى و الطبي و خلق أثراً بديعاً و خالداً في علم الأصوات. فهو في منهجه أقرب إلى علماء الحديث و لكنه هو في أسلوبه لا يتبع عالماً لغوياً حديثاً أوقديماً لأنه طبيب وينظر إلى الصوت كموجود له أجزاء مختلفة. فهو كعالم طبيعي دقيق يبدأ من الجزء ثم يدخل في الكل. فهو أول عالم عربي بدأ القول بالبحث عن الصوت بالشكل العام يعني ينظر إلى الطبيعة الإنسانية و غير الإنسانية و يدرک حقيقة الصوت فيها و يشرح طريقة حدوثه ثم يدخل في الحروف و هى الأصوات الإنسانية. فهو تطور تطوراً عميقاً في علم التشريح فهو يعرف للعلماء الحنجرة و دوره الهام في حدوث الصوت و لكنه لايشير إلى دور الأوتار الصوتية في حدوث الصوت.

إن الشيخ في ترتيب مخارج الحروف يأتي برأى جديد، والعلماء من قبله كانوا يتبعون منهج سيبويه ولكن الشيخ بعد تدقيق و تفكير عميق انحرف عن هذا المنهج و منهجه يطابق على علم اللغة الحديث. إن إبن سينا يتناول الجانب الفيزيائي للصوت أكثر من الجانب الفسيولوجي، و هذا من الواضح ، لأنه كان عالماً طبيعياً و طبيباً و كان يشتغل بالفيزياء و التشريح.

إننا نرى أروع وأبدع عمل شيخ الرئيس في الفصلين الآخرين اللذين يدخل فيهما إلى الفرعين الجديدين من علم اللغة و هما: فرع الدرس الصوتي المقارن و فرع علم إنتاج الصوت الإصطناعي الذي يكون موضع البحث والمناقشة عند المعاصرين و يعبرون عنه بعلم الاصوات العاطفي أحياناً. فهو يبدع و يخترع دون أن يحصل على الحاسوب و الآلات الصوتية الجديدة و دون أن يقف عمره في سبيل الصوت، فهو أهل العلم و الدقة و الجهد الكبير فعندما يدخل في طريق يأتي ببديع وجديد.

المصادر والمراجع:

- ابن ابي اصيبعه؛ (1882) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، المطبعة الوهبية.
- ابن سينا؛ (1348) رساله أسباب حدوث الحروف، ترجمه:پرويز ناتل خانلري، تهران: انتشارات بنياد فرهنگي ايران.
- إبن سينا؛ (1366) قانون درطب: كتاب سوم، ترجمه: عبد الرحمن شرفكندى، تهران: اتشارات سروش.
- إبن سينا؛(1406) الشفاء: الطبيعيات، تحقيق: ابراهيم مدكور، قم: منشورات مكتبة آية العظمى المرعشي النجفي.
- إبن جنى، ابوالفتح عثمان؛ سر صناعة الإعراب، مصر:دار الكتب المصرية.
- آقاگلزاده، فردوس؛ (1383) «يافته هاى زبانشناختي ابن سينا وزبان شناسي معاصر»، مجموعه مقالات همايش بين المللى ابن سينا. www.buali.ir
- انيس، ابراهيم(1374) آواشناسي زبان عربى، ترجمه: ابو الفضل علامى وصفر سفيدرو، تهران: انتشارات اسوه
- باكلا، محمد حسن؛ (1380) «إسهام العرب في الدراسات الصوتية»، آفاق الحضارة الإسلامية، السنة السادسة، الرقم: الحادي عشر.
- درار،مكي؛ (2007) الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه :خلفيات وامتداد، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- الراجحي، شرف الدين على؛ (د.ت) في علم اللغة عند العرب ورأى علم اللغة الحديث، اسكندريه: درالمعرفة الجامعيه.
- ستوده نيا، محمدرضا؛(1383) «نگرشي برديدگاههاى ابن سينا در علم آواشناسى»، مجموعة المقالات في المؤتمر ابن سينا، همدان،www.buali.ir
- سيبويه؛(د.ت) الكتاب،تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، بيروت: دارالجيل.
- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين؛ (1986) المزهر في علوم اللغة وانواعها، بيروت: مكتبة النهضة العربية.
- شكيب انصاري، محمود؛ (1383) «بوعلي سيناوآواشناسى»، مجموعة المقالات في المؤتمر ابن سينا، همدان،www.buali.ir
- صالح الضامن، حاتم؛ (2007) فقه اللغة، قاهره: دارالآفاق العربية.
- الفراهيدي، خليل بن أحمد؛(1999 م) العين، لبنان، دار ومكتبة الهلال.
- لوشن، نور الهدى؛ (2008) مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، قاهره: المكتب الجامعي الحديث.
- محمدقدور، احمد؛ (1998) اصالةعلم الاصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، دمشق: دارالفكر المعاصر .
- محمود حسن ياسين، عاليه؛ (2003) الدرس الصوتي في التراث البلاغي حتى نهاية القرن الخامس الهجري، جامعة النجاح الوطنية: كلية الدراسات العليا.
- مهند، محمد راسخ؛ (1383) «نگرشهاى زباني ابن سينا»، مجموعة المقالات في المؤتمر ابن سينا، همدان،www.buali.ir

INVESTIGATING OF THE PHYSIOLOGICED AND PHYSICED LINGUSTIC OF THE PHONEMES BY THE IBN SINA

Science of the phonemes has improved dranaficly and quickly as result of huge changes and developmentsof electroniced devices, scan imaging, computer scienc and also attempts of sincere scientists

Nonthelees, science of phonemes and phonetics have remained origined and undisturbed and also thereare extersive fields for useful discussions in the context.

Primary scientesiet have submitted shing and honorable pages in related subjects, however, they had not been reliant to any electronical devices(linstrunents).In nfact, they were relied on their particular feedings and innate innovation.

Among this researches, investigatin phonemes physiology has attended by many consulfors including Sibevayh in the book of "Alketab", Ibn jeni in book of" Sere senat alerab" and Ibn sina in the book of "Ghanoon". The book of "Asbab alhodoos alhoroof" Ibn sina may be the most important resources in the mentioned fields.

As Ibn sina in so books like" Ghanoon", the book of"Shafa" and other his works has talked based on physiced aspects of phoneme and physiologiced of speech hearing, but all physiological and physical sides of phonemes demonstrated either general forms for Arabian phonemes or special forms for some Persian phonemes.

This research is considered at study the opinions of this great philosopher in linguistic fields and in the physiology of phoneme, one of the most precise branches.

While contemprory scientists may not have attended to this book because the author is not only one of the linguistic scientists but also is the formost philosopher and physician.

Key wrds: Investigating, Lingustic, Physiologiced, Phisced, Ibn Sina

بين القيم الواقعية والجمالية في أعمال جاسم المطير السردية

الدكتور تيسير عبدالجبار الآلوسي

الأدبُ , الفن ، الجمالُ عوالم تعبيرية، الولوج فيها يقتضي وسائلَ مناسبة للحصول على ثمارها .. فالاشتغالُ على اللسانِ يفترضُ ضرورةَ العودةِ إلى البذرةِ الأولى التي يتحددُ انطلاقاًَ منها , المعنى وذاته معاًَ .. حيث يقدّم كلّ نشاطٍ أدبي نفسَه في شكلِ مافوظاتٍ منتهية من الناحية الإنشائية البنائية .. تكون هذه الملفوظات هي المستهدفة في أي عمل تحليلي...

وإذا كان لازماًَ أنْ نقرأ وظيفةًَ للأدبِ فعلينا لتسويغ ذلك أنْ نعودَ أولاًَ إلى ما للروايةِ من قيمة سيميولوجيةٍ (علاماتية , دلالية) مزدوجة فهي من جهةٍ ظاهرة لسانية بوصفها حكايةًَ أو تعبيراًَ جمالياًَللتشكّل الأدبي , وهي من جهة أخرى مسار خطابي أي رسالة أو موضوع للتبادل.

و من البُعدَين يمكن الكشف عن مردود نفعي أو وظيفي للأدب يكمن في الكشف عن العلاقة بين الإنسان و عالمه المحيط به في اللجظة الحية , و بذلك فالأدبُ رسالةٌ تفاهمٍ تنشّط الوعي الجمعي لمتلقيه و تدفع به إلى مزيدٍ من التوحّدِ و الاندماج..أسوق هذه المقدمة للقول :- إنّنا بصدد مجموعة من الأعمال الأدبية التي تظل بحاجة للمناقشة و الدرس و استكناه معطياتها الجمالية و الفكرية بالعمق الذي تستحقه في أبعد من هذه لمداخلة التحليلية المجملة.

إنً إيراد هذه الملاحظة يأتي للتأكيدعلى ما حصل مع أدبنا كثيراًَ من تقصير النقد الذي ظل مراوحاًَ في الغالب بين جدران الدراسات الأكاديمية والأعمال الصحفية المستعجلة.لذلك تحاول هذه القراءة على توسيع دائرة التساؤلات ومحاور القراءة بما يخدم المتلقي غير المتخصص أيضاًَ...

و بغاية منح هذه القراءة وضوحها سنعرض لتقديم تعريف بالأعمال قيد المناقشة والمساءلة ومثل هذا التقديم هو من زاوية معينة رؤية نقدية ...

لقد كتب المطير زقاق الأقنان , تأملات سجان , رسائل حب خليجية , المولود في مدن القلق , الَزبْزَب ,و كذلك نهار النرجس ثم الخماسية القصصية : المقتدر بالله البغدادي ونسوانه , أنا عشيقة الوزير , لوفياثان , آه يا كاني ماسي , عراقسيس.

لقد توزعت هذه الأعمال بين الرواية و القصة و القصة القصيرة و للأهمية لابد أنْ أشير هنا إلى أنً بعض مَنْ قرأ في الخماسية نحا باتجاه عدّها رواية من جهة الاشتراك بالشخصية أو بالفكرة أو الموضوع وإذْ لا أنفي السمة الروائية (مثلما لا أنفي أية سمات أدبية أخرى كالغنائية و الدرامية) .. لا أجدني متعجلاَ لتجنيس هذه الأعمالالإبداعية في هذا النوع الأدبي أو ذاك.و مناسبة هذه الإشارة اعتقادي بدلالة الشكل الأدبي و تغيرها مع معطيات التغير النوعي للتعبير الأدبي و الفني.

و مثلما تتبدى تلك الأعمال حكائياَ أي في إطار (الحكاية) جنساَ أدبياَ فإنًها تتبدى عبر جماليات التعبير الرمزي أو الواقعي. و في مستوى التعبير الرمزي نقرأ قصصاَ قصيرةَ مبنيةَ بشكلٍ هندسي مبدع يخضع لمعطيات هذا الجنس الأدبي كما هو حال مجموعة "" الزبزب"" فأغلب عناوين هذه المجموعة تستعير أسماء الحيوان رمزاَيهيئ للتعامل مع أجواء البنية الفنية المعبرة عن مادتها.

الزبزب حيوان له جذور في الذاكرة الجمعية تشير إلى معالمَ و توصيفاتٍ خرافية في منحى و واقعية في منحى آخر وهو ما يحصل اليوم حيث يفتك بالمدينة :- " مجرم سفاك خطير تعذر على الأهالي رصده وقد سبق لهذا المجرم أنْ ظهر قبل مائة عام وألف عام" (1) والراوي بعد ذلك يمعن في عبارات توحي بما وراء سطورها بالإسطوري تعميقاَ لمعطيات القصة و عالمها. و لكن هذا العالم لا ينفصل عن الواقع المرتجى حين يتحدث الراوي

قائلاًَ:- " لأول مرة في تاريخ بغداد يتفق سكانها على حماية مدينتهم اعتماداًَ على رأي موحًد..."(2){و قد يكون في بعض ما يرمي إليه الروائي هو دعوة غير مباشرة لوحدة واجبة اليوم وهو أمر مفهوم الغاية}و القصة التي تتابع هذا الزبزب في جريمته لاتني تسلّط الضوءَ على صفاته, فغير كونه مثيراًَ للهلع و قاتلاَ ًبلا رحمة فهو يكنّ في داخله التوجس من الأموات و الخوف من الأحياء الذين إذا ما اتحدوا هرب منهم..

و الرمزية تظل بادية ليس في استخدام الأسماء بل في بنية الحكاية كما يحصل مع (الفيالون) التي ينضافإليها متعة الجمع بين المعرفة و الفلسفة والسياسة و الأدب التي تشكل لوحة منمنمة من فسيفساء المعرفة الفاسفة..

فلقد قتل الفيل المُهدى من حاكم الهند لحاكم العراق طفلاًَ وها هو الراوي يقول :- " حدثنا أبو عمرو أنً ديكارت وسارتر وماركس وبيتهوفن و روبسبير لم يستبصروا حتى الآن عن تنبؤ تقريبي لما حدث للصبي في بطن الفيل"(3) .. ومن الطبيعي أنْ يقول المتلقي منكم:- إنً جميع هؤلاء لا علاقة لهم بالاستبصار وليس بينهم فتًاح فأل و هذه الدعاية التي تنتهي بها القصة تعتمد في فتح مغاليقها على معرفة المتلقي تلك وفطنَتِهِ...

وفي " المراسيم وراعي الغنم" تصير المراسيمُ التي تكيل بلادَنا لعنةَ ًَ- أدركَ فيها بطلُ القصةِ أنً مدينة الشط (البصرة) ستخلو من الحياة في ظل هذه المراسيم وفي الصفحة (27) من القصة يرى أنً البلد صار في ظل المخزيين سجناَ ًَ يبكي فيه كلّ مواطن .. لذا فهو يدعو درع النخيل أنْ ينهضَ أمام العواصف و أنْ يَنْطقَ الساكتُ و يتحرك للخلاص, طبعاَ ًَ يجري ذلك وراء شفرات النص فمثلاَ ًَ الأغنام أشرف الحيوانات, إنًها لا تأكل بعضها بعضاَ ًَ, إنًها لا تؤذي وهذه إشارة أو شفرة وا1ضحة الدلالة...

و باستمرار رصد الرمزية نشير إلى قصة " الكرات الحريرية" وهي لا تنطوي على الرمزية بمعناها المذهبي المعروف ولكنها تفرز ذلك من ثنايا توظيف طقوس أسطورية وأخرى تعود لبنية

الحكاية الخرافية.. فبطل هذه القصة نصف إنسان نصف حوت وهو إذْ يطلب شرطاَ لترك (البصرة) آمنة يعود فيمنح المدينة أرائك زاهية للحالمين بالحكمة والفلسفة كما تقول الحكاية عندما يحصل على الفتاة\الشرط التي تلد للبلدة شاعراَ, راوية , طبيباَ , عالماَ في اللغة...

إنَّ ما تتصف به هذه المجموعة القصصية يتمثل في الخطوط العامة الآتية:-

الرمزية مع توظيف الطقوس الأسطورية... ومن ذلك نفهم أنَّ الأدب مايزال يعطي في إطار الآثار الفنية القادمة من الماضي البعيد (الأسطورة , الخرافة , وغيرهما...) و هذا يعني أنَّ تلك الأشكال التعبيرية مازالت توفركفايات إيجابية لما لا يزال من الحاجات الجمالية محتفظاَ بصفات البقاء و العطاء. و هذا يعني(أيضاَ) أنَّنا بصدد قراءة وظائفية الأدب والفن في صلته بحياة الإنسان الروخية. ألا يستمدّ المطير هذا من الحكاية (كما ألف ليلة.., كليلة و دمنة...).....

ألا يستمدّ من الأسطورة والخرافة....

ألا يوظّفها جميعاَ في قراءة موضوعة معاصرة بمعالجات جديدة ؟.....

<u>إنَّهُ لكذلك.</u>

فمن توظيف الأسطورة نجد وظائف من نمط كسر أو تجاوز الأطر البلاغية - التقليدية و تعميق التضمينات والرموز التي لا تقصد لذاتها بل لإحياء دلالة أو معالجتها , ومن انصهار شكلين جماليين أو جنسين أدبيين يمنحنا نص المطير تحولاَ بميكانزم (آلية) اللغة العادية إلى شعرية (بمعناها الواسع) الخطاب الروائي.

و المقصود هنا ظهور ثنائيات تقع على ضفافها تلك الشعرية مثل ثنائية:- واقعي \ أسطوري , حقيقي \ خرافي ,ثم توالد الدلالات عبر شفرة \ دلالة , متحوّلةَ في صيرورة تستغرق العملَ السرديً كلَّهُ. على أنَّني لابد أنْ أذكّر هنا إلى أن هذا التقابل لا يؤخذ على أساس إيقوني حيث الأفعى تقابل الشريرة مثلاَ ...

إنًنا بصدد أعمال سردية تفارق هذا المستوى الأولي للترميز و التشفير.
وبعامة يمكن القول إنً من سمات هذه المجموعة القصصية:-
الابتعاد عن الحكاية بنية والاقتراب منها موضوعاَ....
عصرنة الموضوعة وتحديثها.. بالربط بين ماضي الحكايات و وقائع الحاضر....

و تختفي فيها المباشرة خلف حلول فنية مبدعة لا يمكن إغفالها...
و بغرض التنويع و الاختزال سأمر إلى مجموعة " نهار النرجس" و هي قصص واقعية تخلو من الفجاجة و التبسيط كما يحصل أحيانا مع بعض الأعمال التي تتناول وقائع اليوم العادي للإنسان...
المطير هنا يبحث عن معادل موضوعي يكافئ تلك التجربة الشخصية الثرّة التي تجمعت في حناياه .. لكن " أنا الراوي" عنده لا ينطبق على أية شخصية فعلية ملموسة (رياضياَ) و لا حتى شخصيته هو نفسه (أي المطير)نً ما يبدو للوهلة الأولى أنًه تعبير عن واقع محدد لا يلبث أنْ يتكشف عند التحليل النقدي والفحص الدقيق عن صيغة جمالية مفروضة على هذا الواقع.
إنً أي صورة واقعية تتحول لعمل أدبي تخضع لشروطه الجمالية.. فإذا قلت لي إنً " صورة فتاة اسمها دليلة" هي وصف منقول من محضر تحقيق في جريمة مقتل خليل الجزائري فإنًني لن أخالف هذا القول إلاّ بالإشارة إلى النص لغةَ و صورةَ فليس من الملفات وصف إيماءات الوجوه و ارتجاف الأنامل وزاوية النظر للموضوع ومعالجته وليس منها تلك النهاية المتعلقة بصورة دليلة وإيحاءاتها بانفتاح على عالم آخر, عالم ما بعد تلك الجريمة ...

و لمتابعة المجموعة و طبيعتها الواقعية سنقرأ قصة " نهار النرجس" التي يخرج فيها الأب بعد خمس سنوات سجن ليكتشف مرارات تجرعتها عائلته من القريب قبل الغريب , ولكن (صفاء

) ابنته التي كبرت وعركت مصاعب الحياة باكراً هي ورقة هذه القصةو بؤرتها وعلى لسانها تأتي مجريات القصة التي تكشف مظالم حكمت حياتها و حياة نساء مدينتها فتدخل في محاكمة حتى مع أوضاع أبيها التي استجدت بعد خروجه من السجن ...وقد انفضً عنه حتى أعضاء الحزب الذي ينتمي إليه...

أما ليلة في القطار النازل فبطلها شاب يرافق والده في رحلاته الشهرية إلى البصرة { و لاحظوا معي ظهور البصرة كثيراً في أعمال المطير } , وعبر الحكاية تتوالد حكاياتٌ متعددةٌ و متنوعةٌ لتتضخم القصة بهذا التوالد الحكائي , ولكن طبيعة تنظيم العلاقات داخل القصة و قوة السبك والبناء المحكم هو ما يقنعنا بالتجوال في أروقة تلك البنية المفتوحة.

إنُ البحث عن (وثائق) في ثنايا الأعمال الواقعية أمر فيه وَهْمٌ كثير ذلك أنَّنا نبحث في علاقة تقوم بين العمل وبين (خطاب) مبثوث يمتلك كلُ فرد يقرأ النص بعضاً منه ... ولا يستطيع فرد واحد إدعاء امتلاكه لوحده . إنً أمر هذا الخطاب يقع في الوعي الجمعي حيث يتشكل الرأي العام وقيمُه الجمالية والفكرية...

و بالانتقال إلى الخماسية , فإنً قارئها يجدها تمتاحُ موضوعَها من واقع عرفناه نحن الذين نقرأ في هذه السطور , عن كثب عشنا أيام التحالفات والتصالحات والتقاطعات والاصطدامات , وكلها دموية بما فيها التحالفات .. فليس في الذاكرة إلاّ اعدامات .. اغتيالات.. اختفاءات وازهاق الحيوات بالجملة , هذاغير دم العذاريوالأجنة المجهضة وصدمات القلوب والأدمغة والثاليوم !!

<u>هل من المنطق أنْ تكون هذه هي تفاصيل يومنا العادي ؟!!</u>

منذ اللحظة الأولى لهذه المجموعات القصصية سندخل في عوالمٍ مفسَّرةٍ موضوعياً وأحاول هنا ترتيب أولويات الموضوعات ولغيرسبب تتقدم هنا موضوعة المرأة عند المطير أو في قصصه والإيروتيكية و طقوس العلاقات الإجتماعية

المريضة التي تجابهنا باستمرار في أعماله مثيرة لجدل يفرض وقفة متأنية ...
المرأة في هذه المجموعات في جميع الأحوال ساقطة هامشية لا تعرف من العلاقاتِ غيرَ أحابيل الخداع و الخيانة والغدر , إنَّها مريضةٌ غير سوية...
في لدغة النيران نجد الزوجة الباحثة عن حلول لمكانة زوجها المهددة بالضياع ولمنزلته ووظيفته , ومن ثم للجاهوالمال اللذين تمتلكهما نجدها تقدّم جسدها للعرّاف ثمناَ لذلك وتكشف لنا القصة عن نساء بالجملة ! فعَلْنَ الحكاية نفسَها ليحصلن على مطالب حياتية يمكن أنْ تأتي بغير هذه الوسائل الرخيصة.
وفي الطريق إلى كهف سوسياتا زوجة الهيبو(4) هي التي تنام في فراش العرّاف كرمان يحيى كرمان....
وفي طوبى للمحبين عالية تعاشر بدران وهي زوجة أخيه (العرّاف)....
والمرأة في العبور إلى حقل الزهور هي الزوجة الثالثة التي لم تنجب لزوجها المسؤول الكبير في سلطة البلاد فتندلق على حكاية مع سائق سيارة زوجها لتنجب له من ذلك السائق.
أما في مجموعة أنا عشيقة الوزير فلا يختلف الأمر
إنَّنا نقرأ عن السكرتيرة المتمردة تمارس الخطيئة حتى مع المستشار نفسِهِ والأمر مع عشيقة الوزير التي يحظى بها سائقُهُ قبل أنْ يجلبها له كل أربعاء..
لماذا هذا التوصيف ؟؟!
قد يتساءل بعضنا هكذا بتعجب !
لكنَّ الإشكالية ليست في صورة المرأةِ سلبيةَ , ولا في إشكالية الإيروتيكية بل في توظيف هاتين الموضوعتين..
وعلى الرغم من أنَّ المعنى الأول لهذا التوظيف يحمل كسراَ لتابو (أو محظور) في حياتنا عندما يتعلق الأمر بالتقاليد والعادات وما تتضمن بشأن موضوعات المرأة , الجنس وما إليهما.. فإنَّ عالم هذه المجموعة هو عالم سلطة فاسدة .. ولأنَّ

المعالجة الفنية منصبَّة على كشف هذا العالم من الداخل , من خلال شخوصه فإنَّنا لسنا أمام توصيف المرأة العراقية ولسنا أمام عالمها مثلما نحن لسنا بصدد الوجه الآخرلها, الوجه الإيجابي المعروف عنها.

إنَّ المطير يريد بهذا الاختيار وعرضه بارزا َ َ سائدا َ َ, يريد عرض خطل عالم السلطة الحاكمة وفساد قمة الهرم فيها .. من هنا نلاحظ باستمرار إشارات واضحة لتوصيف اللوفياثان أو الرئيس.. ها هو الرئيس في أنا عاشقة الوزير يضع توقيعه بالموافقة على الزواج الثاني لوزيره ((ووراء التوقيع أمر يمكن العودة إليه في النص)). وهاهو في جسدان ليس بينهما إلاّ الخوف يبعث بخطابه عبر الهاتف حيث ترى العشيقةُ الوزيرَ يقف مذعوراَ َ عار ِ ٍ مؤد ِ ٍ للتحية العسكرية... أما في لوفياثان فيوصف بأنَّه لا يعرف الصداقة والقرابة ' غرس في نفسه حب الذات فقط.

ويمكن القول :- إنَّ جميع التوصيفات المتعلقة بحياة شخصيات هذه الأعمال هي توصيفات ماحول الرئيس الذي يأتي ذكره باستمرار بوصفه النبع والمصدر لما حوله من شرور ومآس ِ ٍ وسقوط أخلاقي شامل لايقف عند حدود شخصية المرأة وقد يكون في هذا بعض ما يفسر تلك الصورة...

إنَّ تفسيرا َ َ أدق لمثل هذه الشخصية المهزومة يعود لكون السخصية محصلة ميتا-رياضية لإفرازات المجتمع ولأنَّ المجتمع الموصوف واقع في تراجيديا هجوم شرس لقوى الاستغلال واستلاب لجميع القيم الإنسانية فيه , فلابد للنتيجة أنْ تكون بالصورة التي عمل على إبراز أحد أوجهها نصّ المطير((ولاينبغي أنْ نحاكم عالم نص بمعيار عالم آخر, مع أنَّ هذه المحاكمة تعود إلى علم اجتماع الأدب وتختص به كما في قراءات كولدمان مثلا)).إنَّ قلق الشخصية المرسومة و خواءَها يعود إلى صراعات(داخلية ذاتية) و(خارجية موضوعية) .. وحل هذه المشكلة لا يتأتى إلاّ بإعادة التوازن عبر هدم العلاقات الاستغلالية و إقامة علاقات إنسانية جديدة بديلة.إنَّ تلك الشخصية المرضية

وباء المجتمع ولكنها في الوقت ذاته إعلان عن هزيمة المفهوم البرجوازي للمواطن حيث ارتباط الإنسان بالدولة وآليتها وهو ما تذهب به النظم الديكتاتورية إلى قمته فتتدخل حتى في غرف نوم الناس وفي قلوبهم وعواطفهم...

لقد اضطرذاك المسؤول الحزبي الكبير في ظل أحد المراسيم إلى طلاق زوجته (وإنْ كان ذلك مراوغةَ) ليلحقَ بها هارباَ فيما بَعْد , بَعْدَ أنْ طفح الكيل به مع حزبه (الإشتراكي إدعاءَ) ورئيسه الذي لا قبله ولابعده سلطة ولا قرار. على أنّه ينبغي هنا التأكيد على واحدة من سمات شخصيات قصص المطير فهي ليست كائناَ من لحمٍ و دمٍ بنفس المقدار الذي نقيسها فيه بوصفها تشكيلة من الدلالات بخاصة عندما تتغلب سمة تحميل الشخصية رؤيةَ معينة و تحويلها إلى رقم يخدم السياق العام للفكرة التي تستهدفها القصص المعنية, فإذا انطبق هذا التوصيف على عدد من شخصيات المطير فإنَّ اهتماماَ كلاسياَ نصادفه مع بعض آخر من تلك الشخصيات , وفي الحالة الأولى يكون توصيف الشخصية غفلاَوذلك لأمر مقصود أي تهميش هذه الشخصية وتبيان انسحاقها وفي الحالة الثانية بحث عن استكمال عناصر جماليات نص مرسوم بعناية حيث إن جملة الأفعال المجسمة للحركة في الرواية تتم وتتعدد قيمتها ويتقرر اتجاهها بمقتضى نوع المستقبل المنشود وهو في سرديات المطير يقع خارج العالم الذي يفضحُه ويدينه وإنْ كنا لانقرأ ذلك تصريحاَ بل مما وراء السطور.

الزمان والمكان : - (فضاء قصص المطير)

ظاهرة الزمن في الرواية أو القصة تتبدى في التقاط الأشياء والحوادث المتناثرة في الواقع بكيفية فوضوية مبعثرة لتعيد تنظيمها وترتيبها لتخلق من هذا التنظيم قيمة جمالية برسالة ذات مدلول .. إنَّ الأدب إعادة تركيب للوجود ينفعل بفضائه زماناَو مكاناَ بمقدار ما تشاء من الأنساق الإيجابية التي تمتاحها من

اخضاعه لانسجامها الجمالي.وبهذا فالفضاء برمجة مسبقة لمجموعة من الأحداث وذلك عبر تخطيب سلسلة الأماكن والمقاطع الزمنية ومن ثمً منحه القيمة الفنية الدلالية المؤثرة .(5) لنلاحظ ما يفعله المطير لتخطيب الفضاء المكاني لنصه, فالأماكن عنده كتل مغلقة منعزلة جامدة حتى وهي تمثل المكان النسبي المتحرك(6) مثل السيارة (مكانا) فهو يصفها من داخل جدرانها, يضع شخوصَه قدرياَ داخلها, إنًهم يطلون على العالم من وراء حيطان غرفهم , من وراء جدران الزنازين (حيث الجميع محاصر أو مسجون , أسير عالمه) . إنً هذا التجميد تعبير عن بيئة سلبية تجاه الفاعل فيها - لأنًه ليس فاعلاَ بالمعنى الأخلاقي الإيجابي , إنًه فاعل بوصفه مصطلحا بنائياَ.و المكان عند المطير لا مألوف بسببِ من وقوعه في دائرة التهديد المستمر حيث لا حماية فيه فعلى الرغم من جدرانه والحراسات يظل مكشوفاَ من أية حماية... لاحظوا خواء شخصية المستشار و كيف يعوض عقدَه ومشاعر النقص باللجوء إلى مكتبه الفخم الوثير , إنًه غرفة معيشة وحتى غرفة نوم من تلك التي تدور فيها أعمال الفحش المعتادة المألوفة لمثل هذه الفئة المختارة في قصص المطير.جغرافياَ لدينا ما هو واقعي وآخر تاريخي وأسطوري من الأماكن ونحن أمام بغداد والبصرة وذكر عابر للرمادي لكنه ذكر بوصف وظائفي عندما يتعلق الأمر بأماكن تتوزع في مدينة الضباب (لندن) , فشقة في العنوان كذا وملهى في ذاك...

عوالم الأسطورة لها أمكنتها الغنية بالتأثير الطقسي والدلالي :- الصحراء واتساعها الأفقي وامتداد الأفق نحو الغموض. والنخلة بين جذورِ ضاربة في أرض مدينة الشط وسعفها يعانق سماء البحر والنهر, أنًه يصنع منها درعاَ(في نصه) لحياة الناس.ينقطع المكان ويصير معتماَ ولاتنفع معه لا أبواب ولاشبابيك لتتلاءم مع(Atmosphere)ومن جهة الأجواء مزاج الشخصية وهو ملئ بالألوان , فسيح حيث يتحول فراش الخيانة إلى حجم ملعب للكرة...

وفي تخطيب الزمن نحن أمام لحظة متوقفة مجمَّدة على حركة داخلية أو على الزمن الذاتي وطغيان وجوده حيث الموضوعية ملغاة نتيجة للتحلل الجذري لتعاقب الزمن , وحيث الواقعة المعاشة محدودة بمستوى التجربة الخاصة , والفردانية تطغى على الجمعية , حتى يبدو الزمن الذاتي أعلى من الزمن الموضوعي على الرغم من كونه وليد الثاني ... على أنَّ مثل هذه المجابهة بين المتلقي والنص إنَّما يُراد من ورائها تصوير حياة شوهاء وشخصية سلبية مهشمة ((لأمثلة بهذا الخصوص يمكن العودة إلى أغلب النصوص المذكورة)).تقنياً على المستوى السردي الزمن عبارة عن قيمة كمية , الحركة فيها تجسد الوجود السلبي للشخصيات , والوضع الوحيد الذي يفلت فيه من هذه السلبية هو وقوعه على سهم زمنٍ يتضمن انفلاتاً من قيم الوضع العام المحيط.أليس هذا ما ترشحه حالات الانقطاع بين الشخصية و بيئتها عندما تترك زمنها لترحلَ إلى زمنٍ مغاير خارج جدرانه الجامدة الميتة..؟!

المطير بعد هذه الجولة القصيرة جدا في بعض أعماله نخلةٌ عراقيةٌ عصيّةٌ على عواصفِ الطغاةِ ....

إنَّهُ نخلةٌ إذا هَزَزْتَها تسَاقَطَتْ عليكَ قَصَصَاً جنيا....

ولايقف نص المطير عند انغلاق ذاتي بل يغدو جزءاً من الصيرورة العريضة للحركة المادية و التاريخية.أي أنَّ نص المطير عملَ على بناء المسرح المتنقل لحركته واتجاهه للفعل والتأثير بهذا (المسرح) إذْيطرح جانباً:-

1- المقدَّس حين يتخلص من اسراف بالالتزام بالقاعدة النحوية اللغوية المعجمية....

2- و انغلاق النص حين تنفتح معطياته الايجابية الموحى بها على الآخر الموجود في ذات المتلقي..

إنَّه يكسّر كل التابوات (أو المحظورات) طالما وقع ذلك في إطارٍ موظّفٍ لأهداف الابداع الأدبي ...

إنَّ معطيات المحظور السياسي تُبرز (في قراءة) أنَّ بطله ليس من دون تاريخ شخصي قذف به إلى الوجودبلا معنى وبلا قدرة

على فهم كنه هذا كما يرى (هايدجار) في إنسان عصره , إنَّه يقرأ متغير الشخصية حتمنها تلك التي وُضِعَتْ في إطار فئة نفعية في خيمة رمز السلبية "رأس النظام" ...
إنَّه يطابق رؤية (لوكاتش) الذي يرفض الاعتقاد بخلو الرؤية الأدبية من الحسّ التاريخي فيُدْخِل المطير قراءَتَه لتحلل الشخصية والمجتمع في حالة محمول يمتلئ بامكانات التطور التاريخي في مجتمعنا محدِداَ ً اتجاه الحركة وارهاصات المستقبل وإنْ بطريق جمالي لا سياسي ولا أيديولوجي مباشر . وطريق تعبيره يغتني بعمق (حدثه)و إنْ وجَدَ بعض النقاد تكراراَ ً أو استطراداَ ً وتفصيلاَ ً في بعض مواضعه .. فمسوغ هذا في المسار السردي هو بقاء (الوضعيات) حتى القريبة جداَ ً من حدث الرواية أوالقصة محايدة تجاه ذلك الحدث وغير متحققة فيه بصورة كاملة ولكنها تخدمه عبر طبيعة تركيب النوع السردي...
أما التناص الذي يتفتح فيه عمل المطير الأدبي فهو انفتاح على التاريخ القريب منه والبعيد , وانفتاح على الآخر الضد والحليف , وانفتاح على النصوص الابداعية الأحرى والأنواع الأدبية التقليدية والمحدثة.. كما هو حال الأسطورة والحكاية...
لعل قراءة مثل هذا التعدد في القيم النصية المتداخلة هو ما ينصح (باختين) بتحليله حيث من عملية السجال الداخلي و الأسلبة التنويعية المخفية تبدو لنا معطيات دلالية تخترق معجم المفردة ومعجم النص التقليدي.<u>المطير</u> يجمّد زمن الخطاب ولكنه يغني زمن التخيل حيث تدخلات في القبل والبعد و حتى في مداخلة(استرجاع- استباق - استرجاع) وهي أدوات تقنية معروفة لكنها تتفرد هنا بخصوصية ملموسة هي التي أجلت الحديث فيها عن تجنيس أعمال المطير التي أراها تقدم لوناَ ً أدبياَ ً متحركاَ ً لا يقبل الخضوع لأشكال عبرت عن زمنها وبيئتها ليعبر هو عن بيئته التي نعرفها والتي أراد أنْ يعلنَ لنا أنَّها حرافية جمعت كل فنون الموت والاستلاب مثلما احتوت على بذرة فنائها في ذاتها المرتعبة من حركة الزمن إلى الغد.<u>المطير</u> يقدم رواية من نوع

جديد تتأقلم مع حاجات المتلقي المعاصر خاصة العراقي. إنًه يقدم سيرةَ شاهدٍ على عصره فيفضح الجريمةَ ويعري أزلامها , إنًه يعرض الجريمة بكل تفاصيلها واضعاً إياها تحت مجهر فن المطير لكشف أكداس الجراثيم وطبيعة فعلها من إفساد , دمار , وخراب .. كل ذلك في نظام من الخطوط البنائية المتوازية التي تترك للمتلقي فرصة التوقف في مرحلة أو البدء من مرحلة في سابقة إبداعية تحلّق بنا في عوالم شاعريته وفضاءات جمالياته ... ألسنا نبحر في عالم المطير الجميل ؟؟

المصادر والمراجع

1. أمبرتو إيكو , القارئ في الحكاية, ترجمة : أنطوان أبو زيد
2. برند شبلنر , علم اللغة والدراسات الأدبية - دراسة الأسلوب والبلاغة
3. جاك دريدا , الكتابة والاختلاف , ترجمة كاظم جهاد
4. ديفد وورد , الوجود والزمان والسرد , ترجمة سعيد الغانمي
5. رجاء عيد , فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق
6. حسن ناظم , مفاهيم الشعرية
7. رشيد يحياوي , شعرية النوع الأدبي في قراءة النقد العربي القديم
8 . السعيد الورقي , مفهوم الواقعية في القصة القصيرة عند يوسف أدريس
9. سعيد بنكراد , مدخل إلى السيميائيات السردية
11. شكري عبدالوهاب , المكان دراسة في تاريخ تطور خشبة المسرح
12. رولان بارت , الأدب والواقع , ع.الجليل الأزري
13. غ. باشلار . جماليات المكان , ترجمة غالب هلسا
14. فراس السواح , الأسطورة والمعنى
15. كلود جرمان , علم الدلالة , د. نورالهدى لوشن , بنغازي
16. كولن ولسن , فكرة الزمان عبر التاريخ , فؤاد كامل
17. ل. غولدمان , المنهجية في علم اجتماع الأدب , مصطفى الشناوي
18. محسن الموسوي , عصر الرواية مقال في النوع الأدبي
19. ه. ميرهوف , الزمن في الأدب , أسعد رزوق
20. ميشال بوتور , بحوث في الرواية الجديدة , فريد انطونيوس
21. محمد الماكري , الشكل والخطاب مدخل لتحليل ظاهراتي
22. ميخائيل باختين , شعرية ديستويفسكي , ترجمة د. جميل نصيف
23. ف. بروب , مورفولوجيا الحكاية الخرافية , ترجمة أبو بكر أحمد باقادر
24. جاسم المطير الأعمال السردية:- (الزيزب , نهار النرجس , لوفياثان, أنا عشيقة الوزير , المولود في مدن القلق , قصص المقتدر بالله البغدادي ونسوانه ,)

مشكلة الموت في الثقافة العربية

حازم خيري

"فكرة أن الحياة ليست شيئاً دائماً
ساعدتني على تنوير ذهني،
إننا لسنا سجناء إلى الأبد
خلف سياج الحقائق المُتحجرة!"
طاغور

عندما أنظر إلى حياتى الداخلية والخارجية ينتابني في أغلب الأحيان شعور بغموض! شعور بأغوار غير معروفة! واني لأحس بظمأ إلى فهم الحياة وإلى دفعها للأمام، وأحس أيضاً بحاجة إلى مُناهضة العبودية، إلزامية كانت أم مُختارة!

ثم يبدو لى أن السبيل لبلوغ هذا كله يتم أساساً عن طريق الذود عن حق أبناء أمتنا في الحرية وفي نُشدان الحقيقة، بحسب ما تهديهم قلوبهم وعقولهم الحرة. مع العلم أني أدرك أنه ليس ثمة إمكانية لمعرفة الحقيقة، الله وحده يملكها!

الصلة ـ على ما يبدو ـ وثيقة بين الانحطاط المُخيف والشامل لمجتمعاتنا، وبين إحجام فلاسفة الضرار(1) عن تعهد مشكلاتنا الفكرية بالبحث الفلسفي الحُر.

أوليس يُساعد على تكريس الانحطاط في مجتمعاتنا الغارقة في التخلف أن الدارس لمشكلة مُلحة ومُؤثرة، كـ "مشكلة الموت في الثقافة العربية"، لا يكاد يقع على جهد فلسفي عربي، يُغري بتثمينه، اللهم إلا دراسة للعملاق عبد الرحمن بدوي، ناقش فيها: كيف يمكن أن تكون مشكلة الموت مركزاً لمذهب في الوجود؟

فلاسفة الضرار ومُحترفو التبرير الديني دائمو التأكيد على أن انحطاطنا المُخيف محض كبوة، وارتداد عن كمال إنساني، بلغه أسلافنا! وأن محاكاة ـ تجديدية وتحديثية (!!) ـ لهؤلاء الأسلاف، تُبلغنا حتماً كمالهم الإنساني، وتُعيد لنا إمرة الأرض اغتصابا، على نحو ما تُغنينا "أم كلثوم"، في قصيدة "سلوا قلبي"!
حاجتنا ماسة لتأسيس مدرسة أنسنية في الفكر العربي، كخطوة واعدة على طريق بناء صرحنا الفلسفي! لم يعد مقبولاً أن نلوث بتخلفنا نقاء الحياة وطُهرها!

لم يُعد مقبولاً أن تذهب ملكات مفكرينا سدى! "فلسفة الضرار" مسئولة برأيي عن هدر ملكات المفكر المصري الراحل نصر حامد أبو زيد. فلو أنه خُلي بينه وبين طريق الفلسفة لربح وربحنا معه فيلسوفاً عظيماً. ولو أنه سلك طريق الفقه لربح وربحنا معه فقيهاً شهيراً! مازج الفقه بالفلسفة، كمازج الزيت بالماء!

لتكن صيحة الحرية: **"أعطوا ما للفقهاء للفقهاء، وما للفلاسفة للفلاسفة"**

صحيح أن الفهم العربي للحرية مُشوه، حتى أن فُقدان الحرية عند شعوبنا الكسيرة ليس يُفهم على أنه عُبودية، بل يُفهم على أنه وصاية تُمارس لخيرنا وخير الوجود بأسره! وصحيح أن الفهم العربي للاستقلال الوطني أضحى مضرب الأمثال في الرداءة! فالاستقلال حتمي، طالما خلت البلاد من الأجانب المُسلحين!

وصحيح أن الصروح الفلسفية لا تُشيد إلا بقلوب وعقول عاشقة للحرية، عارفة بأهمية النضال من أجل الحقيقة! كل هذا وأكثر صحيح، غير أن الأمل يظل قائماً في قيام مدرسة أنسنية في الفكر العربي، تُعبد الطريق نحو تفكيك البنية التحتية لفلسفة الضرار! خنوثة التخلف العربي تُحتم التمكين للفلسفة في ثقافتنا!

العالم المُعاش شديد الخضوع للأفكار الصحيحة والزائفة على السواء ـ للأسف الشديد ـ، لدرجة دفعت بعض الظرفاء للقول بوجود تناسب طردي بين الأثر الذي تُحدثه أية فكرة في حياة البشر وبين درجة الخطأ الكامنة فيها! أصحاب البصائر النفاذة هم وحدهم القادرون على إدراك الفاصل بين الصحيح والزائف!

في مقدمة أصحاب البصائر النفاذة يأتي الفلاسفة، فالفلسفة مُغايرة لغيرها من طرق نُشدان الحقيقة! إنها بحث مُستدام عن الحقيقة غير النفعية، كونها تتطلب من المشتغلين بها، في أوقات كثيرة، وقوفاً أليما في وجه رغباتهم الشخصية!!

على أية حال، أناقش في هذه المقالة "مشكلة الموت في الثقافة العربية"، رغم ضآلة الميراث الفلسفي العربي في هذا الصدد! تحدوني في ذلك رغبة صادقة في تزخيم رؤيتي المُقترحة للفكر الأنسني! ولسوف أبدأ بحثي بعرض مُطول نسبياً لما أورده الراحل عبد الرحمن بدوي في دراسته المُهمة المُشار إليها سلفاً(2).

ولتسمح لي قارئي الكريم ـ قبل أن أُخلي بينك وبين عرضنا المُطول لدراسة العملاق عبد الرحمن بدوي لمشكلة الموت ـ أن أضيف كلمة عن رأيي في الطريقة التى أنصحك بها في قراءة هذا العرض، وهي أن تتصفحه كله أولاً كما تتصفح "جرنال"، دون أن تُحمل انتباهك من أمره عسراً ودون أن تقف عند الصعوبات التى قد تعترض سبيلك فيه حتى تُلم الماماً عاماً بالنقاط التى تناولتها دراسة بدوي التشريحية. فإذا رغبت بعد ذلك في المزيد من الفهم استطعت أن تقرأ

العرض مرة أخرى لكي تلتفت إلى إرتباط أفكار بدوي واتصالها. واعتقادي أنه إذا بقيت بعد ذلك بعض الصعوبات، فلتمض قارئي قُدماً في قراءة بقية المقالة..

هل للموت مشكلة حقيقية؟

هل للموت مشكلة؟ أوليس الموت واقعة ضرورية كلية لابد لكل فرد أن يعانيها يوماً ما؟ أو لسنا نعرف جميعاً هذه الواقعة، لأننا نشاهدها لدى الآخرين؟

لكي يكون في مقدور الباحث الجاد أن يتحدث عن "مشكلة الموت"، وأن يتبين على أي نحو يمكن أن تكون للموت مشكلة حقيقية، عليه أن يبدأ بتحديد معنى "مشكلة" من ناحية، وأن ينظر نظرة ـ إجمالية من غير شك ـ إلى معنى "الموت" من ناحية أخرى. حتى إذا ما استطاع أن يتبينه، تيسر له أن يحدد عناصر هذه المشكلة ومداها، سواء من الناحية الوجودية العامة ومن الناحية الحضارية.

لكي نفهم معنى "مشكلة" يجب أن نُميز أولاً بين: إشكال Problematique وبين مشكلة Probleme. الإشكال صفة تُطلق على كل شيء يحتوى في داخل ذاته على تناقض، وعلى تقابل في الاتجاهات، وعلى تعارض عملي. أما المشكلة فهي طلب هذه الإشكالية بوصفها شيئاً يُحاول القضاء عليه. هي الشعور بالألم الذي يُحدثه هذا الطابع الإشكالي، وبوجوب رفع هذا الطابع وإزالته. هي تتبع هذه الإشكالية كما هي ذاتها أولاً، ثم محاولة تفسيرها تفسيراً يصدر عن طبيعة الشيء المشكل وجوهره. المشكلة تتضمن إذاً شيئين: الشعور بالإشكال ومحاولة تفسيره.

الحياة مثلاً تتصف بصفة الإشكال بطبيعتها، لأنها نسيج من الأضداد والمتناقضات. ولكنها ليست مشكلة بالنسبة إلى الرجل الساذج الذي ينساق في تيارها دون شعور منه بما فيها من إشكال، ودون محاولة ـ بالتالي ـ للقضاء على هذا الإشكال. وذلك لأن الشعور بالإشكال يقتضي من صاحبه أن يكون على درجة عليا من التطور الروحي، وأن يكون ذا فكر ممتاز على اتصال مباشر بالينبوع الأصلي للوجود والحياة، وأن يكون إلى جانب هذا كله على حظ عظيم من التعمق الباطن الذي تستحيل معه المعرفة إلى معرفة وحياة معاً. وبقدر هذا الحظ تكون درجة الإدراك. فضلاً عما يقتضيه الموضوع المشكل من شروط صادرة عن طبيعته هو الخاصة، دون غيره من الموضوعات المشكلة الأخرى.

فإذا أردنا الآن أن نُطبق هذا على الموت، وجدنا أنه يتصف أولاً: بصفة الإشكال. فمن الناحية الوجودية يُلاحظ: أولاً، أن الموت فعل فيه قضاء على كل فعل. وثانياً، أنه نهاية للحياة بمعنى مشترك. فقد تكون هذه النهاية بمعنى انتهاء

الإمكانيات وبلوغها حد النضج والكمال، كما يُقال عن ثمرة من الثمار إنها بلغت نهايتها، بمعنى تمام نضجها واستنفاذ إمكانيات نموها. وقد تكون هذه النهاية بمعنى وقف الإمكانيات عند حد، وقطعها عند درجة، مع بقاء كثير من الإمكانيات غير متحقق بعد. وقد تكون بمعان أخرى، نُفصلها في أجزاء أخرى من هذا العرض.

وثالثاً، إنه إمكانية معلقة، إن صح التعبير، بمعنى أنه لابد أن يقع يوماً. هذا يقيني لا سبيل إلى الشك فيه، ولكنني من ناحية أخرى في جهل مطلق فيما يتعلق بالزمان الذي سيقع فيه. يقول باسكال: "إنني في حالة جهل تام بكل شيء، فكل ما أعرفه هو أنني لابد أن أموت يوماً ما، ولكنني أجهل كل الجهل هذا الموت"!

ورابعاً، أن الموت حادث كلي كلية مطلقة من ناحية، جزئي شخصي جزئية مطلقة من ناحية أخرى. فالكل فانون، ولكن كلا منا يموت وحده، ولابد أن يموت هو نفسه، ولا يمكن أن يكون واحد آخر بديلاً عنه. وهذا عين مصدر الإشكال من ناحية المعرفة، إذ لا سبيل إلى إدراك الموت مباشرة بوصفه موتى أنا الخاص، لأنني في هذه الحالة ـ حالة موتى أنا الخاص ـ لا أستطيع الإدراك. ومعنى هذا أيضاً أنني لا أستطيع أن أدرك الموت إدراكاً حقيقياً، لأن إدراكي للموت سينحصر حينئذ في حضوري موت الآخرين ومشاهدة الآثار الخارجية التي يُحدثها الموت.

ومثل هذا الإدراك ليس إدراكاً حقيقياً للموت كما هو في ذاته، بل هو إدراك للموت في اثاره. ولا أستطيع أن أقول هنا إنني عند محاولتي إدراك الموت أضع نفسي موضع الآخرين الذين يموتون، لأن المرء لا يمكن أن يحمل عبء الموت عن غيره. هذا إلى أنه لو سلمنا جدلاً بإمكان إدراك موقف المرء بالنسبة إلى الموت، فإن هذا لا يفيدني شيئاً في معرفة حالة الميت نفسه، وإنما يخبرني عن حالة المُحتضر فحسب، لا عن حالة الموت نفسها. لا سبيل لإدراك حقيقة الموت!

وهكذا نرى أن الموت كله إشكال من الناحية الوجودية ومن ناحية المعرفة!

الشرط الأول إذاً قد تحقق، وأعني به وجود الإشكال. فمتى يكون الموت مشكلة إذاً؟ يكون الموت مشكلة حينما يشعر الإنسان شعوراً قوياً واضحاً بهذا الإشكال، وحينما يحيا هذا الإشكال في نفسه بطريقة عميقة، وحينما ينظر إلى الموت كما هو ومن حيث إشكاليته هذه. ويحاول أن ينفذ إلى معناه من حيث ذاته المستقلة. يقتضي هذا كله أشياء من الناحية الذاتية، وكذا من الناحية الموضوعية.

- **من الناحية الذاتية:** يقتضي لمن يمكن أن يصير الموت عنده مشكلة:

أولاً: الشعور بالشخصية والذاتية: 1ـ لأنه بدون هذا الشعور لا يستطيع الإنسان إدراك الطابع الأصلي الجوهري للموت، وهو أنه شخصي صرف، ولا

سبيل إلى إدراكه إدراكاً حقيقياً إلا من حيث أنه موتى أنا الخاص. ولا يبلغ الشعور بالشخصية والوحدة درجة أقوى وأعلى مما هو في هذه اللحظة، لحظة الموت، لأنني أنا الذي أموت وحدي، ولا يمكن مطلقاً أن يحل غيري محلى في هذا الموت. ولهذا نجد أنه كلما كان الشعور بالشخصية عند الإنسان أقوى وأوضح، كان الانسان أقدر على ادراك الموت، وعلى أن يكون الموت عنده مشكلة. ولهذا أيضاً لا يمكن أن يكون الموت مشكلة لمن يكون ضعيف الشعور بالشخصية..

والنتيجة لهذا هي أن البدائي والساذج، نظراً إلى ضعف شعورهما بالشخصية، لا يمكن أن يصير الموت بالنسبة لهما مشكلة. واللحظة التي يبدأ فيها الموت بأن يكون مشكلة بالنسبة إلى إنسان ما، هي اللحظة التي تؤذن بأن هذا الإنسان قد بلغ درجة قوية من الشعور بالشخصية، وبالتالي قد بدأ يتحضر. ولهذا نجد أن التفكير في الموت يقترن به دائماً ميلاد حضارة جديدة، فإن ما يصدق على روح الأفراد يصدق كذلك على روح الحضارات. وهذه فكرة قد فصل فيها اشبنجلر وأوضحها تمام التوضيح. ولهذا أيضاً كان كل إضعاف للشخصية من شأنه تشويه حقيقة الموت، وهذا الإضعاف للشخصية أظهر ما يكون في حالتين:

حالة إفناء الشخصية في روح كلية، وحالة إفناء الشخصية في "الناس"!

فكل مذهب في الوجود يفنى الشخصية في الروح الكلية لا يستطيع أن يدرك المشكلة الحقيقية للموت، وهذا ما فعله مذهب المثالية، وخصوصاً في أعلى صورة بلغها هذا المذهب، ونعني بذلك المثالية الألمانية وعند هيجل بنوع أخص.

فإن الفرد بالنسبة إلى المثالية ليس له وجود حقيقي في ذاته، وإنما الوجود الحقيقي هو وجود المطلق، ولا قيمة وجودية للفرد إلا من حيث كونه مشاركاً في وجود المطلق، أياً ما كان الاسم الذي نعطيه لهذا المطلق: فسواء سميناه "الأنا المطلق"، وهو الأنا الذي يضع نفسه بنفسه، كما فعل فشته. أو سميناه "الروح الكلية"، وهي تلك "الصورة" التي تعرض نفسها على مر الزمان كما فعل هيجل - فإن هذا من شأنه أن يحجب عنا إحدى المميزات الجوهرية للموت، ونعني به ارتباطه بالفردية أو الشخصية أو الذاتية كل الارتباط. ولهذا لم يقدر لهذه المثالية أن تضع للموت مشكلة، وإن وضعتها لم تضعها وضعاً حقيقياً. وإذا كان هيجل نفسه قد عنى بهذه المشكلة عناية كبيرة، فإن مصدر هذه العناية لم يكن مثاليته، وإنما كان مصدرها عوامل أخرى أجنبية عن المثالية خضع لها هيجل.

ثانياً: فكرة الشخصية تقتضي بدورها فكرة الحرية، فلا شخصية حيث لا حرية، ولا حرية حيث لا شخصية. وذلك من ناحيتين: 1- أنه لا مسئولية إذا لم توجد الشخصية، ولا مسئولية إذا لم توجد الحرية، فلا وجود للشخصية إذن إلا مع الحرية. 2- أن الحرية هي الاختيار، ولا اختيار إلا بالنسبة إلى شخصية تُميز.

فإذا كانت الشخصية تقتضي الحرية، والموت يقتضي الشخصية، فإن الموت يقتضي الحرية. ويتضح هذا أكثر حينما ننظر إلى طبيعة الحرية وطبيعة الموت، فنرى حينئذ أن الحرية هي الإمكانية، كما أن الموت هو الإمكانية، بل هو الإمكانية المطلقة. وعلى هذا، فإنه من ناحية الإمكان أيضاً الموت والحرية مرتبطان أوثق ارتباط، وقدرة الإنسان على أن يموت هي أعلى درجات الحرية.

ومن هذا الارتباط بين الموت وبين الحرية نستطيع أن نستنتج أن كل المذاهب التي لم تقل بالحرية الشخصية على وجه التحديد ـ لم يكن حظها أن تضع مشكلة الموت وضعاً حقيقياً. وهذا أيضاً من العوامل التي شوهت مشكلة الموت في المثالية الألمانية، لأنها وإن قالت بالحرية، فإنها لم تفهم الحرية على أنها الحرية الفردية، وإنما فهمتها على أنها الحرية الكلية ـ إن صح هذا التعبير ـ، فإنها تقول بحرية بالنسبة إلى الله، وبالنسبة إلى الكل، الأنا المطلق أو الروح المطلقة، لا بالنسبة إلى الإنسان الفرد، وأما ما هنالك من حرية في الأفراد فما هي إلا مظاهر متعددة لحرية واحدة هي الحرية الكلية، وليست حرية بالمعنى الحقيقي!

كما لاحظ هذا أيضاً أحد أتباع هذه المثالية في الدور المتأخر من أدوار تطوره الروحي ونعني به فردريك شلنج في الدور الأخير. فقد قال شلنج إن فكرة المثالية عن الحرية فكرة صورية جوفاء يجب أن تستبدل بها فكرة واقعية حية، هي أن الحرية هي القدرة على فعل الخير والشر بالنسبة إلى الإنسان الفرد. أي أنه لابد للحرية أيضاً أن تكون قدرة على فعل الشر، وإلا ـ أي إذا اقتصرت على فعل الخير وحده ـ فإنها لن تكون حينئذ حرية. ومن هنا فإن الحرية بهذا المعنى لا يمكن أن تكون صفة من صفات الله عند من لايجوزون على الله فعل الشر. ومن هنا جاء الارتباط الوثيق بين الحرية وبين الخطيئة: فحيث لا توجد الخطيئة لا توجد الحرية، وحيث توجد الحرية توجد الخطيئة بالضرورة..

ثالثاً: عن طريق هذا الارتباط بين الحرية والموت من جهة، وبين الحرية والخطيئة من جهة أخرى، كان الارتباط بين الخطيئة وبين الموت. والارتباط بين الخطيئة وبين الموت قد بلغ أول درجة عليا من درجات التعبير عنه في المسيحية، وصُور أصرح تصوير في عبارة القديس بولس: "بواسطة إنسان نفذت الخطيئة إلى العالم، وعن طريق الخطيئة نفذ الموت". فهذه العبارة تدلنا على أن المسيحية نظرت إلى الموت على أساس أن مصدره الخطيئة، أى أنها أدركت منذ ابتدائها ما هنالك من صلة وثيقة جداً، صلة العلة بالمعلول، بين الموت وبين الخطيئة.

وهي قد ربطت بينهما أيضاً عن طريق فكرة الحرية الفردية، خصوصاً إذا لاحظنا أن الحرية الفردية تحتل مقاماً عالياً في الفكر المسيحي، ومصدر هذا ارتباط الحرية بالخطيئة: فإذا كانت فكرة الخطيئة تلعب الدور الأكبر في الحياة الروحية المسيحية، كان لابد إذاً من القول بالحرية الفردية بل وتوكيدها، ما دامت

هي مصدر الخطيئة. وهكذا نرى أنه قد توافرت للمسيحية هذه العناصر الثلاثة الضرورية لوضع مشكلة الموت: ونعني بها الشخصية، والحرية، والخطيئة.

أي أن الناحية الذاتية كان من شأنها أن تهيئ للمسيحية أن تضع مشكلة الموت وضعاً حقيقياً، إن توافرت إلى جانب الناحية الذاتية الناحية الموضوعية.

- **من الناحية الموضوعية:**

يُقصد بالناحية الموضوعية أولاً إدراك أن الوجود يقتضي بطبيعته التناهي، حتى يمكن أن يُنظر إلى الموت نظرة حقيقية على أساس أنه عنصر مكون في الوجود. وإلا، فإن الموت لن يكون له اذاً مكان داخل نظرة الانسان إلى الوجود، وانما سيكون شيئاً عرضياً يمكن إغفاله. وهذا هو السبب في أن الذين نظروا إلى الموت هذه النظرة لم يستطيعوا أن يضعوا المشكلة الحقيقية للموت. وعلى رأس هؤلاء جميعاً أفلاطون، فبرغم عنايته بالموت، وقوله عن الفلسفة انها تأمل للموت، لم يستطع أفلاطون وضع المشكلة الحقيقة للموت، على خلاف ما يعتقده البعض.

فالذى يقصده أفلاطون بقوله هذا هو أن الموت هو الوسيلة التى بها يتيسر بعد ذلك للفيلسوف أن يفكر جيداً، وذلك لأن حياة الفيلسوف عند أفلاطون هي حياة متجهة دائماً إلى تأمل الصور أو المُثل، ولا يتيسر تأمل الصور تأملاً حقيقياً ما دامت النفس سجينة في البدن، فلابد من الخلاص من البدن ـ أى لابد من الموت ـ، حتى يكون في مقدور المرء أن يتأمل الصور دون أن يشوه عليه هذا التأمل مشوه. فكأن الموت في نظر أفلاطون إذاً جسر ومعبر ينتقل بنا من حياة النفس في البدن إلى عالم الصور. هو ابتداء أولي من أن يكون نهاية، لأنه ابتداء للحياة الروحية الحقيقية. حياة النفس حياة تأمل للصور. هو على وجه العموم باب يفتح على الأبدية. فلا يمكن إذن لمن ينظر إلى الموت هذه النظرة أن يجعل منه مشكلة.

وإنما يكون الموت مشكلة من الناحية الوجودية حينما يكون في نظر المرء من جوهر الوجود، وجزءاً جوهرياً مكوناً له. وهذه ناحية أدركتها المسيحية، فقال القديس بولس في نفس الآية السابقة: "وهكذا نفذ الموت في جميع الناس"، أى أن الموت عنصر مكون للوجود. وعن طريق هذا كله استطاعت المسيحية لأول مرة أن تضع مشكلة الموت وضعاً حقيقياً من حيث أن الموت مشكلة فحسب. ولكنها حينما أرادت أن تعرف هذا الموت من حيث ماهيته اختلطت بالنظرة الأخلاقية، بل وضُحي بالنظرة الأولى، وكاد النظر أن يصرف عنها لحساب النظرة الثانية.

حتى أوشكت الناحية الوجودية أن تختفي بتأثير الناحية الأخلاقية، خصوصاً أنها قد وقفت من الناحية الأخلاقية موقفين. فقالت عن الموت إنه شر وقالت عنه إنه خير. أى أنه شر بوصفه ابن الخطيئة وهو خير من حيث أنه الواسطة بين المتناهي واللامتناهي، بين الانسان وبين الله، إذ هو أصل الفداء. ولذا كان

الشعور الذى يتم به ادراك ماهية الموت مزدوجاً: فهو قلق من ناحية بوصف الموت شراً، وهو سرور بوصفه خيراً من ناحية أخرى. وكانت نتيجة هذا أنها لم تستطع أن تصل إلى إدراك ماهية الموت إدراكاً حقيقياً، ما دامت لم تأخذ بالمصدر الأصلى الحقيقي للمعرفة فيما يتعلق بالموت، ونعني به القلق! وعلى كل حال، فإن المسيحية استطاعت أن تضع مشكلة الموت وضعاً حقيقياً، ولهذا كان لها أثر كبير في جميع الفلاسفة، الذين حاولوا من بعد وضع مشكلة الموت.

والعلة في أن النظرة الأخلاقية قد حالت بين المسيحية وبين إدراك الموت إدراكاً حقيقياً هي أن نظرتها إلى الموت بوصفه شراً جعلتها تنظر إليه على أنه مضاد للحياة، مع أنها قالت إنه عنصر مكون للوجود. فالواقع أن هذا القول إذا فسر تفسيراً وجودياً صرفاً، وبصرف النظر عن كل تقويم أخلاقي، يدل على أن الموت جزء من الحياة. وأنه ليس مضاداً لها. فلكي تكون النظرة إلى الموت صحيحة يجب أن تجعل الموت جزءاً من الحياة، وهذا ما فعلته فلسفة الحياة. خصوصاً عند أشهر ممثليها من الألمان. فقد قال فردريك نيتشة: "حذار أن تقول إن الموت مضاد للحياة". ولكن كيف السبيل إلى جعل الموت جزءاً من الحياة؟

إن أصحاب المذهب الحيوي يقولون إنه ليس خارج الحياة شيء، فالحياة هي الكل. ومعنى هذا أن الموت يجب أن يُفسر أيضاً بالحياة وأن تُفسر الحياة بدورها بالموت. ولهذا يقول جورج زمل: "إن الحياة تقتضي بطبيعتها الموت، بحسبانه هذا الشيء الآخر الذى بالنسبة إليه تصير شيئاً، والذى بدونه لن يكون لهذا الشيء معناه وصورته". إن الحياة تقتضي الموت أيضاً إذاً، وما هو حي هو وحده الذى يموت وما الموت إلا حد للحياة، هو الصورة التى تلبسها الحياة وتحطمها من بعد، وهذه الصورة لا توجد في اللحظة الأخيرة فحسب، بل توجد في كل لحظة من لحظات الحياة، وتعين مضمون هذه اللحظات. هي صورة باطنة إذ توجد منذ بدء الحياة وبدونها ستكون الحياة منذ البدء شيئاً آخر. الموت باطن في الحياة ومُحايث لها إذاً، وليس عالياً عليها. الموت ليس حادثاً خارجياً عرضياً.
الخلاصة إذاً أن الموت حالة من حالات الحياة، حالة ضرورية تكون فيها الحياة منذ البدء، وهذا ما عبر عنه أحد كتاب العصور الوسطى في قصة الفلاح البوهيمي حين قال: "منذ أن يأتي الإنسان إلى الحياة، يكون بالفعل في شيخوخة الموت". فالنهاية إذاً في حالة الموت هي كانتهاء النمو والنضج بالنسبة إلى الثمار، فنحن في هذه الحالة لانقول عن النضج إنه جاء دفعة واحدة وفي اللحظة الأخيرة التى تم فيها النضج، وكأنه شيء منفصل قد ألصق بالثمرة أو كأنه خاتم ختمت به، وإنما النضج فعل مستمر ابتدأ منذ ميلاد الثمرة واستمر يساير حياتها لحظة بعد لحظة حتى أتت نهايتها، وهي تمام النضج. ومثل هذا أيضاً يُقال عن الموت، فهو موجود متطور منذ بداية الحياة، هو مقارن للحياة إذن لا ينفصل عنها أنى وُجدت.

وهنا تنشأ مشكلة أخرى: فهل صحيح أن الموت مثل النضوج؟ هل صحيح أن النهاية هنا معناها التمام والكمال وتحقيق كل الامكانيات؟ نظن أن نظرة

بسيطة إلى الطريقة التى بها يختار الموت ضحاياه تكفي لاقناعنا بعكس هذا، فهو تارة يطيل حياة الناس حتى لتكون قد استنفذت كل امكانياتها وزيادة. وطوراً آخر ـ لعله الأكثر حدوثاً ـ يقصر حياة الناس حتى لاتكاد هذه الحياة أن تكون قد حققت غير جزء ضئيل من امكانياتها، بينما ظلت بقية الامكانيات مؤجلة لاسبيل مطلقا إلى وفائها. ومعنى هذا أن النهاية يجب أن تُفسر تفسيراً آخر غير تفسيرها بأنها نضوج، تفسيراً إذن يجمع بين الوجود والموت من ناحية، ومن ناحية أخرى لا يفترض وجود الموت في الوجود أو الحياة على صورة تطور نحو غاية، أعني أن الوجود يجب أن يُفسر من جديد على أنه يقتضي من حيث جوهره الفناء، وأن الفناء حالة وجودية يكون فيها الوجود منذ كينونته. وهذا معناه أيضاً إقامة مذهب في الوجود جديد على هذا الأساس، وهذا ما حاول أن يفعله هيدجر ثم ياسبرز.

بدأت هذه الفلسفة بحثها في الوجود بالكشف عن المصدر الحقيقي لمعرفة الوجود، فقبلت الوضع الذى وضعنا فيه ديكارت منذ أوائل العصر الحديث حين جعل الفكر أساس الوجود، مما أدى إلى قيام تلك المشكلة الكبرى ـ مشكلة نظرية المعرفة ـ وهي المشكلة التى تدور حول الصلة بين الذات والموضوع. فهل الموضوع من نتاج الذات، أو عال على الذات؟ وعلى أساس الوضع الذى اختاره المرء في نظرته إلى الصلة بين الاثنين قام المذهبان الرئيسيان في الفلسفة، وأعني بهما مذهب المثالية ومذهب الواقعية. واستمر النزاع قائماً بين المذهبين حتى جاء الألماني ادموند هُسرل في أوائل هذا القرن، فأقام بناء فلسفة جديدة هي فلسفة الظاهريات على أساس فكرة الاحالة المتبادلة. وخلاصة هذه الفلسفة هي أن هناك دائماً إحالة متبادلة بين الذات وبين الموضوع، فلا وجود للذات إلا من حيث كونها محيلة إلى الموضوع، كما أنه لا وجود للموضوع إلا على أنه محيل إلى ذات.

وحينئذ أتى تلميذه هيدجر فطبق هذه الفكرة على الوجود متأثراً من ناحية أخرى بمذهب الفعليين، فقال إن الوجود في هذا العالم بالنسبة إلى الأشياء وجود إحالة متبادلة على أساس أن كل شيء لابد أن يكون أداة لشيء آخر، أى "من أجل" شيء آخر، فإن الصلة إذاً بين الأشياء صلة "إهتمام"، بمعنى أن الانسان وقد قُذف به في هذا العالم سيجهل نفسه في هذا العالم، ولن يجهل هذه الأشياء التى هي مصدر عنايته وجزعه ومخاوفه وآماله. وإنما ستكون هذه الأشياء مصدراً "لاهتمامه" بها، أى معرفته إياها. ومن هنا فإن المعرفة لن تكون كما صورها الفلاسفة من قبل نوعاً من الانعكاس الخاص على النفس كما ينعكس أى شيء على مرآة، وانما ستكون المعرفة دائماً مطبوعة بطابع عاطفي انفعالي، فإذا أضفنا هذا العنصر العاطفي الانفعالي إلى صلة "الاهتمام" استحالت هذه الصلة إلى صلة "هم".

نحن قد استعملنا حتى الآن كلمة "وجود" استعمالاً عاماً. والواقع أنه يجب أن يفرق بين نوعين من الوجود: النوع الأول هو ما يمكن أن نسميه باسم "الآنية"، وهي ترجمة لكلمة ألمانية Dasein من العسير أن نجد لها مُقابلاً دقيقاً في أية لغة أخرى من اللغات المعروفة لدينا، ومعناها وجود الأشياء حاضرة بالفعل. أما النوع

الثاني فهو ما يمكن أن يُسمى باسم "الوجود الماهوي" Existenz، لأنه يقصد به ماهية الوجود. وهذه التفرقة تقوم على أساس التفرقة المشهورة والتى تلعب أخطر دور في الفلسفة، وأعني بها التفرقة بين الواقعية والامكانية: فالنوع الأول من الوجود هو الوجود الواقعي، والثاني هو الوجود الامكاني أو الماهوي.

ثمة خصائص رئيسية ثلاث "للآنية": ـ فمن حيث أن الآنية تشير مقدماً إلى إمكانيات لم تتحقق بعد تسمى الصلة اضماراً وتصميماً. ـ ومن حيث أن الوجود الماهوي انتقل إلى حالة تحقق فصار "الآنية"، وإن كان جزء ضئيل من الامكانيات هو فقط الذى تحقق تسمى الصلة واقعية. ـ ومن حيث أن "الآنية" هي وجود بين أشياء أو وجود في العالم تسمى الصلة حينئذ سقوطاً.

نحن قد قلنا إن "الهم" هو الطابع الأصلي للوجود، ونقصد بالوجود هنا "الآنية"، فلابد إذن أن نجد في "الهم" هذه الخصائص الرئيسية الثلاث "للآنية".

ولهذا نجد هيدجر يعرف "الهم" بأنه: "الوجود الذاتي/مع الامكان/بالفعل/في العالم". وواضح أن تعريف هيدجر لـ"الهم" يعبر عن تلك الخصائص الرئيسية: فقوله "مع الامكان" يعبر عن الاضمار والتصميم، وقوله "بالفعل" يعبر عن الواقعية، وقوله "في العالم" يعبر عن السقوط. أما قوله "الذاتي" فراجع إلى "الآنية"، فقد قلنا إن الاحالة المتبادلة هي طابع الوجود، أعني أن كل شيء لابد أن يُحيل إلى شيء آخر. إلا أن هذه الاحالة إلى آخر لا يمكن أن تستمر إلى غير نهاية، بل لابد أن تصل إلى شيء لا يحيل إلى غير ذاته، وهذا الشيء هو "الآنية". فهو يحيل إذاً إلى ذاته، ومن هنا قلنا: "ذاتي" في تعريفنا للفظ "هم". وخلاصة هذا كله أن "الآنية" في "هم" من أجل ذاتها، أو بعبارة أخرى "الآنية" مهمومة بامكانياتها الذاتية.

ثم إن هذه الصفات تشير إلى طابع أصلي آخر للوجود. فاننا إذا تعمقنا في معنى الصلة الأولى وهي صلة الاضمار والتصميم لوجدنا أنها تدل على أن "هذا الوجود" يضمر ويصمم إمكانيات ذاتية باستمرار، أو بعبارة أخرى أن "الآنية" في تصميم بالنسبة إلى ماهيتها. والتصميم إشارة إلى شيء لم يتحقق بعد بالفعل ويمكن أن يتحقق في المستقبل، ومعنى هذا أن هذه الصلة تتسم بسمة الاستقبال. وعلى العكس من هذا نجد أن الصلة الثانية، وهي صلة الواقعية، تدل بوضوح على أن التحقق للامكانيات قد كان، أعني أنها تتسم بسمة المضي. وأخيراً نجد الصلة الثالثة مطبوعة بطابع الحضور، لأنها تدل على الوجود حاضراً بين أشياء. فكأن "الآنية" إذاً تتسم بسمة الاستقبال والمضي والحضور أى بآنات الزمان الثلاثة، أى أن جوهر الوجود هو الزمانية، فالزمانية إذاً طابع أصلي آخر للوجود..

وهنا يلاحظ أن الزمان قد فسر تفسيراً جديداً. هيدجر قد ثار على التفسير المألوف للزمان على أساس أنه عبارة عن خط مستمر مقسم إلى آنات ثلاثة متتالية، كما ثار قبله بقليل برجسون واشبنجلر، نظراً لما في هذه النظرة الآلية للزمان من

تشويه لحقيقته لأننا في هذه الحالة نتصور الزمان على أساس المكان، مع أن الزمان والمكان مختلفان كل الاختلاف. وكما نعت برجسون هذا الزمان متصوراً على هذا النحو بأنه زمان آلي، وصف هيدجر هذا الزمان بأنه زمان غير حقيقي، هو زمان الساعات والحياة العملية. أما الزمان الحقيقي فهو الزمان الوجودي أو الزمانية، وهو هذا الذى فسرناه منذ قليل، ومن هذا التفسير يتبين لنا بوضوح أن صفات الوجود الأصلية هي عينها صفات الزمانية. ومعنى هذا أن الوجود والزمان شيء واحد. فلننظر في ماهية هذا الزمان الوجودي أو الزمانية:

هيدجر يميز بين هذه الأحوال الثلاث للزمانية من حيث المرتبة فيجعل المرتبة الأولى للحالة الأولى وهي حالة المستقبل. فالزمانية الأصيلة الحقيقية تصير في حالة الزمانية ابتداء من المسنقبل الحقيقي، حتى انها لتوقظ الحاضر بأن تكون هي مستقبلاً قد كان، فالظاهرة الأولية للزمانية الأصلية الحقيقية إذاً هي المستقبل. ونستطيع أن نفسر هذا بعبارة أخرى فنقول: إن ماهية "الآنية" هي الامكانيات، والامكانيات أشياء لم تتحقق بعد، أى أنها في حالة الاستقبال. فالمستقبل إذن جوهر الوجود. ونظراً لأهمية المستقبل، علينا أن نحلل مضمونه.

في المستقبل تكون "الآنية" في حالة إضمار وتصميم وتوقع مستمر بالنسبة إلى ذاتها، نظراً إلى أن الوجود الكلي لم يتحقق بعد بتمامه بأن بقيت فيه إمكانيات أخرى لم تزل غير متحققة. ومعنى هذا أن "الآنية" ـ حالة المستقبل ـ لا يمكن أن تكون كلاً تاماً، بل لابد أن يوجد فيها باستمرار "نقص" بسبب عدم تحقق جميع الامكانيات. أى أن "الآنية"، على حد تعبير هيدجر، في حالة "تأجيل" باستمرار. وفكرة التأجيل هذه من بين الأفكار التى عني هيدجر بتعمق معناها إلى حد بعيد، نظراً لما لها من أهمية رئيسية بالنسبة إلى مشكلة الموت. وخلاصة ما قاله مارتن هيدجر في هذا التحليل أن معناها "ليس بعد"، وهذه يمكن أن تُفهم بمعنيين..

فقد تكون بمعنى أن شيئاً ليس في المتناول في لحظة ما، كما يُقال عن باقي دين لم يُدفع بعد، أى أننا في هذه الحالة نجزيء الشيء ونجعل منه أجزاء ميسرة الآن وأخرى ستأتي فتضاف ـ مجرد اضافة ـ إلى الأجزاء السابقة. وظاهر أن هذا المعنى لايمكن أن يكون المقصود من التأجيل حينما يُقال عن "الآنية" إنها في حالة تأجيل مستمر، لأن "الآنية" لا يمكن أن تُقسم إلى أجزاء هذا التقسيم الآلى، خصوصاً إذا لاحظنا أن المؤجل أو الذى "ليس بعد" عنصر جوهرى في "الآنية"، فهذا الوجود هو عينه مؤجله. وإذا كان كذلك، فإن من جوهر الوجود حينئذ هذا "الليس بعد" أو المؤجل، وهو موجود بوجوده. وهذا "الليس بعد"، الذى هو عنصر جوهري في الوجود، معناه النقص، أى أن "هذا الوجود" ينقصه شيء باستمرار، فهو إذن في حالة نقص مستمر. أجل، إن هذا "الليس بعد" إمكانية، ولكنها إمكانية ممتنعة التحقيق بالضرورة، لأنها عنصر جوهري في الوجود كما قلنا. بل هو أعلى درجة من درجات الامكانية، لأنه إمكانية عامة، ولكنه أيضاً أعلى إمكانية لأعلى امتناع، لأن الامتناع هنا مطلق.

خلاصة هذا كله أن من بين العناصر الجوهرية في الوجود يوجد عنصر الامكانية المطلقة. وهذا هو الموت. لأن الموت هو إمكان "هذا الوجود" أن لا يمكنه تحقيق حضور بعد، أو إمكانية الامتناع المطلق لهذا الوجود. وليس وراء هذه الامكانية حد، لأن الوجود لا يستطيع مطلقاً أن يتخطى الموت، وإنما يوجد دائماً من هذا الجانب من الموت ولا يمكن أن يكون وراءه. وما ليس له حد هو المطلق. إذن هذه الامكانية مطلقة. وعلى هذا فإنه لما كانت الامكانية إمكانية مطلقة، فالموت إذن هو الامكانية المطلقة للامكانية المطلقة. وعلى هذا فإنه لما كانت الامكانية المطلقة للامكانية المطلقة عنصراً جوهرياً في الوجود، فالموت إذن عنصر جوهرى في الوجود. فحيث يكون وجود، يكون بالضرورة موت.

وبهذا المعنى وحده يجب أن يُفهم الموت على أنه نهاية. فلفظ "نهاية" يُطلق بمعان عدة. فيقال مثلاً عن المطر إنه "انتهى"، بمعنى أنه انقطع انقطاع فناء. ويقال عن طريق في حالة بناء إنه "انتهى" هنا، بمعنى أنه انقطع ولكن لم يكمل بعد. ويقال ثالثاً عن طريق انتهى بناؤه إنه انقطع، أى ليس بعد هذا شيء منه باقياً. ويقال رابعاً عن لوحة تناولتها يد الفنان للمرة الأخيرة إنها انتهت، بمعنى أنها كملت وبلغت تمامها. ولا يمكن أن يقال عن الموت أنه انتهاء بأى معنى من هذه المعاني، لأنه لايوجد من بين هذه المعاني للنهاية ما يفترض في الشيء المنتهى أن الانتهاء موجود فيه منذ أن كان، بينما الموت ـ كما أثبتنا ـ موجود في الوجود منذ هو وجود أى منذ كينونته. وإنما يجب أن تفهم النهاية بالنسبة إلى الموت بمعنى أن الوجود منذ كينونته هو "وجود لفناء". وتلك هي المشكلة الحقيقية للموت، فهي مشكلة تناهي الوجود جوهرياً.

ولكن توجد إلى جانبها مشاكل ثانوية للموت قد تفيد في دراسة هذا المشكلة الحقيقية، لكن بشرط أن يكون الأساس في بحث هذه المشاكل الثانوية هو المشكلة الحقيقية. وأول هذه المشاكل الثانوية للموت، تأتي المشكلة النفسانية للموت، وتدور حول البحث في الشعور الانساني نحو الموت، أولاً بازاء موت الذات الخاصة، وثانياً بازاء موت الآخرين. مع ملاحظة أن البحث في هذه المشكلة ليس بحثاً في الأحوال النفسية عند الميت، بل هي بالأحرى في الأحوال النفسية عند المحتضر.

كذلك يمكن البحث في الموت من الناحية التقويمية، فنبحث في هل الموت خير أم شر. ولكن بحث كهذا لا يتيسر إلا إذا بحثنا من قبل ماهية الخير وماهية الشر من الناحية الميتافيزيقية الوجودية. كما نستطيع أن نبحث في الصلة بين الموت وبين مسائل الالهيات، خاصة فيما يتعلق بوجود الله والخلق من العدم.

وهكذا نجد أننا نستطيع أن نقيم مذهباً فلسفياً عاماً على أساس مشكلة الموت ينقسم تلك الأقسام الأربعة التقليدية للفلسفة. فيتناول أولا الناحية الفلسفية بعنوان "ظاهريات الموت"، ويتناول ثانياً الناحية التقويمية بعنوان" تقويمية

الموت"، وثالثاً الناحية الالهية بعنوان "الهيات الموت"، ويتناول رابعاً وفي الدرجة الأولى الناحية الوجودية بعنوان "وجوديات الموت". وهذا كله بشرط أن تكون الناحية الوجودية لمشكلة الموت هي الأساس في كل بحث فيه، كما هو ظاهر مما قلناه.

إن جعل الموت مركز التفكير في الوجود يؤذن أيضاً بميلاد حضارة جديدة، لأن روح الحضارة تستيقظ في اللحظة التى تتجه فيها بنظرها إلى الموت اتجاهاً يكشف عن سر الوجود. فكأن منطق الحضارة إذاً - سواء بالنسبة إلى الحضارة الغربية وإلى الحضارة الجديدة - يؤذن بوجوب قيام هذا المذهب الجديد اليوم. بهذه الكلمات اختتم بدوي دراسته التشريحية لـ"مشكلة الموت"..

ملاحظات لابد منها:

عبد الرحمن بدوي هو العملاق الذى يموت في وطنه، ويحيا خارجه!

الناس في بلادي - خاصة الشباب منهم - لا يعرفون الكثير عن هذا الفيلسوف المصري، وقد يكون لهم عذرهم في ذلك! لأنه فضلاً عن التحريم الذى يُحيط بالفلسفة والفلاسفة عندنا، قضى بدوي جُل سنوات عمره الخصب بعيداً عن مصرنا الحبيبة، لاستيائه الشديد من تخلف مٌخنث، أسهبت سيرته الذاتية المُهمة في تعريته(3)، لدرجة دفعت جورنالجي مصري - وياللحماقة - للتندر على فيلسوفنا بدوي، ومذهبه الوجودي، بقوله(4): "أنا أسب وأشتم إذن أنا موجود!"

في حوار له مع الجورنالجي نفسه، تحدث بدوي عن نفسه قائلاً(5):

"يبدو أن الكثيرين قد غاب عن بالهم أنني أزحف على جبهتين منذ إنتاجي العلمي الأول، الجبهة الأولى هي الجبهة الفلسفية الإنسانية (العامة والكلية) والجبهة الثانية هي الجبهة الإسلامية، ولا أعتقد أنني عندما أصدرت كتابي الأول عن نيتشه سنة 1939، ثم أصدرت كتابي الثاني عن التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، قد أتيت بذلك شيئاً نكراً.

"لقد اعتدت منذ بواكير حياتي الفكرية أن أسير على هذه الخطة حتى اليوم. فهذه المؤلفات الثلاثة التي ظهرت حول القرآن الكريم وحياة محمد والإسلام تلت كتابي ذي الأربعة أجزاء عن عمانويل كانت. وكتابي عن هيجل ثم موسوعتي الفلسفية وهكذا فعندما أضع مؤلفاً في الفلسفة العالمية لابد أن يعقبه كتاب آخر في الفكر الإسلامي.

"كم أود أن يفهم الناس على هذه الخطة حتى لا تنزلقوا في تفسيرات لا أساس لها من الصحة، كما قال أحمد بهاء الدين في مقالة له - ذات يوم - يفسر فيه

اتجاه طه حسين وبعض معاصريه للكتابات الإسلامية في أخريات أيامهم بأنها نوع من الرجوع أو العودة إلى المنبع التي تتماشى مع تقدم السن!"

قارئي الكريم، إدراكاً مني لسمو مكانة عبد الرحمن بدوي في الفكر العربي المعاصر، أعمد في الملاحظات التالية لتثمين سيرة الرجل، وإسهاماته الفكرية:

1. مشوار بدوي الفكري وحديثه مع الجورنالجي المصري يُعطيان العديد من الانطباعات المُؤرقة! **الانطباع الأول:** تباعد وانفصال الثقافة العربية عن الحضارة الإنسانية، وكأن أبناء أمتنا العربية استثناءً من ناموس الحياة! في حين أن أبناء أي أمة لم ولن يفضلوا غيرهم إلا بقدر ما يُضيفوا للتراث الإنساني. فللإنسان في كل زمان ومكان الحق ـ كل الحق ـ بأن يوجد وأن يتميز بقدر ما يُضيف للحياة، وبقدر ما يُسهم في دفعها إلى الأمام.

2. **الانطباع الثاني:** إمكانية اكتفاء محبي الحقيقة، في سعيهم لتزخيم ثقافتنا، بالزحف على جبهتي الحضارة الإسلامية والإنسانية، دون السعي لحرث التراث والاشتباك مع الحضارة الإنسانية! ففي سعيه الدؤوب لتزخيم حضارتنا، اكتفى بدوي بالإبحار في روائع الحضارتين الإسلامية والغربية، فضلاً عن اهتمامه برصد تاريخ ومظاهر التأثير المُتبادل بينهما! وهو ما قد يُغري غيره من محبي الحقيقة بإتباع النهج نفسه، ويثير التساؤل حول طبيعة تصور الرجل لكيفية التعاطي العربي مع إشكالية الوافد والموروث!
3. **الانطباع الثالث:** إمكانية اتخاذ محبي الحقيقة لمعايير ضبابية في الحكم على الأمور!! فأحكام بدوي في معاركه الفكرية العديدة لا تستند في معظمها لمعيار واضح! فعلى سبيل المثال، النقيصة الوحيدة عند الجورنالجي أنيس منصور ـ في رأي بدوي ـ هي حبه للمفكر المُجتهد عباس العقاد! الأكاديمي المرموق محمد أركون هو تلميذ الاستشراق ومشكوك في وطنيته! الأكاديمي فؤاد زكريا تقطر كتبه سُماً على الإسلام والمسلمين!

4. **الانطباع الرابع:** تواضع إسهام بدوي الفلسفي، مقارنة باسهام نظرائه من الموقظين العظام في الحضارات الأخرى، أو حتى مُقارنة بإمكانيات بدوي نفسه الفلسفية! صحيح أن طه حسين قال في مدح بدوي أثناء مناقشة رسالته لنيل الدكتوراه "الزمان الوجودي"(6): "لأول مرة نُشاهد فيلسوفاً مصرياً"، غير أني أظل على قناعتي بأن المفكر عبد الرحمن بدوي لم يتفلسف قدر اعتنائه بالفلاسفة، ومذاهبهم! ولشد ما يؤسفني هذا الأمر!

5. **الانطباع الخامس:** إمكانية تورط محبي الحقيقة في تلاسن ساذج مع أصحاب الفهم غير الفلسفي للأديان! فيلسوفنا بدوي أحجم على نحو غامض عن إيضاح التعريف الفلسفي للأديان؟ والأكثر إثارة للدهشة انه لم يكتف بالسكوت عن فلسفة الضرار، بل اتهم بعض مخالفيه بازدراء الأديان!

6. السؤال المُلح: هل يُعقل عدم إدراك الفيلسوف بدوي للبون الشاسع الفاصل بين الأصل الديني للإسلام وبين الإسلام كحضارة متكاملة؟! هل يُعقل أن يكون هذا قد حصل، رغم ما هو معروف عن الرجل من عبقرية فذة وشغف بالمعرفة، إلى جانب اعتزازه المُفرط بكرامته الشخصية واستقلاليته الفكرية، إضافة لعدم تكالبه على المناصب أو الجوائز والأوسمة..الخ!

7. صحيح أن الإسلام كحضارة كاملة نشأ وتطور في كنف الأصل الديني للإسلام، بيد أنه لا يصح أن تنسحب القداسة التي نعترف بها للأصل الديني على أمور هي من صميم الإسلام كحضارة كاملة، أعني حقوق الإنسان والتاريخ والسياسة والقانون والأخلاق...إلخ! أمور حياتية كهذه لا يصح أن تُشفر ضد النقد والتطوير! فحياة الإنسان في حراك دائم، ومن يحلم بتأبيد اللحظة يُراود المستحيل، ويُورث نفسه وأبناء حضارته العار والهوان!

8. أما بالنسبة لدراسة بدوي: "مشكلة الموت في الفلسفة الوجودية"، والتي أوردنا في الجزئية السابقة عرضاً مُطولاً لها، فعنوانها ـ وكما نرى ـ يشي بعناية صاحبها بالفلسفة الوجودية، كونها أحدث "الموضات" الفكرية الرائجة إبان سفره إلى ألمانيا عام 1937 للدراسة، واعتقاد بدوي بكون الوجودية خير مذهب فلسفي يُطابق روح العصر آنذاك، ويُعبر عن حال الإنسان، ويهتم بكل ما يتعلق بالإنسانية. موقف كهذا لا يُحسب لبدوي!

9. الفيلسوف بدوي انبهر على ما يبدو بالمذاهب الفكرية الغربية، ولم يجرؤ على بناء مذهب فلسفي مُبتكر، تُلمس فيه تجربتنا الحضارية، ويرى معذبو أرضنا الطيبة في مرآته آلامهم، بل وخلاصهم إن أمكن! فالشائع في مجتمعاتنا المتخلفة أن نجد من يُميز نفسه على أنه وجودي أو ماركسي أو فيورباخي أو بنيوي أو تفكيكي أو سريالي..الخ! غير أن المُضحك حقاً هو أنك تجد بين هؤلاء الأتباع الأكفاء من هو أشد تشبثاً ورفضاً لنقد وتطوير المذهب الغربي من مُبتكر المذهب نفسه! ملكيون هم أكثر من الملك!

10. على أية حال، الوجودية، كبقية المذاهب الفلسفية (ومنها فكرنا الأنسني)، تُعنى ـ وعلى طريقتها الخاصة ـ بالإنسان، وحياة يعيشها ولم يطلبها!

11. لا يُقصد بالوجودية، وكما جاء في مُحاضرة لسارتر بعنوان "الوجودية مذهب إنساني"، سوى أن للانسان كرامة أكبر مما للحجارة أو المنضدة، لأنها تعنى أن يُقال إن الانسان يوجد أساساً ثم يُريد أن يكون، ويكون ما يريد أن يكون بعد القفزة التى يقفزها إلى الوجود!! الانسان يكون شيئاً، يمتد بذاته نحو المستقبل، وهو يعي أنه يمتد بها إلى المستقبل! فالانسان مشروع، مشروع يمتلك حياة ذاتية، بدلاً من أن يكون شيئاً كالطحلب(7).

12. هدف الوجودية إذن، وكما يتضح من كلمات الفيلسوف الوجودي سارتر، هو تعميق وعي الانسان بذاته، وبالحياة التي أُعطيت له، ولم يطلبها! من هنا، يأتي حرصنا على تثمين دراسة بدوي لـ"مشكلة الموت في الفلسفة الوجودية"، والإفادة منها في تزخيم معالجتنا للمشكلة نفسها في ثقافتنا(8).

لنبدأ من حيث انتهى بدوي:

الفلسفة الوجودية، وعلى خلاف فكرنا الأنسني، تتسم بقدر يُعتد به من الغموض والتعقيد! ولا عجب، فروادها الأوائل استندوا في بنائها، وكما يتضح من عرضنا لدراسة بدوي، إلى ميراث فلسفي ضخم، يصعب توافره في الحضارات غير الغربية. كما أن صيتها ذاع في مجتمعات، ملآى بالأحرار ومحبي الحقيقة.

بعبارة أخرى، يمكن تفهم الغياب المنطقي لتجربتنا الحضارية عن الفلسفة الوجودية، كون الوجودية لا تُعنى بخلق وعي الإنسان بذاته وبالحياة، بقدر ما تُعنى بتعميق هذا الوعي! بُناة الوجودية ـ على ما يبدو ـ افترضوا قدراً يُعتد به من الوعي بالذات وبالحياة لدى المُتلقي الغربي وهم على حق فيما ذهبوا إليه!

الفلسفة الوجودية إذن مُحاولة لتعميق وعي الإنسان بذاته وبالحياة! ولا أدري كيف لمجتمعات كمجتمعاتنا العربية المتخلفة، أن تتمكن من تثمينها، في ظل ولع أبنائها الكارثي بـ"العبودية المُختارة"، وتسيد "تُجار الآلام" و"فلاسفة الضرار" للدوائر الفكرية والأكاديمية، ناهيك عن افتقاد مجتمعاتنا المنكوبة لبنية تحتية فلسفية، تسمح بحرث التراث والاشتباك مع الحضارة الإنسانية، على نحو مؤثر.

في دراسته لـ"مشكلة الموت"، خلص العملاق بدوي إلى النتائج التالية:

- الموت إشكالية، من الناحية الوجودية، ومن ناحية المعرفة.

- يكون الموت مشكلة حينما يشعر الإنسان - أي إنسان - شعوراً قوياً واضحاً بإشكال الموت، وحينما يحيا هذا الإشكال في نفسه بطريقة عميقة، وحينما ينظر إلى الموت كما هو ومن حيث إشكاليته هذه. ويحاول أن ينفذ إلى معناه من حيث ذاته المستقلة. يقتضي هذا كله أشياء من الناحية الذاتية (الحرية/الشخصية/الخطيئة)، وكذلك من الناحية الموضوعية.
- ثمة حاجة لإقامة مذهب فلسفي عام على أساس مشكلة الموت، ينقسم إلى الأقسام التقليدية للفلسفة، فيتناول: 1- الناحية الفلسفية بعنوان "ظاهريات الموت". 2- الناحية التقويمية بعنوان" تقويمية الموت". 3- الناحية الإلهية بعنوان "إلهيات الموت". 4- الناحية الوجودية بعنوان "وجوديات الموت".

نتائج عديدة ومهمة لدراسة بدوي، ملت إنتظار من يحرص على تثمينها!

بالنسبة لي، أكتفي هنا بتطبيق بعض مقولات دراسة بدوي على مجتمعاتنا، بغية التعرف على مدى قوة ووضوح شعورها بإشكال الموت، وهل يحيا هذا الإشكال في نفوس أبنائها بطريقة عميقة، وهل ينظرون إلى الموت كما هو ومن حيث إشكاليته هذه. وهل يحاولون النفاذ إلى معنى الموت من حيث ذاته المستقلة.

من مقولات دراسة بدوي انه كلما كان الشعور بالشخصية أقوى وأوضح، كان الانسان أقدر على إدراك الموت! وكل إضعاف للشخصية يُشوه حقيقة الموت!

تخلف شعوبنا وضعف شخصيتها، لابد إذن وأن يُشوه ادراكها للموت!

فكرة الشخصية تقتضي بدورها فكرة الحرية، فلا شخصية حيث لا حرية، ولا حرية حيث لا شخصية. وذلك من ناحيتين: 1- أنه لا وجود للشخصية إذن إلا مع الحرية. 2- أن الحرية هي الاختيار، ولا اختيار إلا بالنسبة إلى شخصية تميز. من هذا الارتباط بين الموت والحرية، نستطيع أن نستنتج أن كل المجتمعات، ومنها مجتمعاتنا المتخلفة، التي تكتفي شعوبها بالحرية الموضوعية، دون الذاتية، لم يكن حظها أن تُدرك مشكلة الموت على نحو حقيقي غير مشوه.

في مقالتي الأخيرة(9): "أبطال عظماء أم باعة لصكوك الحرية"، أوضحت كيف أن الانسان الشرقي عموماً، والانسان العربي على وجه الخصوص، ينظر إلى الأوامر والقوانين على أنها شيء ثابت مُحدد ومُجرد، يخضع له في عبودية مطلقة، وأنه لا يتعين أن تلبي هذه القوانين أمانيه، وبالتالي فإن المواطنين يكونون للأسف أشبه بالأطفال الذين يُطيعون آباءهم بغير إرادتهم أو بصيرتهم الخاصة!

الحرية عندنا موضوعية لا ذاتية! الدولة هي الحياة الروحية الكلية التي يرتبط معها الأفراد بمولدهم بعلاقة ثقة ويعتادونها ويتمثل وجودهم وواقعهم الحقيقي فيها. العربي يفتقر إلى البصيرة، والإرادة، والشخصية. إنه يفتقر إلى الحرية الذاتية، التي لا تتحقق إلا في الفرد، ولا تتجسد إلا في وعيه بحرية عقله وقلبه. إنه حر بقدر ما يُسمح له، ولا يجرؤ على الدخول المُنفرد لملكوت الحرية.

مجتمعاتنا المتخلفة لا تعرف من الحرية إلا حرية الحاكم، أي حرية القوى الحاكمة! أبناء أمتنا لديهم قناعة راسخة انه انما ينهض بالأمة مستبد عادل، يتمتع هو وحده بالحرية الذاتية، بينما يُسمح لبقية أفراد المجتمع بالحرية الموضوعية.

الحالمون بالمُستبد العادل يفتقرون دوماً إلى البصيرة والإرادة والشخصية وينفرون ممن يسعى لاضاءة عقولهم وقلوبهم بمصابيح الحرية. الحالمون بالمستبد العادل/البطل المُخلص في أوطاننا لا يدخلون، بل لا يجرؤن حتى على مجرد التفكير في دخول ملكوت الحرية، دون اذن! البطل العربي بائع لصكوك الحرية!

فهم مُخنث كهذا للبطولة والحرية لابد وأن يقترن بادراك مشوه للموت!

الحرية هي القدرة على فعل الخير والشر بالنسبة إلى الإنسان الفرد. بمعنى آخر، لابد للحرية أن تكون قدرة على فعل الشر وإلا فإنها لن تكون حينئذ حرية.

من هنا جاء الارتباط الوثيق بين الحرية وبين الخطيئة: فحيث لا توجد الخطيئة لا توجد الحرية، وحيث توجد الحرية توجد الخطيئة بالضرورة. وعن طريق هذا الارتباط بين الحرية والموت من جهة، وبين الحرية والخطيئة من جهة أخرى، كان الارتباط بين الخطيئة وبين الموت. والارتباط بين الخطيئة وبين الموت قد بلغ أول درجة عليا من درجات التعبير عنه في المسيحية، وصُور أصرح تصوير في عبارة القديس بولس: "بواسطة إنسان نفذت الخطيئة إلى العالم، وعن طريق الخطيئة نفذ الموت". فهذه العبارة تدلنا على أن المسيحية نظرت إلى الموت على أساس أن مصدره الخطيئة، أى أنها أدركت منذ ابتدائها ما هنالك من صلة وثيقة جداً، هي هنا صلة العلة بالمعلول، بين الموت وبين الخطيئة.

هي أيضاً قد ربطت بينهما عن طريق فكرة الحرية الفردية، خصوصاً إذا لاحظنا أن الحرية الفردية ـ وبحسب دراسة بدوي ـ تحتل مقاماً عالياً في الفكر المسيحي، ومصدر هذا ارتباط الحرية بالخطيئة: فإذا كانت فكرة الخطيئة تلعب الدور الأكبر في الحياة الروحية المسيحية، كان لابد إذاً من القول بالحرية الفردية بل وتوكيدها، ما دامت هي مصدر الخطيئة. وهكذا نرى أن الناحية الذاتية كان من

شأنها أن تهيئ للمسيحية أن تضع مشكلة الموت وضعاً حقيقياً، إن توافرت الناحية الموضوعية إلى جانب الناحية الذاتية، ونعني بها الشخصية، والحرية، والموت.

قارئي الكريم، لن أتطرق هنا للعلاقة بين الخطيئة والموت في ثقافتنا العربية، لأنه ـ ومقارنة بالمجتمعات الغربية مثلاً ـ ثمة غموض نسبي يكتنف هذه العلاقة، يزيد من حدته إحجام "فلاسفة الضرار" عن تعهده بالبحث الفلسفي!

قلنا سلفاً إن الانسان في مجتمعاتنا المتخلفة يفتقر إلى البصيرة، والإرادة، والشخصية. قلنا أيضاً إنه يفتقر إلى الحرية الذاتية، التي لا تتحقق إلا في الفرد، ولا تتجسد إلا في وعيه بحرية عقله وقلبه. إنه حر بقدر ما يُسمح له، ولا يجرؤ على الدخول المُنفرد لملكوت الحرية. إنه في انتظار أبدي لباعة صكوك الحرية!

وهكذا، ومادامت الحرية الذاتية، والتى هي مصدر الخطيئة أو هي القدرة على فعل الخير والشر بالنسبة إلى الإنسان الفرد، مهيضة الجناح في ثقافتنا العربية إلى هذا الحد المُتطرف، فلابد إذن وأن يتشح إدراك مجتمعاتنا للموت بالتشوه! صفوة القول ان ضعف الناحية الذاتية في ثقافتنا، وأعني بها الشخصية والحرية والخطيئة، ينال بشدة من قدرتنا على وضع مشكلة الموت وضعاً حقيقياً!

من مقولات دراسة بدوي أيضاً ما يتعلق بالناحية الموضوعية: انه لكي تكون النظرة إلى الموت صحيحة، يجب أولاً أن تجعل الموت جزءا من الحياة، وإلا فلن يكون له مكان داخل نظرة الانسان إلى الوجود، وإنما سيكون شيئاً عرضياً يمكن إغفاله! ويجب ثانياً ألا تجعل الموت مُضاداً للحياة، على نحو ما تفعل المسيحية!

ثقافتنا العربية ـ وكما هو واضح ـ استطاعت أن تضع الموت وضعاً حقيقياً من حيث أنه مشكلة فحسب. القرآن يقول(10): "كل نفس ذائقة الموت".

ثقافتنا العربية نفسها، حينما أرادت أن تُعرف هذا الموت من حيث ماهيته اتسمت نظرتها للموت بتشوه مُرعب، يجد المرء اثاره في كل زاوية من حياتنا!

ولمن لا يستسيغ كثيراً زعمنا بوجود ارتباط وثيق بين انحطاط مجتمعاتنا العربية وبين تشوه نظرتها للموت، أقول: ليست الفكرة مجرد معنى ذهني، ولكنها تحتوي في ذاتها على قوة دينامية قادرة على أن تحرك الأفراد، والشعوب، وتدفعهم إلى الاتجاه لتحقيق غايات بعينها، وخلق الأنظمة التى تساعد على ذلك.

أنظر إلى مجتمعاتنا العربية مثلاً، تجد هرماً من الأفكار الحاكمة ـ وفي مقدمتها نظرتنا للموت ـ، يُتهم في شرفه وكرامته من يتصدى لنقده وتطويره، كونه مُحاطاً بسياج مُخيف من الاجلال والتوقير، رغم تأثيره الشديد على حياة أمتنا وصياغة مستقبلها، وتحديد علائقها الاجتماعية. والسؤال الذى يفرض نفسه: هل من الحكمة أن تُترك هذه الأفكار الحاكمة ليبثها فينا من يشاء ويُبلورها في ضمائرنا من

يشاء؟ أم أن الحكمة أن يُخلى بين مُحبي الحقيقة عندنا، وبين هذه الأفكار(التى يمتزج فيها الشعور باللاشعور وما هو غيبي بما هو واقع..الخ).

مواطن التشوه في النظرة العربية للموت:

إنه لأمر طبيعي أن ترسخ في وجدان كل فرد نظرة الموت العامة السائدة في مجتمعه. فإذا ما طبق الفرد هذه النظرة السائدة على زواله شخصياً، لاعتنق كإنسان وجهة النظر عينها. وهذا ما يفعله غالبية الناس بنجاح، إذ أن أول ما يقابلون هي النظرة العامة مصحوبة بأوسع ما يمكن من القوة والسلطان والهيبة.

ما يحدث هو أن الجميع - فيما عدا الشخص نفسه - يستطيعون التفكير في موته على أنه موت شخص آخر غيرهم. أما بالنسبة للميت، فإن موته شخصياً إن هو إلا خبرة خاصة به وحده لا يستطيع المجتمع أن يتدخل أو يشترك فيها، وعلى هذا يعجز عند إصدار حكمه عليها. الجهد الفلسفي حتمي إذن لتوضيح أن الانسان إنما يموت وحده، في خلوة وانفراد. وكذا تعرية مواطن التشوه في نظرة المجتمعات للموت. من هنا، أحرص في هذه الجزئية على تعرية أبرز مواطن التشوه في نظرة مجتمعاتنا العربية المتخلفة للموت، على أمل الاسهام في محوها.

- **خلف باب الموت الموصد إله قاس كاره للحرية والأحرار!**

الديانة الإسلامية - وهي الآن الأكثر انتشاراً بين العرب - تبدو بسيطة واضحة في الركن الأول من أركانها، وهو شهادة أن لا إله إلا الله. ومعنى هذا في الاسلام هو أن الله وحده هو الاله الحق دون سائر الآلهة التى كان يعبدها أهل مكة. شهادة لا إله إلا الله لم تتعرض لماهية الله، وإنما تعرضت فقط لبيان مقامه.

وعلى هذا فلفظ الجلالة "الله" كان ولا يزال اسم العلم الذى يُطلق على الخالق عند المسلمين. وهو يقابل - بحسب ماكدونالد - كلمة "يهوه" Yahwe عند اليهود، لا كلمة "إلوهيم" Elohim. وليس لكلمة "الله" جمع، وإذا أراد المسلمون الكلام عن الآلهة بالجمع فإنهم يلجئون إلى جمع كلمة "إله"، وهي إسم جنس يُرجح ماكدونالد أن كلمة الله اشتقت منه. القرآن الكريم يستعمل هذا الجمع عند كلامه عن الآلهة الأخرى، التى كان أهل مكة يشركونها مع الله (سورة الأنعام، الآية 19). وقد حذا المسلمون حذو كتابهم المقدس في ذلك، ولو أنهم - فيما يبدو - آثروا أن يُطلقوا على تلك الآلهة اسم الأصنام أو الأوثان تمييزاً لها.

على أنه وإن كان اسم "الله" واحداً عند أهل مكة وعند النبي محمد - كما ذكرت تواً -، فإن تصورهم لحقيقة الله لابد وأن يكون مختلفاً اختلافاً بيناً. فالواضح أن أهل مكة بوجه عام لم يكونوا يخافون الله، وإنما خوفه كان من أركان الديانه

الاسلامية. كان أهل مكة يظنون الله بعيداً عنهم بُعداً عظيماً، في حين يقول القرآن إن الله قريب جداً في كل لحظة، بل هو أقرب إلى الناس من حبل الوريد (سورة ق، الآية 16). أهل مكة لم يترددوا في عصيان الله وعبادة آلهة أقل شأناً. في حين عرفت رسالة النبي محمد الله بأنه الملك، المنتقم الغيور، وأنه سيحاسب الناس من غير شك ويعاقبهم في اليوم الآخر، وبذا تحولت تلك الفكرة الغامضة عن الله إلى ذات لها خطر عظيم(11). شرارة الخوف من الله في مُجتمعاتنا، وجدت على مر القرون، من ينفخ فيها ويؤججها، لتصير نيراناً تأكل الرحمة.

القرآن الكريم أتى بالحقيقتين الكبيرتين، وهما قدرة الله على كل شيء ومسئولية الانسان، وأن الصالحات يُثاب عليها والطالحات تُجازى. وقد جاهد المفكرون المسلمون بلا كلل لايجاد حل لهذا التناقض الظاهر. غير أن الصراع على ما يبدو حُسم بدربة وصرامة لصالح مُناهضي حرية البشر وباعة الأوهام، رغم أنه لايمكن للانسان في هذه المرحلة من تطوره أن يحسم هذه القضية والتى ليست قصراً على الاسلام وإنما تعرضت لها كل الأديان، فهي قضية عامة(12)!

من هنا، يشيع في مُجتمعاتنا العربية المتخلفة أن خلف باب الموت إله قاس، يكره الحرية والأحرار، يُثيب الجبناء فحسب، أما النبلاء فيُصليهم عذاب الجحيم! إله لا يبلغ مجده إلا على جماجم الثوار، وصراخ "مُحبي الحقيقة" في قاع الجحيم!

ما أشقانا نحن العرب بهذا الفهم المُشوه للخالق العظيم. لا يمكن أن يكون الله عز وجل بمثل هذه البشاعة والشراسة. إلهنا الرحيم يوجد حيث يسكن النور! كيف أصدق أن إلهاً عظيماً كإلهي، يمكن أن يعاملني بمثل هذه القسوة والوحشية! لا أصدق أن لالهي الرحيم مُعتقلات تُنافس في بشاعتها "سجن أبو غريب العراقي" و"سجن العقرب المصري" و"مُعتقل جوانتانامو الأمريكي" و"سجن المزة السوري"!

- **الحياة "أمة"، تُشتهى وتُعاشر، لكن لا تُعامل كـ"حرة":**

الوجدان العربي مُتشبع على نحو كارثي بقناعة بالية مفادها أن الانسان مخلوق آثم، شقي بالفطرة، يرفل في الشقاء، وأن العالم سيصل إلى نهايته يوماً ما، وأن ليست الحياة على الأرض غاية في ذاتها، ولكنها أشبه بتمهيد للجنة أو الجحيم. الوجدان العربي لا يستريح لفكرة وجود مستقبل زاهر للبشر الفانين!

الحياة عند شعوبنا تُسرع الخُطى نحو الفناء، والزمن يسير حتماً نحو الأسوأ! السلف لا يُعوض! والاستثمار الرابح لا يكون إلا في "ما وراء الموت"!

غير أن المدهش هو عدم نجاح قناعات كالمذكورة تواً في لجم تكالب أصحابها على مظاهر الرفاهة بمختلف أنواعها! بل والأكثر إثارة للدهشة هو عدم خُلوها من خطر عظيم، إذ غالباً ما تُتخذ كحجاب لستر دناءة أصحابها. فضلاًً عن وقوفها حائلاً دون إحترام أصحابها للحياة، وإحجامهم عن اثرائها ودفعها للأمام.

الحياة عندنا إذن "أمة" أو "بغي"، يقضى المرء منها لبانته، ثم يُلقي بها في عرض الطريق متاعاً للآخرين! بالنذالة وانتهازية تعامل أمتنا البائسة مع الحياة!

إن كلاً منا، معشر البشر، على الأرض في زيارة عابرة، نجهل سببها، ولكننا نعتقد في قرارة أنفسنا أننا نحس ونُدرك هذا السبب! بالنسبة لي، أراني قانعاً اننا هنا من أجل أولئك الذين نستمد كل سعادتنا من ابتسامتهم وبهجة حياتهم، فلذات أكبادنا وأحباؤنا، وكذلك أيضاً من أجل الجمع الغفير من الناس الذين وإن كنا لا نعرفهم، تربطنا وإياهم روابط الرفقة الإنسانية. إننا هنا للدفاع عن الحرية، هدية الله للبشر. الخصائص التي تتكون منها طبيعتنا البشرية، والتى تُميزنا عن بقية الكائنات المُحيطة بنا، إنما مُنحت لنا وأُعطيت كبذرة، يجب أن نستثمرها.

حياتنا الداخلية والخارجية تعتمد على جهود معاصرينا وأسلافنا، ولذلك حتماً علينا أن نسعى ما وسعنا بأن نرد جميلهم بقدر ما نلنا ومازلنا ننال من ثمرات جهودهم. مظاهر النجاح الظاهري، كالرفاهة المادية والشهرة، كلها بضاعة تعسة. الحياة أخطر من أن تكون مُجرد تمهيد للجنة أو الجحيم. الحياة رسالة(13).

إنها لقصيرة وعاجزة حقاً، حياة الانسان، فقد قُضي عليه اليوم أن يفقد أحباءه، وقُضي عليه أن يلتقي نهر حياته ـ هو نفسه ـ غداً صحراءه! يحدد الانسان معنى حياته يما يُضيفه إلى الانسانية. غير أن الانجاز أو بلوغ المأرب ليس المصدر الوحيد لمعنى الحياة! لأنه لو كان الأمر كذلك، لوجد أولئك الذين يُحرمون من إنجاز عمل، أن حيواتهم خلو من المعنى، لامناص. ولكن هناك أولئك الذين يؤدون عملاً تافهاً أو ضئيلاً، ويجدون ما يكفي من معنى للحياة في خبرة حبهم عندما يحبون ويحبون. في وسع الانسان أن يبقى كائناً بالرغم من عدم انجاز أى شيء فوق الحفاظ على ذلك التواصل الرائع، مع "الله" ورفاق الطريق!

لدى كثير من الناس شعور أو لعله اعتقاد وهمي، بأنهم مكلفون برسالة من نوع خاص عليهم إنجازها! الاقتناع بوجود مهمة يحول بينهم وبين الاحساس بالضياع والعدم. للحياة معنى ما دام الانسان مستمراً في الرقي وفي دفعها للأمام.

إن مجرد وجودنا على قيد الحياة قيمة. وعار ثقيل علينا، معشر العرب، أن نشتهي الحياة ونُعاشرها كـ"أمة"، وهي "الحرة الأبية"! ما الحياة إلا وقفة عز، وإذا كان لابد لنا أن نموت، فلنمت نبلاء، على حد تعبير الراحل النبيل إيميه سيزير!

- **ديمقراطية الموت لا تُجيز ديمقراطية الثروة والنفوذ:**

ثمة اصرار حديدي في ثقافتنا العربية المتخلفة على تحريم ووأد أية محاولة لمحاكاة ديمقراطية الموت وتطبيقها في ميادين أخرى كالثروة والنفوذ والسلطة! أتذكر نصاً قرأته للمفكر المصري فؤاد زكريا، لشد ما يعضد زعمنا. قال الرجل عما أسماه بالاسلام البترولي(14): "لا يجد الاسلام البترولي أي تناقض بين دعوته إلى شمول الشعائر(كالصلاة والحج..الخ)، ونشرها على كافة المستويات، وخصوصية الثروة والنفوذ وفردية القرار السياسي. انه باختصار، إسلام يوظف لحماية المصالح البترولية للقلة الحاكمة، وحلفائها من الدول الأجنبية المستغلة"!!

فعلاً، لشد ما يُعضد حديث فؤاد زكريا عن "الاسلام البترولي" زعمنا المذكور تواً بأنه ثمة اصرار في ثقافتنا المُتخلفة على تحريم ووأد أية محاولة لمحاكاة ديمقراطية الموت، وتطبيقها في ميادين أخرى كالثروة والنفوذ والسلطة!

تفرقة صارمة كهذه بين ديمقراطية الموت والشعائر وبين ديمقراطية الثروة والنفوذ والقرار السياسي، تعكس تشوهاً مُخيفاً في النظرة العربية للموت، لسببين: أولاً، تحقير هذه النظرة للـ"حياة" في عيون أبناء ثقافتنا، وابرازها في صورة العاجز عن محاكاة "ديمقراطية الموت"! ثانياً، تفريغ النظرة نفسها لواقعة الموت من مغزي أبدع طاغور في وصفه(15): "فكرة أن الحياة ليست شيئاً دائماً ساعدتني على تنوير ذهني، إننا لسنا سجناء إلى الأبد خلف سياج الحقائق المُتحجرة!"..

التفلسف هو أن تتعلم كيف تموت(16):

قارئ هذه الجزئية، لابد وأن يكون قد طالع ولو مقالة واحدة من تلك التى أنشرها بين الحين والآخر على "الانترنت"، وأتعهد فيها مذهبي الأنسني بالنقد والتطوير! فأنا في هذه المقالة، وخروجاً على عادتي، لن أعرض لمذهبي إلا بقدر ما يخدم ما أريد قوله هنا! وللقارئ الكريم أن يعود لمقالاتي إن هو أراد المزيد!

ليس لكاتب هذه المقالة، ولا لغيره من محبي الحقيقة، الحق في ادعاء القدرة على صياغة نظرة للموت وما وراءه لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها. لا لشيء، وإنما لكون الموت وما وراءه مشكلة تجريبية، ليست لدينا معشر البشر بينة تجريبية عنها. إنها مسألة تتعلق بالحقيقة والتى لا مكان لها سوى صدر

الاله. كل ما نملكه إذن، ونرمي إليه، نحن محبو الحقيقة، هو حماية أنفسنا ورفاق الحياة، من مُشعلي حرائق الخوف. التفلسف هو خير وسيلة لقهر الخوف من الموت!!

خلصنا فيما سبق إلى ان ضعف الناحية الذاتية في ثقافتنا، وأعني بها الشخصية والحرية والخطيئة، ينال بشدة من قدرتنا على وضع مشكلة الموت وضعاً حقيقياً! كما خلصنا أيضاً إلى أن ثقافتنا العربية استطاعت أن تضع الموت وضعاً حقيقياً من حيث أنه مشكلة فحسب. بيد أنها حينما أرادت أن تُعرف هذا الموت من حيث ماهيته اتسمت نظرتها للموت بتشوه مخيف، يجد المرء اثاره في زوايا حياتنا! وعضدنا ذلك بعرض موجز لأبرز مواطن التشوه في نظرتنا للموت.

والسؤال، الذى لابد وأنه يجول بصدرك قارئي الكريم بعد فراغك من قراءة ما سبق، هو: من المسئول عن اضعاف قدرتنا على ادراك الموت على نحو صحيح؟ ومن المسئول أيضاً عن انتاج وتكريس هذا الفهم العربي المُشوه للموت؟

الاغتراب الثقافي للذات العربية، والآخرية العربية/المحلية الآثمة، مسئولان -برأي فكرنا الأنسني - عن انتاج وتكريس هذا الفهم العربي المُشوه للموت..

في تثمينها لقدر الإنسان في الزود بشرف عن حرية عقله وقلبه، تذهب رؤيتي المُقترحة للفكر الأنسني إلى القول بأن تطور التاريخ الإنساني إنما يُعد نتاجاً لصراع طويل ومرير بين إنسان (ذات) لا يملك سوى حرية عقله وقلبه التي وهبه الخالق إياها، ليستعين بها على ترويض الحياة، وبين (آخر) يُصر على الاستئثار بالحرية، ليتسنى له العبث بمقدرات رفاق الحياة! فـ (الآخر)، في رؤيتي المُقترحة للفكر الأنسني، عادة ما يعمد إلى آليات بعينها لتكريس تنازل أخيه (الذات) عن حقه في نقد وتطوير ثقافته، أي طريقة حياته الشاملة، ليظل هذا الأخ المسكين (الذات) تابعاً ذليلاً طيلة مقامه في ضيافة الحياة، يستهلك فقط ما يجود عليه به عقل (الآخر)، حتى أنه بمرور الزمن، يفقد هذا التابع الذليل تماماً قدرته على النقد والتطوير ويُصبح مسخاً عاجزاً، لا يملك سوى الانتظار الابدي!

من هنا، يتضح ضلوع الآخرية العربية/المحلية، ومن خلفها الآخريتين العالمية والاقليمية في أمرين: أولهما، انتاج وترويج نظرة عربية مشوهة للموت، تبرر الممارسات اللاانسانية في حق الذات العربية، وتُضفي أيضاً شرعية عليها!

الأمر الثاني، هو اضعاف قدرة الذات العربية على محو التشوه الحاصل في نظرتها للموت، عبر ادامة اغترابها الثقافي، أي إدامة تنازلها عن حقها المشروع في نقد وتطوير ثقافتها. الاغتراب الثقافي للذات لابد وأن يُديم ضعف الناحية الذاتية(الشخصية والحرية والخطيئة) في ثقافتنا، على نحو ما هو حاصل.

ادراك أبناء ثقافتنا العربية للموت على نحو صحيح وصحي مرهون إذن بكسر نير اغترابنا الثقافي واستعادة حقنا المشروع في نقد وتطوير ثقافتنا، كبقية شعوب الأرض. ومرهون أيضاً بتعرية الآخرية العربية/المحلية والسعي لتفكيكها.

لم يعد مقبولاً أن يُشوه الله "الرحيم" في عيون أبناء أمتنا، فيتصورونه جلاداً قاسياً، يسومهم سوء العذاب إن عن لهم يوماً تحطيم نير اغترابهم أو تعرية مُشعلى حرائق الخوف من الله. الله لم ولن يكون جلاداً للأحرار! الحرية هدية الله للبشر!

اعتقادي بأن المحبة تطرد الخوف، يزيدني حباً في الله وثقة في رحمته! واعتقادي بأن "الضمير" هو صوت الله داخلنا، يجعلني حريصاً على الانصات له!

قارئي الكريم: الموت عندي نهاية الحياة، لحظتها الأخيرة، لكنه ليس هدفها! الموت عندي أن ينفتح أمامي باب يُطل على الأبدية، وأن يضمني وآلامي حضن "الألوهة" الرحب الرحيم! الموت عندي أن أغادر في هدوء ورضا عندما يُطلب مني الرحيل! أنا لم أطلب هذه الحياة، لكنني عشتها، وفعلت أفضل مالدي!

الهوامش ومصادرها:

(1) كثيراً ما يُقال إن الغزالي قضى على الفلسفة في الحضارة الاسلامية قضاءً مُبرماً، لم تقم لها بعده قائمة، وهو قول أراني أقره! غير أني أزيد عليه أن الغزالي بمواقفه الكارهة والمناهضة لحق أبنا حضارتنا الاسلامية في التفلسف (النضال من أجل الحقيقة)، يُؤرخ على الأرجح لميلاد "فلسفة الضرار"! وأعني بها الفلسفة حين تتنكب لمهمتها، وينتهي بها الأمر إلى التهافت في دوجماطيقية، في معرفةٍ موضوعة في صيغ، نهائية كاملة، تنتقل من واحد إلى آخر بالتعليم! فلسفة الضرار تُصيب هدفين: أولاً، إضعاف قيمة وأهمية نُشدان الحقيقة. وثانياً، إشاعة العُقم الفلسفي، فأقصى ما يستطيعه فلاسفة الضرار هو فهم الفلسفات القائمة والتشدق بمقولاتها! للمزيد راجع مقالتي: "فلسفة الضرار واقع كارثي"، منشورة على الانترنت.

(2) عبد الرحمن بدوي، الموت والعبقرية، (الكويت & بيروت: وكالة المطبوعات & دار القلم، بدون تاريخ).

(3) راجع: عبد الرحمن بدوي، سيرة حياتي 1&2، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000).

(4) انظر: سعيد اللاوندي، عبد الرحمن بدوي فيلسوف الوجودية الهارب إلى الاسلام، (القاهرة: مركز الحضارة العربية، 2001)، ص 51-53.

(5) نفس المرجع، ص 154-155.

(6) عبد الرحمن بدوي، الزمان الوجودي، (بيروت: دار الثقافة، 1973).
(7) للمزيد راجع: جان بول سارتر، ترجمة عبد المنعم الحفني، الوجودية مذهب إنساني، (القاهرة: مطبعة الدار المصرية، 1964).
(8) لا يختلف مفهوم الحضارة عن نظيره الخاص بالثقافة كثيرا، فكلاهما يشير إلى طريقة حياة شعب معين، غير أن الحضارة هي الكيان الثقافي الأوسع، أو بمعنى آخر هي أعلى تجمع ثقافي من البشر وأعرض مستوى من الهوية الثقافية يمكن أن يميز الإنسان عن الأنواع الأخرى. وهى تعرف بكل من العناصر الموضوعية العامة مثل اللغة، والتاريخ، والدين، والعادات، والمؤسسات، والتحقق الذاتي للبشر. وهناك مستويات للهوية لدى البشر، فساكن القاهرة قد يعرف نفسه بدرجات مختلفة من الاتساع: مصري، عربي، مسلم. والحضارة التي ينتمي إليها هي أعرض مستوى من التعريف يمكن أن يعرف به نفسه، أي أنها "نحن" الكبرى التي نشعر ثقافيا بداخلها أننا في بيتنا، في مقابل "هم" عند الآخرين خارجنا. وقد تضم الحضارات عددا كبيرا من البشر مثل الحضارة الصينية، أو عددا قليلا مثل الكاريبي الأنجلوفوني. وعلى مدى التاريخ وجدت جماعات صغيرة كثيرة ذات ثقافات مائزة وتفتقر إلى معين ثقافي أوسع لهويتها. وكانت الفروق تتحدد حسب الحجم والأهمية بين الحضارات الرئيسية والفرعية أو بين الحضارات الرئيسية والحضارات الجهيضة. وطبقا لهنتنجتون تتمثل الحضارات الرئيسية المعاصرة في الصينية، واليابانية، والهندية، والإسلامية، والغربية، والروسية الأرثوذكسية، والأمريكية اللاتينية، فضلا عن الأفريقية. إلا أن الباحثين وإن اتفقوا بشكل عام في تحديدهم للحضارات الرئيسية في التاريخ وتلك الموجودة في العالم الحديث، فإنهم غالبا ما يختلفون على إجمالي الحضارات التي وُجدت في التاريخ. لمزيد من المعلومات راجع: صامويل هنتنجتون، ترجمة طلعت الشايب، صدام الحضارات ـ إعادة صنع النظام العالمي، (القاهرة: سطور، 1998)، ص 67 - 80.
(9) راجع مقالتي: "أبطال عظماء أم باعة لصكوك الحرية"، منشورة على الانترنت.
(10) قرآن كريم، سورة العنكبوت، آية رقم 57.
(11) للمزيد راجع: ماكدونالد & كارديه، لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية، الله، (القاهرة: مطابع دار الشعب، 1979).
(12) راجع: و. مونتجمري وات، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، القضاء والقدر في فجر الإسلام وضحاه القرون الثلاثة الأولى، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الألف كتاب الثاني، 1998).
(13) العبارة للمُفكر الايطالي الشهير متسيني راجع: جوزيبي متسيني، ترجمة طه فوزي وسامي محفوظ، واجبات الانسان، (القاهرة: دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع، سلسلة الألف كتاب، رقم 325، 1962).
(14) راجع: فؤاد زكريا، الحقيقة والوهم في الحركة الاسلامية المعاصرة، (القاهرة: القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998)، ص27-34.
(15) رابندرانات طاغور، ترجمة صلاح صلاح، ذكرياتي، (أبو ظبي: منشورات المجمع الثقافي، 1995)، ص218.
(16) جاك شورون، ترجمة كامل يوسف حسين، الموت في الفكر الغربي، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1984)، ص 107.

التاريخ

سياسة الدولة الاخمينية

سياسة الدولة الاخمينية

الباحثة

رويدة فيصل النواب

قسم التاريخ- كلية الآداب/ جامعة بغداد
2010

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يزخر التاريخ القديم بالعديد من التجمعات البشرية والحضارية التي ساهمت عبر مراحل تطورها في تأسيس العديد من الدويلات والمدن والأوطان الحضارية. وقد تعاقبت على ارض السواد أو ارض بلاد ما بين النهرين، العديد من تلك الأقوام أو التجمعات الإنسانية التي ساهمت في خلق التعاشق والتعايش الحضاري، الذي ترك أبعاداً لا يمكن الاستغناء عنها من حيث الفكر وما يتصل به من وعي إنساني فضلاً عن قدرته الكبيرة في التأثير على إنسان وادي الرافدين.

فالاخمينيون وهم أقوام فارسية غزت ارض الرافدين واستطاعت بفعل قوة جيشها من بسط السيطرة على أجزاء كبيرة منه ولاسيما مدينة بابل رمز الإشعاع الفكري والحضاري في العراق القديم. من هنا تأتي أهمية البحث هذا في تسليطه الضوء الكثيف على سياسة الدولة الاخمينية بشكل عام وسياستها في العراق القديم بشكل خاص لتبين مدى التأثير والتأثر في تلاقح الحضارات والأفكار والتقاليد والديانات وما شاكل ذلك.

يهدف البحث في دراسته هذه إلى بيان التأثير السياسي للاخمينيين وما أحدثه هذا التأثير في الأفكار والتوجهات والمنطلقات الفكرية والإنسانية ومن ثم معرفة نتائج تلك التوجهات الفكرية ولاسيما في الحضارة العراقية القديمة المتجسدة بمدينة بابل.

يتكون البحث من فصلين، وقد تكون كل فصل من مبحثين، إذ تم التطرق في الفصل الأول منه إلى تكوين الدولة الاخمينية وسياساتها مع الحضارات الأخرى ولاسيما التي وقعت تحت سيطرتها. أما الفصل الثاني فقد تطرق إلى سياسة الدولة الاخمينية في وادي الرافدين تحديداً حتى سقوطها في نهاية المطاف على يد الاسكندر المقدوني على ارض بابل، فضلاً عن عرض موجز للثورات البابلية ضد الاحتلال الاخميني وما تلته من مخاضات وإرهاصات على أبناء بابل.

بعدها تم كتابة الاستنتاجات التي ترى الباحثة في إنها تعد مؤشرات نظرية تاريخية هامة تفيد الباحث والقارئ وتدله على أهم النقاط التي يمكن استذكارها كجزء من ميراث الحضارة والفكر. نأمل أن يكون البحث قد غطى جزءاً ولو كان بسيطاً من زمن حضاري كبير ترك بصماته على أوراق التاريخ والإنسانية والفكر العالمي. ومن الله التوفيق...

الباحثة رويدة فيصل موسى

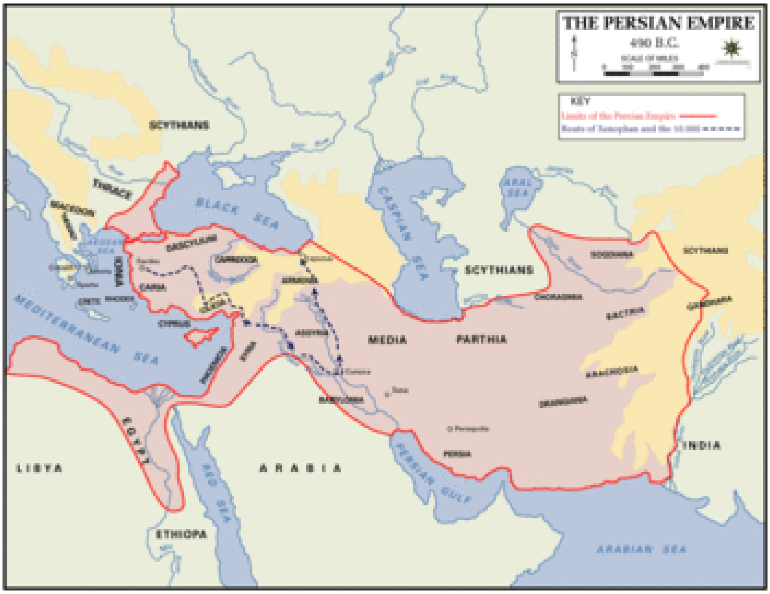
المحتويات

الفصل الأول
تكوين الدولة الاخمينية وسياساتها وعلاقاتها مع الأمم الأخرى

مدخل

الأخمينيون أو الأخمينيديون (Achaemenides) هم أسرة ملكية فارسية كونت لها إمبراطورية في فارس عام 559 ق.م. واستولت علي ليديا (غرب الأناضول)إيران والهلال الخصيب ومصر، التي امتدت في أوجها إلى جميع أرجاء الشرق الأدنى، من وادي السند إلى ليبيا، وشمالاً حتى مقدونيا. وهكذا فقد تمكنوا من السيطرة على جميع الطرق التجارية المؤدية إلى البحر الأبيض المتوسط عبر البر والبحر؛ وقام ملوك الأخمينيين بإعادة بناء الطريق من منطقة (السوس Susa في عربستان) إلى (ساردیز Sardis) بالقرب من أفسس وسميرنا. أشهر ملوكها دارا (داريوس) الذي حاول غزو أثينا باليونان فهزم. وأسقط الإسكندر الأكبر هذه الإمبراطورية عام 331 ق.م. و من ملوكها قمبيز وكورش . وتعتبر فترة حكم هذه الإمبراطورية هي فترة الحضارة الفارسية . استقرت قبائل الفرس البدوية في الجنوب عند منطقة سموها "فارس" (معناها السائب والغازي) قرب شيراز اليوم. ولا تكاد توجد أي نقوش تتكلم عن الفرس قبل كورش الأكبر (الثاني). تصفهم التوراة بأنهم "أناس برابرة جداً وسفاحون لا يرحمون أحداً". جاء اليهود المنفيين ببابل بكورش الاخميني ونصبوه على شعوب المنطقة عنوة حيث دمر حضارتهم واستعبدهم وأزالهم عن الوجود عن بكرة أبيهم. قام كورش باحتلال مملكة مديا أولاً، عن طريق تأليب المعارضين لها وإثارة الفتن. وبعدما استولى عليها، قام بالهجوم على بابل. ثم توسع إلى بلاد الشام، وكذلك إلى غرب الأناضول إلى بحر إيجة. وتوسع شمالاً إلى جبال القوقاز. كما توسع شرقاً في آسيا الوسطى إلى أقصى ما وصلت إليه الحضارة (يعتقد بوصوله إلى حدود قرقيزستان). وقام ابنه من بعده باحتلال مصر، ثم انشغل أحفاده بحروب ضد اليونان وشعوب البحر الأسود. تنتمي الأسرة الاخمينية إلى الفرس، أحد الشعوب الإيرانية القديمة، الذي كان الموجة الأخيرة من موجات الشعوب الهندية - الأوربية (الآرية) التي اجتاحت أراضي إيران في مطلع الألف الأول ق.م.ظهرت الأسرة الاخمينية، التي لا يعرف أصلها، في مطلع القرن السابع ق.م.وبدأ نفوذ الأسرة يقوى بعد أن تخلصت تدريجياً من تبعيتها للعيلاميين واستقلت بإمارة أنشان التي كشفت آثارها في تل مليان والممتدة إلى الجنوب الشرقي من سوسة، ثم استولى أمير أنشان المدعو تشاهبيش (675-645ق.م) على بلاد بارسا في إقليم شيراز اليوم، وانقسمت

الأسرة على نفسها بعد ذلك فكان لفرع منها حكم فارس ولفرع ثان حكم أنشان. وكانت الغلبة لهذا الفرع بعد أن تزوج قمبير الأول (600-556ق.م) الأميرة ماندان ابنة أستياج ملك الميديين، وكان من ثمار هذا الزواج كورش (الثاني) الذي كان حكمه انعطافاً وتحولاً حاسماً في دور الأسرة الاخمينية في تاريخ إيران القديم.



الشكل (1) الدولة الاخمينية

المبحث الأول: تكوين الإمبراطورية الاخمينية :

استغل كورش حفيد استياجز من ابنته مركزه فاخذ يقوي نفسه، وأسس عاصمة جديدة (بزركاده)، واخذ يدبر أمر انفصاله واستقلاله على الماذيين وكان يحكم في بلاد بابل الملك (نبونهيد) الذي اعد الخطط للاستيلاء على بعض الأقاليم التابعة إلى مملكة ماذى، ولاسيما حران، فدارت مفاوضات سرية بين نبونهيد وكورش ليكونا حلفين، وكان الحلف بلا شك موجهاً ضد استياجز الذي شم رائحة المؤامرة من تابعه وقريبه فاستدعاه إلى العاصمة

(اكبتانا)، فرفض كورش الامتثال بالأمر، فلم ير الملك الماذي بداً من شن الحرب على كورش[1].
ثم قاد استياجز جيشاً آخر بنفسه لما تقدم كورش من العاصمة اكباتا لأخذها فدارت معركة مريرة دحر فيها جيش الملك الماذي ووقع أسيراً بيد كورش، ولكن هذا أحسن معاملته، بسبب صلة القربى. وهكذا صفا الجو لكورش فاتخذ اكباتا عاصمة المملكة المتحدة، وفتح عهداً جديداً في تاريخ إيران حيث اتحد الفرس والماذيون[2].
بعد انهيار الدولة الميدية أصبحت بلاد إيران تحت حكم كورش، وتم توحيد الشعبين الميدي، والفارسي تحت زعامته، واخذ كورش الآن يخطط للاستيلاء على الأراضي المحيطة به ولهذا ستتوزع جهوده في ثلاثة جهات رئيسية:
الأولى باتجاه آسيا الصغرى
الثانية نحو الأقاليم الشرقية لإيران.
الثالثة بابل والأقاليم الغربية[3].
لقد كون كورش من بعده ضمه بلاد ماذي في زمن جيل واحد من إمبراطورية معظمة شملت معظم العالم القديم المعروف، ممتدة من الهند إلى البلاد الإيجية والى البحر العربي وبفتح قمبيز لمصر وبفتوح دارا اتسعت هذه الإمبراطورية فكانت أعظم إمبراطورية عرفها العالم القديم[4].
بعد أن استتب له الأمر في الداخل توجه كورش صوب الشرق فحول مجرى الفرات وهاجم بابل وقتل (بيل شار اوتسور) (بيلشصّر) واسر الملك نبونيد. دخل كورش إلى بابل عام 539 وأعاد إلى اليهود المسبيين فيها الآنية الذهبية التي سبق أن استقدمت من هيكل أورشليم وسمح لليهود بالعودة إلى فلسطين في السنة الأولى من حصوله على لقب ملك بابل[5].
فقد تمكن كورش نفسه من التفوق على البابليين وتمكن نفسه وبسرعة أن يسيطر على آسيا الصغرى وتجارتها. وفي عام 539 ق.م وقعت جميع

---

[1] – باقر، طه / مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة – ج2 – دار المعلمين العالية ط2 1956 – ص400.

[2] – المصدر نفسه – ص 401.

[3] – يحيى – أسامة عدنان . بابل في العصر الأخميني – رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الآداب/ جامعة بغداد 2003 ،ص38.

[4] – باقر، طه / مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة – ج2 – ص403.

[5] – هنري.س.عبودي/ معجم الحضارات السامية – جروس برس 1991 – ص695.

الإمبراطورية البابلية في أيدي كورش وغير كورش في الحال سياسة ترحيل سكان الدولة المفتوحة وضربت هذه السياسة[6].

كان انتصار كورش الفارسي، وسقوط مدينة بابل إشارة بحدوث أفراح عامة في كل أرجاء الشرق الأدنى. فالأمم التي عانت قبل قرون، من مظالم ملوك نينوى وبابل، قد رأت في سقوط هاتين المدينتين المقيتتين تماماً، نهاية لمتاعبها وبداية لعصر من الاستقلال. لقد اضطر الماذيون الذين شاركوا في تدمير نينوى، إلى الاعتراف بسيادة كورش الذي كان في وقت من الأوقات تابعاً لهم، وبالأسرة الاخمينية التي ينتمي إليها[7].

وبعد توطيد كورش لمملكته في فارس وسع حدودها إلى آسية الصغرى فقضى على مملكة ليديه، واستولى على عاصمتها (ساردیس) عام 547 – 546 ق.م، في عهد ملكها قارون (كروسوس). كما أن توسع آخر ملوك البابليين نبونهيد في سورية واستيلائه على حران نقض الحلف بين كورش وبين الملك البابلي أمراً لابد منه، ولذلك صمم كورش على تصفية الحساب مع بابل. أنهى كورش آخر الممالك السامية وأنهى حكم الساميين في الشرق القديم الذي سادوا فيه عدة آلاف من السنين[8].

اخضع كورش العرب وربما جعل ارض زينفون• ارض البحر ضمن بلاد العرب ولكن هذا الغزو الفارسي الذي نقرأ عنه إشارات قليلة ليس لدينا تفاصيل عنه في الوقت الحاضر إلا أن ارض البحر كانت جزءاً من الإمبراطورية الاخمينية وان مدينة شالامو في بلاد العرب كانت ضمن الإمبراطورية الاخمينية في السنة الثامنة من حكم كورش[9].

خلف كورش في الحكم ابنه الأكبر (قمبيز) (530- 522 ق.م) وكان هذا قاسياً غريب الأطوار، وقد أشركه أبوه في الحكم في خلال الثماني سنوات الأخيرة من حكمه فكان يلقب بملك بابل[10].

---

[6] – ساكز – هاري/ عظمة بابل موجز حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة – ترجمة د.عامر سليمان، دار الكتاب للنشر ، 1979، ص324.

[7] – بارو، اندريه / بلاد آشور – ترجمة د.عيسى سلمان وسليم طه التكريتي – وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد 1980، ص205.

[8] – باقر، طه/ مقدمة في تاريخ الحضارات القديم – ج2 – ص403.

• زينفون : مؤرخ وفيلسوف يوناني ولد في أثينا عام 430 ق.م، وهو تلميذ سقراط.

[9] – الأحمد ، سامي سعيد / تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي – جامعة البصرة –1987 – ص309.

[10] – باقر، طه/ مقدمة في تاريخ الحضارات القديم – ج2 – ص404.

كان أول عمل عسكري يقوم به قمبيز هو التحرك باتجاه مصر والواقع أن فكرة غزو مصر كانت من تنظيم كورش الكبير الذي كان قد اعد العدة لفتح مصر غير انه توفي قبل انجاز عمله العسكري. وكان قد أوكل مهمة تهيئة الحملة إلى ابنه قمبيز أثناء حياته[11].

وقد عمل جاهداً لإعداد العدة لتجريد أحمس الثاني من حلفائه، فقد تمكن من مخالفة بوليكراتس حاكم ساموس الحليف السابق لأحمس الثاني، كما تحالف مع ملك فينقيا الذي زود قمبيز بعدة سفن فينيقيه. فضلاً عن ذلك أن قمبيز قد حصل على مساعدة بدو خليج السويس، وهكذا قد وجد قمبيز لنفسه قاعدة قوية يتمكن بها من الهجوم على الأراضي المصرية بالتصريح لليهود ببناء معبد أورشليم، كما أن الفرس كسبوا إلى جانبهم عواطف الجنود المرتزقة اليهود الذين كانوا في خدمة الفرعون المصري[12].

عبر قمبيز صحراء سيناء بمساعدة البدو ووصل إلى مدينة رفح، فلاقى هناك بسماتيك الثالث الذي خلف أباه اماسيس حيث مات لحسن حظه قبل وصول الجيش الفارسي. وكان مع الجيش المصري جيش من الإغريق المرتزقة، وبعد معركة شديدة تقهقر الجيش المصري إلى (منفس)، فسقطت المدينة بيد الفرس ووقع الفرعون أسيراً فأرسل إلى سوسه[13].

وعند بلوغه مدينة بلوزيوم (الفرما) اندحر الجيش المصري وسقطت المدينة وأعقبها اقتحام عين شمس ثم منف عام 525 ق.م. ويخبرنا نص مصري موجود حالياً في الفاتيكان المرقم 158 عن دخول قمبيز لمصر:

أتى إلى مصر الملك العظيم لكل البلاد الأجنبية قمبيز على حين كان معه غرباء البلاد الأجنبية كلها، عندها استولى على هذه الأرض جميعاً هؤلاء الغرباء[14].

واعد قمبيز من بعد ذلك الخطط لثلاث حملات حربية أخرى لمد السلطان الفارسي على قرطاجة التي كانت تسيطر على سواحل البحر المتوسط الغربية، وأخرى على واحة (آمون) الموغلة في بادية طرابلس للسيطرة على الطريق المؤدي إلى ليبيا، والثانية ضد الحبشة. أما الحملة على قرطاجة فلم تنفذ بسبب رفض الفينيقيين بالسماح لأسطولهم في غزو أقربائهم القرطاجين. وتروي لنا المصادر اليونانية أن جيشاً قوامه (50000) أخفق في إحراز

---

[11] – يحيى – أسامة عدنان . بابل في العصر الأخميني – ص44.

[12] – المصدر نفسه – ص45.

[13] – باقر، طه / مقدمة في تاريخ الحضارات القديم – ج2 – ص404.

[14] – يحيى – أسامة عدنان . بابل في العصر الأخميني – ص 45.

نتيجة مهمة في واحة آمون بسبب الزوابع الرملية المخيفة، ومع ذلك فقد خضع إغريق ليبيا وقورينا وبرقة إلى سلطان الفرس[15].

أما الحملة الثالثة فكان وجهتها جنوباً وقد اختلف الباحثون في هدفها فقد ذكر بعضهم انه توجه نحو الحبشة (أثيوبيا) في حين عدها البعض أن هدفها هو بلاد النوبة. ويبدو أن قمبيز قد حاول في هذه الحملة التأكد من سلامة موقفه في حالة التحرك باتجاه الجنوب . ويقال أن قمبيز قاد حملته إلى نباتا مملكة الأثيوبيين طعماً في ذهبها[16].

تشير الأحداث التاريخية عن نهاية قمبيز في انه أقدم على قتل زوجته وابنه بريكسبس بسهم من قوسه ودفن اثنا عشر من أعيان الفرس أحياء وقضى بالإعدام على كروسوس ثم ندم على فعلته حين علم أن حكمه لم ينفذ ثم عاقب الموظفين الذين تأخروا عن تنفيذه كما قتل أخته روكسانا[17].

المبحث الثاني: سياسة الاخمينيين:

1- الاخمينيون والإغريق :

كان اليونان يلقبون الملك الفارسي بلقب (الملك العظيم) ولعل ذلك ترجمة اللقب الفارسي (ملك الملوك). ومع أن الملك الفارسي كان في الواقع قمة الهرم المكون منه المجتمع الفارسي ويمثل الحكم الاتوقراطي إلا أن سلطانه لم يكن مطلقاً كل الإطلاق، وإنما كان مقيداً نوعاً ما بالعرف والمآثر والتقاليد المرعية في بلاد فارس، فكانت معظم الأوامر والإرادات التي يصدرها إنما تصدر عن الملك وهو في مجلس شوراه[18].

كانت المدن اليونانية في آسيا قد خضعت جميعاً إلى دولة ليديا باستثناء مليتوس (ملطية)[19].

وفي نفس الوقت كانت تربط مصر علاقات تحالف وطيدة مع دولة ليديا وربما كان ملك ليديا قد ساعد بسماتيك الأول بجنود من الأيونيين والكاريين للعمل في الحبشة، في حين كان كورش يعمل على تضييق الخناق على دولة

---

15 – باقر، طه / مقدمة في تاريخ الحضارات القديم – ج2 – ص405.

16 – يحيى – أسامة عدنان . بابل في العصر الأخميني – ص 47.

17 – ول ديورانت / قصة الحضارة – ترجمة محمد بدران،ج2 – لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة 1977 – ص 406.

18 – باقر، طه / مقدمة في تاريخ الحضارات القديم – ج2 – ص 421.

19 – آ.بتري ، مدخل إلى تاريخ الإغريق وأدبهم وآثارهم – ترجمة د.يوئيل يوسف عزيز – دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الموصل 1977– ص 23.

ليديا فقد تمكن من إخضاع مدينة قبرص قبل عام واحد من تحركه باتجاه الدولة الليدية[20].

حاول كروسوس كخطوة أساسية لمحاربة كورش إقامة حلف واسع النطاق ليشمل إلى جانب ليديا كلا من إسبارطة ومصر وبابل للحصول على مساعداتهم. تقدم كورش من العاصمة اكباتا باتجاه الهاليس وبعث رسلاً إلى المدن الأيونية في غرب آسيا الصغرى حثهم بها على الثورة ضد كروسوس فرفضت ندائه وقد عبر كروسوس حدود دولته ربما قرب سهل بافرة على نهر الهاليس والتقى الطرفان في معركة عنيفة وقد تمكن كروسوس وكان جندياً متمرساً في الحرب أن يصمد في الحملة الأولى ولكنه عندما انسحب ليستريح ويريح جنده أثناء الشتاء لم يمهله كورش وسار ورائه متحدياً برد الشتاء في الأناضول، وخلال أسبوعين من المعارك سقطت قلعة سارديس نفسها التي لا تقهر بأيدي الفرس الذين اقتحموا القلعة متسلقين صخورها وكان سقوط ليديا هذه الإمبراطورية العظيمة القوية سقوطاً لم يعرف العالم اليوناني مثيلاً له[21].

2- الاخمينيون وبابل:

تمكن كورش نفسه من التفوق على البابليين. فقد اتجه آخر ملوك الدولة البابلية الحديثة نبونئيد جنوباً وأمضى عشر سنوات بعيداً عن بابل[22].

إن غياب الملك البابلي نبونئيد عن بابل لأكثر من عشر سنوات، كان له البعد الإستراتيجي الذي زاد من تفاقم الوضع في بابل وسمح لخصوم الملك بشن دعاية واسعة النطاق ضده. إن سوء الوضع الاقتصادي في بابل ومحاولة نبونئيد إيجاد وسائل عديدة لحل الأزمة كانت وراء إقدام نبونئيد للذهاب إلى تيماء. وكانت تيماء تقع وسط سهل خصب ذات مناخ صحي وبها تلتقي الطرق التجارية القادمة من مأرب ومعين ونجران ويثرب وديدان والحجر ومنها يذهب فرع للعراق من تيماء نفسها، والثانية إلى بطرا عاصمة الأنباط، ثم الطريق القادم من الجرعاء (جرها) على الخليج العربي ماراً بالإحساء فالهفوف ثم بريدة الحالية[23].

---

[20] – يحيى – أسامة عدنان . بابل في العصر الأخميني – ص 38.

[21] – يحيى – أسامة عدنان . بابل في العصر الأخميني – ص 39.

[22] – ساكز – هاري/ عظمة بابل –ص 324.

[23] – يحيى – أسامة عدنان . بابل في العصر الأخميني – ص96.

كما كان اليهود يشكلون جالية مهمة في بابل في أعقاب السبي البابلي وان هناك من الأدلة التي قد تثبت التعاون اليهودي الفارسي ودوره في سقوط بابل[24].

لم يكن أمام كورش بعد أن تمكن من محالفة اليهود إلا أن يبدأ لإعداد العدة لإسقاط بابل، ولكن كان عليه قبل أن يحسم الأمر، عسكرياً أن يمهد ذلك بحروب واسعة ضد الملك البابلي. لقد كانت الأوضاع قبيل عام 539 ق.م ممهدة لكورش فالسخط الشعبي والكهنوتي ضد نبونئيد نتيجة التغيرات الدينية التي نفذها وغيابه عن العاصمة الذي ساهم في تعطيل الاحتفالات الدينية المهمة كان على أشده[25].

فقد باشر كورش بعمليات أولية ضد الإمبراطورية البابلية التي بدأها عام 547 ق.م وسيطر على أجزاء من شرق بلاد آشور. ولعله أراد بذلك أن يستبق هجوماً بابلياً على ميديا حيث أن الإقليم الذي اخذ كان الإقليم الذي يتخذ قاعدة لمثل هذا الهجوم المفاجئ الذي أدى إلى سقوطه[26].

وتوغل كورش بالتدريج إلى الأمام إلى جبال كردستان ولورستان إلى أن سيطر تماماً على جميع الأقاليم شرقي دجلة ومن هناك كان بإمكانه أن يقوم بهجوم على بلاد بابل نفسها. وعبر كورش نهر دجلة بالقوة عند اوبس Opis وزحف إلى سبار التي استسلمت ثم هوجمت بابل نفسها واستسلمت دون مقاومة تذكر[27].

فعندما دخل كورش إلى بابل ممثلاً فارسياً عنه للحكم هناك، كما حافظ على ممتلكات مدينة بابل من السلب أو النهب أو التدمير. وبذلك انتهت آخر سلالة وطنية في بلاد بابل وآشور فقد استمر الحكم الاخميني حتى عام 331 ق.م حيث وقعت بعد ذلك بلاد مابين النهرين فيما تبقى من الألف الأول قبل الميلاد في أيدي السلوقيين (الإغريق)[28].

---

[24] – يحيى – أسامة عدنان . بابل في العصر الأخميني – ص100.

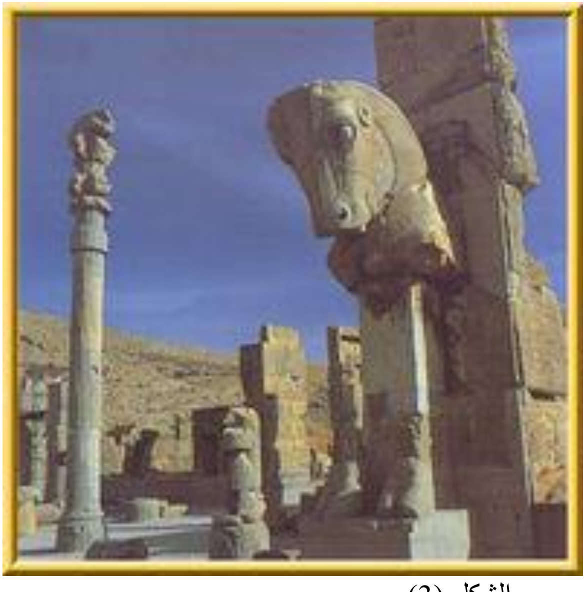
[25] – المصدر نفسه – ص104.

[26] – ساكز – هاري/ عظمة بابل–ص 180.

[27] – المصدر نفسه – ص181.

[28] – ساكز – هاري/ عظمة بابل –ص182.


الشكل (2)


الشكل (3)

3- الاخمينيون واليهود:
يتحدث پورپيرار عن دور إسرائيل في إعلاء الحضارة الإيرانية الساطعة قبل الإسلام لتعميق الهوة بين الإيرانيين والعرب. فالتاريخ الإيراني يستند في كتابته إلي بحوث قام بها اليهود. إذ بذلوا جهدا لإعلاء شأن الاخمينيين كمحررين لهم وكمدمرين لحضارة بين النهرين. فاليهود يسعون أن يقدموا الاخمينيين كمبدعين للثقافة والحضارة أو أي شيء يرغبونه وذلك بسبب الخدمة التي قدمها لهم الاخمينيون بتحريرهم من سبي نبوخذ نصر ملك بابل. فخذ علي سبيل المثال علماء الآثار والمؤرخون اليهود كـغيريشمن و داريشتيد و اشكولر ، كما إن 90% من مؤرخي التاريخ الإيراني هم من اليهود. أي أن اليهود قاموا بتهويل تاريخ الاخمينيين، فهؤلاء حاولوا خلال المائة سنة الماضية أن يصوروا كورش في التاريخ الإيراني بشكل يتطابق وصورته في التوراة حيث تقدمه كصورة نبي، وقد نجحوا في ذلك. إذ لم يُعرف كورش في إيران حتى قبل 100 عام.

الفصل الثاني
سياسة الدولة الاخمينية في وادي الرافدين حتى سقوطها

المبحث الأول: سياسة الدولة الاخمينية:
إن حكم السلالة الاخمينية دام زهاء قرنين من الزمان (550 – 331 ق.م)، حكم فيها ابتداء من كورش الكبير احد عشر ملكاً تفرد منهم جملة ملوك امتازوا بحسن الإدارة والتنظيم والحنكة السياسية وعلى رأسهم كورش ودارا الأول حيث كان مؤسس الإمبراطورية واضطلع الثاني بتنظيمها[29].
السياسة الاخمينية في وادي الرافدين:

[29] – باقر، طه / مقدمة في تاريخ الحضارات القديم – ج2 – ص416.

حاول كورش التأكيد على مبررات دخوله بابل واحتلالها بأنه قد حصل على تأييد من الآلهة المحلية الوطنية في بابل، فان الكثير لم يكن مقتنعاً بذلك، ومهما كان هناك عدد من الأفراد الموالين للفرس قد اعتبروا كورش محرراً فان الغالبية العظمى من السكان في بلاد بابل كانت ترى من الاخمينيين غزاة لا أكثر لم تتقبل الفرس[30].

وقد ولد ردود فعل كبيرة لسكان وادي الرافدين ولاسيما البابليين ليثروا على حكم كورش الاخميني، إذ شهدت بابل ثلاثة ثورات مهمة ضد الاحتلال الاخميني الذي دام طويلاً.

1- ثورة بابل الأولى (تشرين الأول 522 – كانون الثاني 521 ق.م):

لقد كانت ثورة بابل الأولى التي اندلعت عام 522 ق.م، أولى الثورات التي اندلعت بوجه الاخمينيين، ويبدو أن هذه الثورة لم تأتي نتيجة الصدفة المحضة إنما نابعة من تراكمات عدة، فالبابليين أدركوا منذ الأيام الأولى للاحتلال أن الفرس ما هم إلا غزاة، وأدركوا أيضاً أن الفرق بين كورش الفاتح الاخميني وبين نبونئيد[31].

أعلن أهل بابل الثورة ضد الاخمينيين وانظموا تحت لواء زعيم لهم يدعى ندينتي – بيل الذي أعلن ملكيته على بابل وأطلق على نفسه اسم نبوخذ نصر الثالث وربما يمت بصلة النسب إلى نبونئيد. ويبدو أن خبر هذه الثورة قد افزع دارا• الأول فقاد الأخير الجيوش التي سارت لإخماد الثورة ويظهر أن

---

[30] – يحيى – أسامة عدنان . بابل في العصر الأخميني – ص141.

[31] – المصدر نفسه – ص 141.

• يكون تسلسل الحكام الاخمينيون كما يأتي:

- أخمينس الفارسي
- تايسبس من أنشان, ابن أخمينس
- كورش الأول من أنشان, ابن تايسبس
- أريا رامنس الفارسي, ابن تايسبس ومشارك في الحكم مع كورش الأول
- قمبيز الأول من أنشان, ابن كورش الأول
- أرساميس الفارسي، ابن أريا رامنس ومشارك في الحكم مع قمبيز الأول
- قورش الثاني، الأكبر, ابن قمبيز الأول, حكم من ح.550–530 ق.م. (حاكم أنشان ح. 559 ق.م. – فتح ميديا 550 ق.م.)
- قمبيز الثاني, ابن كورش الأعظم, حكم 529–522 ق.م.

الزعيم العراقي الثائر قد استحوذ على معابر نهر دجلة وشكل قوة نهرية لهذا الغرض، ورغم الاستعدادات نجح دارا في عبور النهر وسار باتجاه بابل بعد أن أوقع هزيمة بالثوار[32].

2- ثورة بابل الثانية (آب 521 ق.م):

بعد فترة وجيزة من انتهاء الثورة البابلية الأولى، ثارت المدينة مجدداً في آب 521 ق.م، في وقت كان دارا في ميديا وكان الثائر يدعى اراقا وقد ادعى هذا الرجل الذي يسميه دارا بالارمني انه نبوخذ نصر الرابع بن نبونئيد وانه اتخذ لقب ملك بابل وقد بدأت الثورة في دوبالا جنوب بابل فأرسل دارا قواته لإخمادها[33].

- سميردس (برديا), ابن مزعوم لكورش الأكبر, حكم BC 522 (محتمل أن يكون غاصباً للعرش)
- داريوش الأول (داريوس الأول، الأكبر), صهر سميردس، وحفيد أرساميس، وحكم 521–486 ق.م.
- خشايارشا الأول (خرخس الأول)، ابن داريوش الأول، وحكم 485–465 ق.م.
- أردشير الأول الأخميني (أرتاخرخس الأول لونجيمانوس ابن خرخس الأول)، حكم 465–424 ق.م.
- خشايارشا الثاني (خرخس الثاني)، ابن أردشير الأول, حكم 424 ق.م.
- سغديانوس، أخ غير شقيق ومنافس لخشايارشا الثاني, حكم 424–BC 423
- داريوش الثاني (داريوس الثاني نوثوس)، أخ غير شقيق ومنافس لخشايارشا الثاني, حكم 423–405 ق.م.
- أردشير الثاني الأخميني (أرتاخرخس الثاني الشهير (منيمون))، ابن داريوش الثاني, حكم 404–359 ق.م. (انظر أيضاً خينوفون)
- أردشير الثالث الأخميني ((أرتاخرخس الثالث اوخوس)، ابن أردشير الثاني, حكم 358–338 ق.م.
- أردشير الرابع الأخميني (أرتاخرخس الرابع أرسيس) ابن أردشير الثالث، وحكم 338–336 ق.م.
- داريوش الثالث (داريوس الثالث كودومانّوس)، ابن حفيد داريوش الثاني, حكم 336–330 ق.م.

32 – يحيى – أسامة عدنان . بابل في العصر الأخميني – ص 142.

33 – المصدر نفسه – ص143.

لقد قتل نبوخذ نصر الرابع في 27 تشرين الثاني 521 ق.م، ودخل الفرس بابل ونهب الجيش الفارسي المدينة وسرق قبور الملك فيها ودمرها وتشير المصادر إلى أن 3000 رجل بابلي وضعوا على الخازوق عقاباً على ثورتهم[34].

3- ثورة بابل الثالثة:

لقد بقيت ولاية بابل هادئة تقريباً طوال عهد دارا، بعد إخماد الثورة الثانية بالرغم من أن المعلومات تشير إلى وجود اضطرابات في بابل في أواخر عهده. ويبدو أن هذه الاضطرابات تحولت إلى ثورة في عهد احشويرش ففي سنة 482 ق.م، ثارت بابل وقتل الثوار الوالي الفارسي زوبيروس وقد قاد الثورة رجل بابلي اسمه بيل – شيماني الذي اتخذ لقب ملك بابل وملك البقاع وقد وصلتنا وثائق مؤرخة باسمه في دلبات، وبورسبا تدل على زعامته للثورة[35].

واستطاع الملك الاخميني من إخماد هذه الثورة والتنكيل بالثوار وقتلهم وتعذيبهم ليتمكن من السيطرة التامة على المدينة، كما تم تدمير معابدها وأبنيتها الكبيرة وسويت بالأرض وتحطمت البنية التحتية لبابل تماماً.

المبحث الثاني: السياسة الاقتصادية للدولة الاخمينية:

هنالك جملة عوامل مهمة عملت على ازدهار الحياة الاقتصادية في إيران، وحسنت التجارة الخارجية ما بين أجزاء الإمبراطورية. وعلى رأس هذه العوامل هي توحيد جميع آسيا الغربية والشرق الأدنى تحت حكم السلالة الاخمينية، وتقسيم هذه الرقعة الشاسعة إلى ولايات تحت إدارة مركزية، وإيجاد نظام من طرق المواصلات البرية والبحرية ونظام البريد لربط أجزاء هذه الإمبراطورية الواسعة وإيجاد نظام متوازن من الضرائب، وإدخال الأوزان والقياسات المطردة، وإدخال النقود المسكوكة. وقد بلغ حجم التجارة في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد مقداراً لم يعرف من قبل[36].

أما طرق التجارة فقد أصابها التدهور في حدود 700 ق.م، نتيجة هجرة القبائل الإيرانية بالرغم من انه لا يمكن إثبات ذلك في الوقت الحاضر وان التحركات العرقية في إيران قد غيرت اتجاه الطرق التجارية القديمة بصورة

---

34 – نفسه –ص144.

35 – نفسه – ص144.

36 – باقر، طه / مقدمة في تاريخ الحضارات القديم – ج2 – ص434.

مؤقتة بحيث إن جميع الطرق المتجهة إلى الغرب أصبحت تمر الآن عبر جنوب عيلام وبلاد بابل ثم إلى أعالي نهر الفرات[37].

وقد فسحت الوحدة السياسية لمملكتي ميديا وفارس تحت حكم كورش المجال لكورش أن يهدأ الوضع في جميع المناطق وأصبح من الممكن استخدام الطرق التجارية القديمة عبر شمال إيران ثانية وان من المتوقع أن يكون لذلك نتائج اقتصادية معاكسة بالنسبة لبلاد بابل[38].

عرف عن العهد الاخميني عن توسع في مراكز التجارة العالمية فقد كانت آسيا الصغرى وكريت وقبرص ولبنان والهند من مراكز تجارة الأخشاب الجيدة، كذلك كانت الفضة والنحاس والحديد موجودة في قبرص. وكذلك كان النحاس والفضة يجلب من آسيا الصغرى. وكان لبنان من مصادر النحاس والحديد أيضاً، وينتج إقليم كرمان الذهب والفضة. وكان إقليم سيستان مشهوراً بالقصدير، وجنوب القوقاز بالفضة والحديد. وكانت خراسان تنتج الفيروز والعقيق[39].

سقوط الإمبراطورية الاخمينية:

استطاع الاسكندر المقدوني من دحر الاخمينيين والإطاحة بهم في اغلب الدويلات والمدن التي تخضع إلى حكمهم. فبعد أن وصل إلى شمال مصر، قرر التقدم إلى الشرق.

ثم توجه بعد ذلك إلى العراق من قرب دير الزور، فسار شرقاً إلى دجلة وعبره بمسافة قليلة إلى شمالي الموصل. وسار إلى كوكميلة حيث وجد دارا معسكراً فجرت معركة كانت حاسمة في القضاء على الاخمينيين. بلغ جيش دارا كما يروي المليون رجل بضمنهم مرتزقة من الإغريق ومائة عربة ذات فؤوس، وكانت خيالة وحدها تربو على جيش الاسكندر بكامله. بعد أن تمهل الاسكندر قليلاً في اربل سار منحدراً إلى بابل. لم يلاق الاسكندر حرباً في بابل بل أن الحاكم الفارسي (مازيوس) سلم المدينة إلى الفاتح. واتبع الاسكندر في بابل سياسة التسامح والمداراة التي اتبعها في مصر[40].

وهكذا انتهت إمبراطورية كبيرة كانت قد اتسعت رقعتها من أقصى الشرق حتى أقصى الغرب.

---

[37] – يحيى – أسامة عدنان . بابل في العصر الأخميني – ص 171.

[38] – ساكز – هاري/ عظمة بابل–ص 323.

[39] – يحيى – أسامة عدنان . بابل في العصر الأخميني – ص 186.

[40] – باقر، طه / مقدمة في تاريخ الحضارات القديم – ج2 – ص445.

1- تصف التوراة الاخمينيون بأنهم "أناس برابرة جداً وسفاحون لا يرحمون أحداً". جاء اليهود المنفيين ببابل بكورش الاخميني ونصبوه على شعوب المنطقة عنوة حيث دمر حضارتهم واستعبدهم وأزالهم عن الوجود عن بكرة أبيهم. قام كورش باحتلال مملكة مديا أولاً، عن طريق تأليب المعارضين لها وإثارة الفتن.

2- كون كورش من بعده ضمه بلاد ماذي في زمن جيل واحد من إمبراطورية معظمة شملت معظم العالم القديم المعروف، ممتدة من الهند إلى البلاد الإيجية والى البحر العربي وبفتح قمبيز لمصر وبفتوح دارا اتسعت هذه الإمبراطورية فكانت أعظم إمبراطورية عرفها العالم القديم.

3- بعد انهيار الدولة الميدية أصبحت بلاد إيران تحت حكم كورش، وتم توحيد الشعبين الميدي، والفارسي تحت زعامته، واخذ كورش الآن يخطط للاستيلاء على الأراضي المحيطة.

4- كان أول عمل عسكري يقوم به قمبيز ابن كورش، هو التحرك باتجاه مصر والواقع أن فكرة غزو مصر كانت من تنظيم كورش الكبير الذي كان قد اعد العدة لفتح مصر غير انه توفي قبل انجاز عمله العسكري. وكان قد أوكل مهمة تهيئة الحملة إلى ابنه قمبيز أثناء حياته.

5- كسب الاخمينيون إلى جانبهم عواطف الجنود المرتزقة اليهود الذين كانوا في خدمة الفرعون المصري.

6- لم يكن أمام كورش بعد أن تمكن من محالفة اليهود إلا أن يبدأ لإعداد العدة لإسقاط بابل، ولكن كان عليه قبل أن يحسم الأمر، عسكرياً أن يمهد ذلك بحروب واسعة ضد الملك البابلي.

7- صور اليهود كورش في التاريخ الإيراني بشكل يتطابق وصورته في التوراة حيث تقدمه كصورة نبي، وقد نجحوا في ذلك. إذ لم يُعرف كورش في إيران حتى قبل 100 عام.

8- ظهرت ردود أفعال كبيرة لسكان وادي الرافدين ولاسيما البابليين ليثروا على حكم كورش الاخميني، إذ شهدت بابل ثلاثة ثورات مهمة ضد الاحتلال الاخميني.

9- عرف عن العهد الاخميني عن توسع في مراكز التجارة العالمية فقد كانت آسيا الصغرى وكريت وقبرص ولبنان والهند من مراكز

تجارة الأخشاب الجيدة، كذلك كانت الفضة والنحاس والحديد موجودة في قبرص.

10- استطاع الاسكندر المقدوني من دحر الاخمينيين والإطاحة بهم في اغلب الدويلات والمدن التي تخضع إلى حكمهم. فبعد أن وصل إلى شمال مصر، قرر التقدم إلى الشرق فوصل العراق وحرر مدينة بابل ودحر الدولة الاخمينية.

المصادر والمراجع

1- **الأحمد ، سامي سعيد / تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي – جامعة البصرة – 1987.**

2- **آ.بتري ، مدخل إلى تاريخ الإغريق وأدبهم وآثارهم – ترجمة د.يوئيل يوسف عزيز – دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الموصل 1977**

3- **بارو، اندريه / بلاد آشور – ترجمة د.عيسى سلمان وسليم طه التكريتي وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد 1980.**

4- **باقر، طه / مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة – ج2 – دار المعلمين العالية ط2- 1956.**

5- **ساكز – هاري/ عظمة بابل موجز حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة – ترجمة د.عامر سليمان، دار الكتاب للنشر ، 1979.**

6- **هنري.س.عبودي/ معجم الحضارات السامية – جروس برس 1991.**

7- **ديورانت / قصة الحضارة – ترجمة محمد بدران،ج2 – لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة 1977.**

8- **يحيى – أسامة عدنان . بابل في العصر الأخميني – رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الآداب/ جامعة بغداد 2003.**

الاقتصاد و إدارة الأعمال

تطور النظام المحاسبي في العراق

التسويق الالكتروني باستخدام برمجية ARCGIS9.2

دراسة تطبيقية على مواقع السياحة العلاجية في الأردن

تطور النظام المحاسبي في العراق

د. صباح قدوري

عميد كلية إدارة الأعمال \ جامعة ابن رشد في هولندا

المقدمة :

ما زلنا نجد عددا من الأنظمة المحاسبية المعمول بها في المؤسسات العراقية. على الرغم من التزام القطاعين الصناعي والتجاري بتطبيق النظام المحاسبي الموحد، إلا أنّ المؤسسات الحكومية، والنشاط الاستثماري والمالي والاجتماعي بقي يتبع أنظمة مختلفة.

إن أهمية هذا البحث تكمن في اتباع منهج تحليلي لسرد تاريخي، مناسب، لتطور النظام المحاسبي في العراق المعاصر. وكذلك تلمس مدى توافق الأنظمة المحاسبية المعمول بها حاليا في إنتاج البيانات بمستوى جودة مقبول، وذلك لتحقيق أهداف المحاسبة العديدة في الرقابة والتخطيط وتقييم البيانات، من أجل ترشيد عملية اتخاذ القرارات الاقتصادية، على مجموع المستويات الإدارية المختلفة.

من جهة ثانية، يمكن تلخيص مشكلة البحث، في أنّ تعدد الأنظمة المحاسبية في المؤسسات والشركات العراقية للقطاعين العام والخاص، لا يساعد على بناء أنظمة المعلومات الادارية لإنتاج البيانات الموحدة، تلك البيانات التي تبقى ضرورية على مستويات الاقتصاد الكلي والجزئي، وتساعد بالتأكيد على برمجة التخطيط المركزي للميزانية العامة، واتخاذ القرارات على مستوى الوحدات الاقتصادية، خاصة ان العراق يحتاج في المرحلة الراهنة الى تعزيز دور القطاع العام في عملية التنمية الاقتصادية والبشرية المستدامة، بجانب تفعيل دور إيجابي مميز للقطاع الخاص في هذه العملية.

وفي ضوء هذه الإشكالية، يمكن القول: إنّ البحث يهدف الى عرض منهجي لهذه الانظمة المحاسبية المختلفة، ونقدها بإيجابياتها وسلبياتها، واستقراء ذلك عبر مراحل تطورها، ومدى ملاءمتها للمرحلة الحالية التي تمر بها السياسة الاقتصادية العراقية، تحديدا توجهها نحو الليبرالية والانفتاح، وتطبيق مبدأ اقتصاد السوق. ما يتطلب في هذه الحالة استخدام أدوات جديدة لمعالجة الشؤون المالية، من أجل توفير المعلومات المحاسبية التي تلبي احتياجات المستثمرين والممولين. وبرأينا فإنَّ الانتقال الى اقتصاد جديد للمحاسبة، يتطلب تحديد معايير تتكيف مع معايير المحاسبة الدولية ومع البيئة الجديدة.

عليه فان البحث سيقسم على المباحث الآتية:-

1. النظرية والتطبيق في النظام المحاسبي للشركات والمؤسسات الحكومية في العراق

النظام المحاسبي في جمهورية العراق، يعمل على وفق مجموعة من القوانين والتعليمات، منها القانون التجاري رقم 60 لسنة 1943، المادة 47، كذلك قانون رقم 149 لسنة 1970 المادة 31 . حيث ألزمت هذه المواد التاجر العراقي، كما عرّفه القانون المذكور، بعدد من الموجبات. فكل تاجر يتم تسجيله وتصنيفه على وفق القانون التجاري العراقي في وزارة التجارة، ويكون عضوا في غرفة التجارة العراقية، عليه واجب ملزم بمسك الدفاتر المحاسبية المحددة.

فعلى وفق المادة الأولى [أي المادة47 من القانون التجاري رقم 60 لسنة 1943]، يلزم كل تاجر بمسك الدفاتر التجارية المدرجة في أدناه:

1. دفتر الموجودات: وهو دفتر محاسبي يسجل فيه التاجر معاملاته التجارية من الموجودات والمطلوبات عند بدء العمل.
2. دفتر اليوميـــــــــة: يسجل فيه يوميا على وفق المستندات الاصولية، كل المعاملات التجارية من شراء وبيع البضاعة، المدينين والدائنين، الاوراق المالية، وكذلك الايرادات والمصروفات كافة.

ويكون استخدام هذين الدفترين الزاميا. وفضلا عن ذلك فقد أجاز هذا القانون ايضا إمكان استخدام الدفاتر الاخرى المساعدة على وفق مقتضيات حجم اعمال الشركة لتسجيل بعض العمليات التجارية. ويلزم القانون التاجر ايضا، بوجوب الاحتفاظ بهذه الدفاتر لمدة 15 سنة، اعتبارا من تاريخ آخر المعاملات التجارية المسجلة في هذه الدفاتر.

وقد جعلت المادة 56 من القانون المذكور، من هذه الدفاتر التجارية حجة قانونية في فصل النزاعات بين التجار تلك التي تنتج عن المعاملات التجارية، وكذلك الاعتماد عليها من قبل الدوائر الضريبية. علما أنه تم تعديل القانون المذكور في أعلاه لسنة 1943، بقانون حديث صدر في سنة 1970، الذي ألزم التاجر العراقي باستخدام دفتر اليومية و دفتر آخر هو [أستاذ] العام، و حدد فيهما اسلوب تسجيل المعاملات التجارية. كذلك أجاز القانون استخدام دفاتر اخرى مساعدة لتسجيل المعاملات التجارية، و حدد نوع البيانات التي يجب أن تحتويها هذه الدفاتر.

وألزمت المادة هذه أيضا التاجر بأن ينهض بتصديق هذه الدفاتر عند كاتب العدل وختم صفحاتها وتحديد عدد الصفحات على خلاف الداخلي للدفاتر، حتى تكتسب هذه الدفاتر الشرعية القانونية. كل ذلك بغية توحيد الاجراءات المحاسبية في المعاملات التجارية للتجار.

ولمزيد من التوضيح [التاريخي] نشير إلى أنه كان قد صدر في سنة 1940، أول قانون في تنظيم المحاسبة الحكومية- الميزانية العامة، الذي كان يعتمد على القانون العثماني لسنة 1326، والذي يتضمن المبادئ العامة للمحاسبة، والنظام المالي الوارد في القانون 712 لسنة 1924 . إنّ قانون أصول المحاسبات العامة رقم 28 لسنة 1940 يعد خطوة جيدة لتطبيقات مماثلة في الدوائر التابعة للميزانية العامة. إذ ان القانون قد اوضح في فصوله الخمسة كل ما يلزم بخصوص ايرادات الدولة والرقابة على الصرف والدورة الحسابية وفي المراقبة والتدقيق، وكل ذلك جاء كما ذكرنا بهدف توحيد الاجراءات المالية للدوائر التابعة والمرتبطة حسابتها بالميزانية العامة كافة.

ويعدّ هذا بداية تطور النظام المحاسبي الحكومي، على الرغم من تاخير تسجيلات القيود المحاسبية، و إعداد التقارير المالية- النتيجة النهائية الموحدة للدوائر المرتبطة بالميزانية العامة. و هو ما يزال بعيدا عن النظام المحاسبي الحكومي الحديث من حيث المبادئ والاستخدام في التطبيق العملي، و لا يتلاءم مع الهيكلية المالية والتغيرات البنيوية الحالية للاقتصاد الوطني.

بعامة يمكن القول بأن هذا النظام يتصف بالمميزات الثلاث الآتية:

1. عدّ شراء الموجودات الثابتة مستهلكة دفعة واحدة عند شرائها، وهذا يعني عدم تطبيق نظام الاندثار على هذه الموجودات.
2. اعتماد الاساس النقدي في تسجيل المصروفات والايرادات، اي عدم تطبيق اسلوب المستحقات والمدفوعات المقدمة.
3. المركزية في اعداد الحسابات [الناجمة عن] المصروفات والايرادات والميزانية العامة.

بعد ثورة تموز1958 استخدمت بعض انظمة محاسبية مختلفة في بعض المؤسسات الصناعية والحكومية منها: معامل التبوغ والسيكاير العامة، الغزل والنسيج، الالبان، الاسمنت ، السكر، وغيرها، متبعة انظمة متقدمة عن سابقتها. وبعد اجراءات التاميم في سنة 1964 التي طاولت المؤسسات الصناعية مثل، شركات الدخان، والغزل والنسيج ، ومعامل فتاح باشا، والبنوك وشركات التامين الخاصة، اصبح هناك ضرورة لاستخدام النظام المحاسبي المتقدم في هذه المؤسسات، بغية المتابعة والتدقيق وانتاج البيانات اللازمة في عملية اتخاذ القرارات الاقتصادية . ولهذا الغرض تم اعداد انظمة متقدمة للمحاسبة من قبل:

1. مكاتب المحاسب القانوني المجازة والمعترف بها قانونيا، إذ أعدت انظمة محاسبية متطورة للقطاع الصناعي الحكومي والخاص.
2. المركز القومي للاستشارات والتطوير الاداري في العراق، الذي بدأ اعماله في سنة 1963، و أعد انظمة محاسبية متطورة للقطاع الانتاجي والتجاري والخدمي الحكومي، ولعب دورا مهما في تطوير

الانظمة الادارية والمحاسبية، خاصة في مجالات محاسبة التكاليف والتدقيق ورفع الانتاجية والرقابة النوعية، التحليل المالي، والميزانيات التخطيطية وغيرها، و إعداد دورات تاهيلية وتدريبية للعاملين ، بهدف رفع مستوى معرفتهم في امكان تطبيق الانظمة المحاسبية المتقدمة في المؤسسات الصناعية والتجارية الحكومية.

وبالعودة إلى ما قبل انبثاق النظام المحاسبي الموحد في العراق، حيث كان هناك انظمة متعددة للمحاسبة في المؤسسات الصناعية والتجارية ودوائر الحكومية، والانشطة الاستثمارية. فكانت تلك المؤسسات بالمحصلة تختلف فيما بينها من حيث احتساب الكلفة واسس إعداد الحسابات النهائية والتقارير المالية.

فمثلا كانت شركات القطاع الصناعي الحكومي تستخدم في تسجيل المعاملات الاقتصادية، الدفاتر التالية:

1. دفتر اليومية العامة: الهدف الاساس منه، هو تسجيل كافة المعاملات الاقتصادية فيه على وفق نظام القيد المزدوج.
2. دفتر الاستاذ العام: يرحل مجموع الدائن والمدين لكل حساب نوعي المسجل في اليومية العامة الى هذا الدفتر شهريا، ما يسهل عملية استخراج ارصدة هذه الحسابات وعمل الحسابات الختامية على اساسه.
3. دفتر يومية الصندوق: يسجل فيه المعاملات النقدية من الايرادات والمصروفات وكل انواع المدفوعات والمقبوضات النقدية، وترقم حسب التسلسل التاريخي للعملية النقدية وحسب الاصول، واستخراج الرصيد النقدي.
4. الدفتر المساعد للايرادات والمصروفات: يسجل فيه تفاصيل الايرادات والمصروفات المرحلة من اليومية العامة، ومصنفة حسب النوع، ما يسهل عملية الرقابة على المصروفات والايرادات، واستخراج ارصدة كل نوع من هذه الحسابات، ومطابقتها مع ارصدتها في دفتر الاستاذ العام.
5. دفتر تفاصيل الموجودات الثابتة: يسجل فيه قيمة الموجودات الثابتة وانواعها التي يتم شراؤها او بيعها واحتساب اندثارها السنوي، واستخراج الارصدة في نهاية السنة المالية لاعداد الميزانية العمومية.

6. دفتر المخازن: يسجل فيه حركة دخول وخروج قيمة المواد والبضائع، ويسهل على عملية الجرد الدوري لكميات واقيام هذه المواد والبضائع، و تحديد الموعد الأخير منها في نهاية السنة المالية لاعداد الميزانية العمومية.
7. الدفتر المساعد للمدينين والدائنين: ويسجل فيه بشكل تفصيلي حركة الدائنين والمدينين، واستخراج ارصدتها في نهاية السنة المالية لاعداد الميزانية العمومية.

ويتم على وفق التسجيلات الواردة في هذه الدفاتر استخراج التقارير الآتيية منها:

1. تقرير كلفة الانتاج
2. تقرير حساب النتيجة اي الارباح والخسائر على شكل مراحل
3. اعداد الميزانية العمومية

ومن أجل تصور أفضل يمكن أن تعود إلى نماذج هذه التقارير مرفقة في نهاية البحث

إن هيكل الاقتصاد العراقي قبل ثورة تموز 1958 والتاميم في سنة 1964 ، كان يتصف بضعف وصغر حجم المؤسسات وخاصة في القطاع الصناعي. ومعظم الشركات العاملة في هذا القطاع كان تنقصها الموارد المالية في تطبيق النظام المتقدم لمحاسبة التكاليف، ما عدا بعض الشركات التي كانت تمول من قبل الراسمال الاجنبي، او المختلط كما في القطاع النفطي وشركات التامين.

ونظام محاسبة التكاليف المطبق في هذه الشركات كان يعتمد على النظام الانكليزي من حيث التسجيل وتقسيمات الكلفة واحتساب الكلفة وتقارير الحسابات الختامية من الارباح والخسائر، واعداد الميزانية العمومية. والحالة هذه استمرت حتى سنة 1964، عندما تم تاميم قسم من القطاع الصناعي.

فبعد التاميم واتساع حجم القطاع الصناعي، بادر المركز القومي للاستشارات والتطوير الاداري، وكذلك مكاتب المحاسب القانوني

المجازة، باعداد النظام المحاسبي للتكاليف لقسم كبير من هذه الشركات المؤممة، ولكن لم يكن ملزما للتطبيق من قبلها. ولحد الان لا يوجد في المؤسسات الصناعية العراقية نظام محاسبة تكاليف موحد ومستقل بمعنى الكلمة، وهناك ايضا نقص في الكوادر المهنية والفنية في هذه المؤسسات لتطبيق هذا النظام.

بالمقابل يمكن الإشارة إلى أنه، ظهر إلى الوجود بعد فترة؛ نظام موحد للمحاسبة في المؤسسات التي كانت تابعة للمؤسسة العامة للتجارة. وقد أعدّ مركز البحوث الادارية المعروف بـ (اراك) في سنة 1969 نظام التسجيل والعمليات المحاسبية واللوائح القانونية اللازمة لتطبيق هذا النظام، ويتضمن كالاتي خارطة الحساب على أسس المجموعة، كما يلي:

1. الموجودات
2. المطلوبات
3. كلفة الانتاج اوالخدمة
4. كلفة البضاعة او الخدمة المباعة
5. الايرادات والمصروفات بما في ذلك الربح والخسارة
6. تقسيم الربح

وكل حساب من هذه الحسابات مقسمة على حسابات تفصيلية وفرعية.

وعلى سبيل المثال نشير إلى أن ادارة المؤسسة العامة للغزل والنسيج أصدرت قرارها المرقم 5 في1971.8.23 بتطبيق النظام المحاسبي الموحد. وفي 1972.4.1 تم تعميم تطبيقه في فروع شركات هذه المؤسسة كافة. وفي 1973.4.1 طبق هذا النظام على كل مؤسسات القطاع الصناعي العراقي.

وفي اطار هذا النظام تم معالجة بعض اشكاليات نظام محاسبة التكاليف، منها التعاريف والمفاهيم، طرق تسجيل الكلفة، احتساب الكلفة، تقييم البضاعة والمواد، كذلك توحيد طرق احتساب الاندثار.

واصبح هذا النظام اساسا في تكوين النظام المحاسبي الموحد الذي توسع تطبيقه فيما بعد، وشمل كل قطاعات الصناعية والتجارية الحكومية، والذي يمكن الاستفادة منه في التخطيط الاقتصادي-الاجتماعي في

العراق. ان هذا النظام المسمى بالنظام المحاسبي الموحد لم يشمل كل قطاعات الاقتصاد الوطني، منها النشاط الاستثماري وقطاع الخدمات الاجتماعية، في وقت من الضروري بل من الواجب تطبيقه ايضا في هذه القطاعات.

وعليه وفي ضوء نظرة مباشرة وعن كثب، نجد اليوم في العراق انظمة محاسبية مختلفة في التطبيق وهي:

1. المحاسبة الحكومية
2. النظام المحاسبي الموحد للقطاعين الصناعي والتجاري
3. النظام المحاسبي للنشاط الاستثماري على وفق الخطط الاستثمارية لوزارة التخطيط

ومن الطبيعي أن نشير هنا إلى أن هذه الانظمة تختلف فيما بينها من حيث السجلات والدفاتر والتسجيل واعداد الحسابات الختامية والتقارير المالية ومن ثم إلى نتائج هذه التعددية والاختلاف فيما بينها.

2. النظام المحاسبي الموحد في العراق

إن انبثاق هذا النظام قد ساعد على تطوير نظام المحاسبة المالية والادارية في وحدات القطاع الاقتصادي العراقي. حيث يتصف هذا النظام بمرونة. ويمكن تطبيقه يدويا والكترونيا في انتاج البيانات، ويطبق في الوحدات الصناعية والتجارية كافة.

لقد ساهم هذا النظام في توحيد اللوائح والقوانين المحاسبية، وعملية تسجيل البيانات المحاسبية على مستوى الشركات والصناعات النوعية و\أو على المستوى القومي باوسع معانيه، من جهة إعداد الحسابات الختامية والميزانيات التخطيطية في اطار محدد من الاسس والقواعد والمصطلحات والتعاريف المحاسبية. وهو يتناول مفردات رئيسة متضمنا المحاسبة المالية، والمحاسبة الادارية، ومحاسبة التكاليف. وعليه يمكن إجمال محاور [ونتائج] التوحيد بالاتي:

1. توحيد الاسس والمبادئ والقواعد والمصطلحات والتعاريف المحاسبية
2. توحيد اسس تقييم المخزون من المواد والمنتجات وبقية الاصول
3. توحيد معدلات الاندثار لكافة الاصول
4. توحيد السنة المالية مع توحيد تاريخ اعداد حسابات النتيجة وقوائم المركز المالي
5. توحيد الحسابات الختامية
6. توحيد حسابات الاحتياطيات والتخصيصات
7. توحيد الميزانيات التخطيطية النقدية والمالية والفنية
8. توحيد الدليل المحاسبي الذي يتم على اساسه، تحليل وتبويب وتصنيف وتقسيم العمليات والبيانات المحاسبية

3. تركيب النظام المحاسبي الموحد

ساعد النظام المحاسبي الموحد على سهولة تسجيل العمليات الحسابية وانتاج البيانات على مستوى الشركات والمؤسسات العامة النوعية والاقتصاد الوطني. لتضمنه، المحاسبة المالية، والمحاسبة الادارية، ومحاسبة التكاليف.وفي ضوء ذلك نرصد مفردات تركيبه الآتية:

1. الدليل المحاسبي الموحد والاطار العام له(خارطة الحسابات)
2. شرح الدليل المحاسبي
3. الدفاتر والسجلات المحاسبية

بينما يمكن القول استنباعا لمفردات تركيبه التي تضمنها أن النظام المحاسبي الجديد قد استخدم الآليات الآتية في إطار عمله:

1. توحيد الميزانية التخطيطية
2. توحيد حسابات النتيجة
3. تطبيق نظام الجرد المستمر والمتابعة

ومع ذلك وعلى الرغم من توحيد النظام المحاسبي، نجد ان العراق اليوم لا يطبق النظام بشكله الموحد في كل الوحدات الاقتصادية، وبعض منها ما تزال تستخدم المعالجات الخاصة من حيث التسجيل وانتاج البيانات وعرضها على المستويات الادارية المختلفة.

4. **الدليل المحاسبي وإطاره العام**

يعتمد الدليل المحاسبي في أسس تصنيف حساباته وترقيمها على تسعة مجموعات، كالاتي:

1- الأصول

2- الخصوم

3- الاستخدامات

4- الموارد

حسابات الميزانية

1.الاصول(الموجودات)	2.الخصوم (المطلوبات)
11.اصول ثابتة	21. راس المال
12. مشروعات تحت التنفيذ	22. احتياطي وفائض مرحل
13. المخزون	23. تخصيصات
14. قروض طويلة الاجل	24. قروض طويلة الاجل
15. استثمارات مالية	25. بنوك دائنة
16. مدينون	26. دائنون
17. حسابات مدينة اخرى	27. حسابات دائنة اخرى
18. نقدية في الصندوق والبنوك	28. نتيجة العام

حسابات النتيجة/الاستخدامات

3- الاستخدامات(المصروفات)	4. الموارد(الايرادات)
31. الاجور	41. ايرادات النشاط الجاري
32. مستلزمات سلعية	42. اعانات
33. مستلزمات خدمية	43. ايرادات اوراق المالية
34. مشتريات بغرض البيع	44. ايرادات تحويلية
35. مصروفات تحويلية جاري	45. ارباح مشروعات التعمير والاسكان والاراضي
36. تحويلات جارية تخصيصية	

وتتفرع هذه الحسابات على المستويات الثالث والرابع والخامس والسادس.

مراكز الكلفة

5- مراقبة مراكز الانتاجية

6- مراقبة مراكز الخدمات الانتاجية

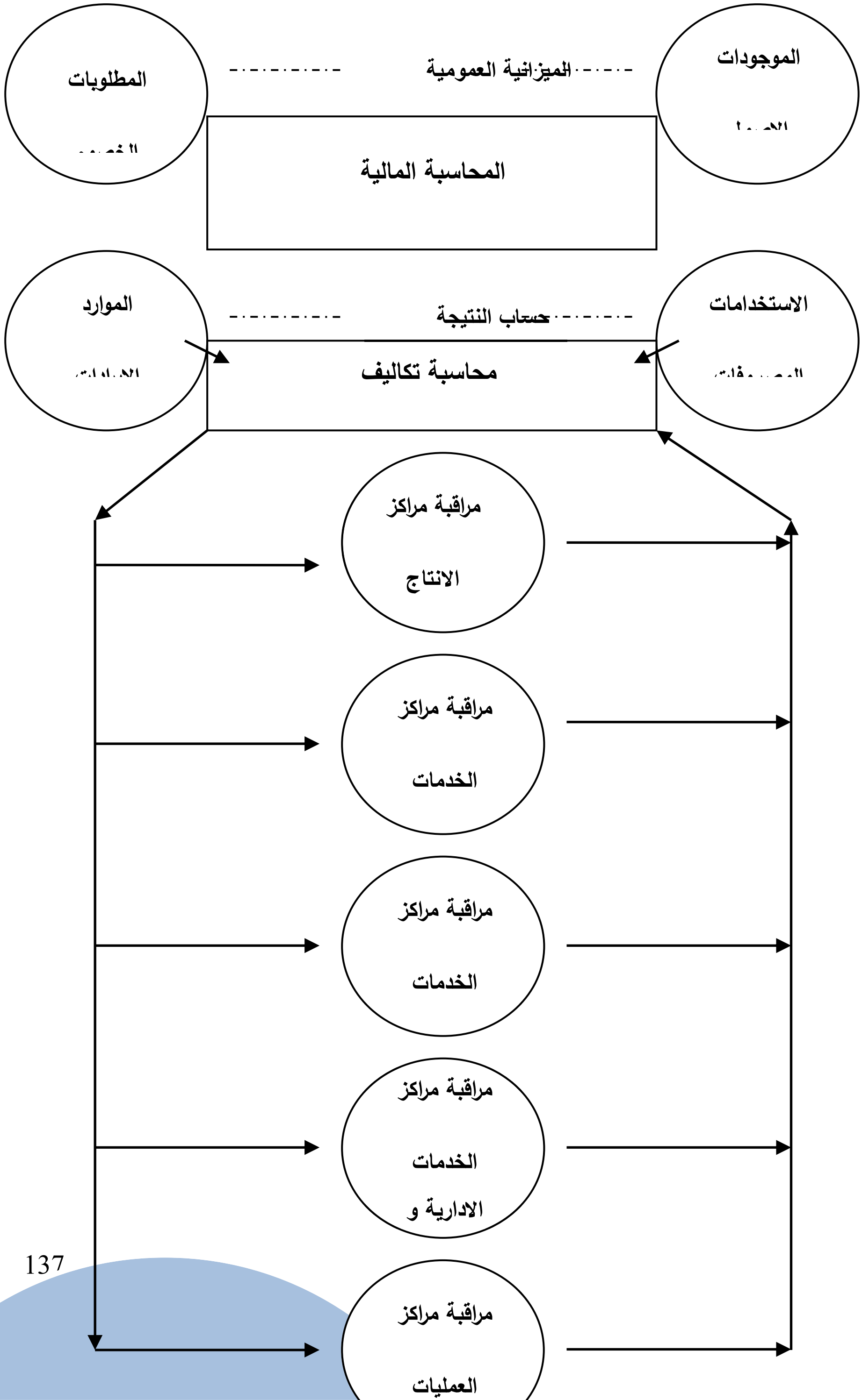
7- مراقبة مراكز الخدمات التسويقية

8- مراقبة مراكز الخدمات الادارية والتمويلية

9- مراقبة مراكز العمليات الراسمالية

ان الحسابات الاربعة الاولى من 1-4 والمذكورة في أعلاه تمثل حسابات اجمالية(المحاسبة المالية). اما محاسبة التكاليف، فقد خصصت لها حسابات اجمالية من 5-9. ويتاثر هذا التقسيم الى حد ما بالتقسيمات الموجودة في الادب المحاسبي للبلدان ذات اللغة الانكليزية والالمانية اي(انكلوسكسونية). وتقسم كل هذه الحسابات الى حسابات تفصيلية وفرعية متعددة، اذ اظهرت من خلال تطبيقها في القطاع الصناعي،بانها غير عملية، وتحتاج الى عمل و وقت كثيرين.

العلاقة بين المحاسبة المالية و محاسبة التكاليف في النظام المحاسبي الموحد



5. الدفاتر والسجلات المحاسبية

حدد النظام المحاسبي الموحد المجموعة الدفترية التي تجمع فيها العمليات والنشاطات المالية للوحدة الاقتصادية كافة، من عمليات القبض والدفع والبيع والشراء وكل التسويات خلال المدة المحاسبية. ومن هذه الدفاتر يتم استخراج الحسابات الاجمالية والعامة والمساعدة، لاعداد ميزان المراجعة، الذي بموجبه تصور الحسابات الختامية (حسابات النتيجة والميزانية العمومية). كذلك قيام ادارة التكاليف بامساك مجموعة دفترية ، تساعد على اعداد القوائم والحسابات الختامية ، وخاصة حساب الانتاج والمتاجرة والارباح والخسائر، فضلا عن بيانات اخرى يتطلبها متابعة الموازنة التخطيطية. وتقسم المجموعة الدفترية على:

1- دفاتر رئيسة

2- دفاتر تحليلية (استاذ مساعدة)

3- دفاتر الحسابات الشخصية (استاذ مساعدة – مفردات)

4- دفاتر وسجلات الكلفة وكشوف دورية

6. الميزانية التخطيطية

الميزانية التخطيطية كاداة تخطيط لرسم سياسة الوحدة الاقتصادية العينية والمالية والنقدية خلال الفترة المقبلة. فانها تتناول حجم الانتاج السلعي او النشاط الخدمي ومستلزماتهما، والامكانية الالية والبشرية المتوافرة لتنفيذ البرامج الانتاجية المخططة، كذلك انها تحدد حجم المبيعات والخدمات وطرق توزيعها او تقديمها،والسيولة النقدية ، ورسم الخطط التوسعية للطاقة

المضافة، واستكمال الطاقات الانتاجية للمشروع التي لم تستغل اقصى استغلال بعد، وربط هذه الميزانية بالميزانية التخطيطية للتكاليف ومراكزها.

7. **الحسابات والقوائم الختامية**

الزم النظام المحاسبي الموحد الوحدات الاقتصادية، باعداد الحسابات والقوائم الختامية السنوية في موعد اقصاه ثلاثة شهور من نهاية السنة المالية، التي تنتهي بالسنة التقويمية الدولية. و يراعى ان تعد هذه القوائم وتلك الحسابات على وفق ما تضمنه النظام المحاسبي الموحد من مصطلحات وتعاريف واسس وقواعد، وطبقا للنموذج الذي اشار اليه النظام.

وينبغي على الوحدة ان تطبق ايضا ما استقر عليه العرف المحاسبي في شان اعداد الحسابات والقوائم الختامية، بحيث يراعى اجراء كافة التسويات المحاسبية التي تكفل تحميل السنة بما يخصها من عناصر الاستخدامات والموارد طبقا لمبدأ الاستحقاق. كما يراعى ان تتضمن هذه القوائم كل ما تنص القوانين والانظمة على وجوب اثباته فيها. وقد الزم الوحدات ايضا باعداد التقارير المالية الداخلية شهريا ، وفصليا، ونصف سنويا، وكذلك سنويا وخاصة لحساب النتيجة والميزانية العمومية. واستخراج الميزان المراجعة شهريا، وذلك لتاكد مطابقة الارصدة الحسابية المختلفة مع قيود تسجيلاتها وترحيلاتها في الدفاتر والسجلات المحاسبية.

8. نظام الجرد المستمر والمتابعة

الزم النظام المحاسبي الموحد الوحدات الاقتصادية ، بتطبيق نظام الجرد السنوي والمستمر، الذي بموجبه يتم جرد كافة الموجودات مهما كان نوعها وطبيعتها وحجمها، بصورة تدريجية ومستمرة خلال السنة الانتاجية او الخدمة، وعلى ان يكون الجرد شاملا لكافة الموجودات، ولكن

عدد مرات الجرد خلال الفترة تعتمد على حركة المادة ومعدل دورانها السنوي وقيمتها.

ولهذا الغرض أجبر النظام كل وحدة اقتصادية، بتشيكل لجنة خاصة باسم (لجنة الجرد المستمر والمتابعة)، على ان تضع هذه اللجنة في كل عام برنامجا سريا لدورات الجرد التي تجريها في كافة مخازن الوحدة، مع مراعاة ان تكون الدورة الاخيرة في تاريخ انتهاء السنة المالية او اقرب ما يكون الى هذا التاريخ بفترة مناسبة..

ويجب ان تشمل هذه الدورات كافة موجودات الوحدة الموجودة لديها او بحوزة الغير. كما يتم تحديد مدة الدورة للجان الجرد المستمر والمتابعة، بان يتم تبديل نصف اعضاء اللجنة كل ستة اشهر، مثلا بشأن اللجنة الاولى، يتم تبديل نصف اعضائها بعدة ستة اشهر من تشكيلها، ويستمر النصف الاخر في اعمالهم لمدة سنة كاملة، عدا رئيس اللجنة فمدته سنة كاملة. تقدم لجنة الجرد تقريرا بعملها على ان يتضمن الاخطاء في وصف وتصنيف البضائع ووحدات صرفها، سوء او نقص اجراءات حفظها وسلامتها، الاخطاء في القيد والسجلات او في طريق الخزن او اي مخالفات اخرى.البضائع التي تحتاج الى وقاية خاصة.الفروقات المكتشفة اثناء الجرد مهما كان مقدارها ونوعها، وتوصيات اللجنة لمعالجة الموقف.

9. إمكان تطوير النظام المحاسبي الموحد في العراق (الخلاصة)

ان النظام المحاسبي الموحد عندنا، ليس موحدا بالمعنى الدقيق [والمكتمل] للكلمة. حيث يعالج بشكل خاص مسائل نظام التسجيلات الخاصة بالنشاط الانتاجي التشغيلي والتجاري. ولم يتطرق الى كيفية معالجة تسجيلات النشاط الاستثماري والمالي والاجتماعي، هذا فضلا عن ان النظام لم يطبق بشكل موحد في كافة فروع الاقتصاد الوطني.

لذلك هناك حاجة ماسة لتحديثه و اجراء الاصلاحات الضرورية واللازمة في تركيبه، ليربط هذه الانشطة التي تزاولها عادة كل وحدة الصناعية المتوسطة والكبيرة في نظام محاسبي واحد ، بحيث يعالج تسجيلات هذه الانشطة، ومن ثم توحيدها بشكل يسهل عملية تطبيقه في كافة فروع الاقتصاد الوطني، حتى يستطيع النظام انتاج المعلومات الاقتصادية اللازمة لعملية اتخاذ القرارات على كافة المستويات الادارية المختلفة، ويساهم في عملية تخطيط ومراقبة ومتابعة تنفيذها، في خدمة تطوير الاقتصاد الوطني.

يتصف هذا النظام بكونه مقسما على نظامين أو فرعين هما، المحاسبة المالية ومحاسبة التكاليف. يمكن تسمية الاول بالمحاسبة الخارجية، لانها تزود المعلومات المحاسبية لخارج الوحدة، فمثلا الجهاز الضريبي، والبنوك، والجهاز الاحصائي وغيرها، اما الثاني فيمكن تسميته بالمحاسبة الداخلية ، لانه يزود المعلومات لداخل الوحدة الاقتصادية.

فوائد هذا التقسيم هي، ان النظام ممكن ان يتكون فقط من المحاسبة المالية، من دون التكاليف، وخاصة للوحدات الصناعية الصغيرة، التي لا تحتاج الى استخدام محاسبة التكاليف بالشكل التحليلي، وكما يمكن عن طريق المحاسبة المالية، تزويد الجهات المسؤولة بالمعلومات المحاسبية الاجمالية الضرورية لعملية اتخاذ القرارات الاقتصادية، كما هو مطبق حاليا بهذا الشكل.

كذلك لا يمكن ان توجد محاسبة التكاليف من دون المحاسبة المالية وخاصة في الوحدات الصناعية المتوسطة والكبيرة، والتي تحتاج الى انتاج المعلومات الاقتصادية التحليلية لمستويات الادارية كافة. ومن فوائد هذا التقسيم ايضا، انه يوضح العلاقة المتينة التي تربط محاسبة المالية بمحاسبة التكاليف، من خلال مقارنة ومطابقة التسجيلات الاجمالية التي يتم تسجيلها في المحاسبة المالية، وتلك التسجيلات التحليلية التي تخص التكاليف والموارد، ويتم تسجيلها في محاسبة التكاليف عن طريق المستتندات الخاصة بذلك.ويجري التقسيم الاولي لبنود التكاليف على وفق مراكز المسؤولية، ويتم تسجيلها في دفاتر وسجلات محاسبة التكاليف بشكل احصائي، اذ يمكن

استخدام القيود ايضا في تسجيلات هذه البنود، وخاصة في الوحدات الصناعية المتوسطة والكبيرة.

لم يتطرق النظام المذكور الى كيفية تصنيف التقارير في مجال محاسبة التكاليف. ان الوحدات الصناعية ملزمة بتقديم تقارير مالية تنتجها المحاسبة المالية الى الجهات المسؤولة في اوقاتها المحددة لاغراض الرقابة والضريبة.

و اهم التقارير الاساس التي حددها النظام هي:

1- الميزانية العمومية

2- حسابات النتيجة (العمليات الجارية)

3- الحالة المالية

في التطبيق العملي، يلاحظ قلة فوائد هذه التقارير المالية لاغراض الادارة الفعالة. ولا تساعد المرؤوسين في الوحدات الصناعية المتوسطة والكبيرة ، كي يؤدوا وظائفهم الادارية بالشكل الامثل، لكونها تحتوي على معلومات تاريخية ومتاخرة.

وهي لا تعبر عن المعلومات الفعلية للخطط الموضوعة سابقا. الأمر الذي يجعل قوتها ضعيفة جدا في عملية الرقابة. حيث يصعب في هذه الحالة، باالاستناد الى هذه التقارير فقط اجراء مقارنات جارية بين الكلفة الحقيقية الفعلية والكلفة التاريخية، وايجاد الانحرافات واسبابها ومعالجتها في وقتها.

وعليه فان النظام المحاسبي الموحد بشكله الحالي، لا يعدو عن كونه مسودة للنظام المحاسبي للتكاليف. ومن هنا جاءت حاجة ماسة الى تطويره ليكون مناسبا ومقبولا في مجال قياس التكلفة لمختلف الاغراض، كتحديد اسعار الوحدات المنتجة محليا وللتصدير، تثمين الموجودات باشكالها المختلفة، قياس الاداء الانتاجي....الخ، وفي مجال الرقابة عليها.

ثم يجب ان يتسع مفهوم النظام لينتج المعلومات اللازمة لاتخاذ القرارات الاقتصادية على صعيد الوحدة، القطاع ، وعلى المستوى الوطني.

تتوجه اليوم السياسة الاقتصادية العراقية نحو الليبرالية والانفتاح، وتبني مبدأ الاقتصاد الحر، وادوات مالية جديدة لتوفير المعلومات المحاسبية التي تلبي احتياجات المستثمرين والممولين. ولهذا فإن الانتقال الى اقتصاد جديد للمحاسبة، يتطلب تحديد معايير تتكيف مع معايير المحاسبة الدولية ومع البيئة الجديدة للوحدات الاقتصادية العراقية، وتفرض مجموعة من الالتزامات الجديدة على النظام المحاسبي الموحد المعمول حاليا، لكي يتوافق مع هذه المعايير، وحتى يتماشى مع الاتحاد الاوروبي وشركات متعددة الجنسية والمنظمات المالية والتجارية العالمية.

يوجد اليوم هيئة المحاسبة القياسية العالمية، التي تقدم الخدمات في المعايير الدولية لرقابة الجودة والتدقيق والمراجعة، وقواعد السلوك الاخلاقي للمحاسبين المهنيين، وتحاول ايجاد مبدأ التوافق بين الانظمة المحاسبية والتقارير المالية التي تنظم امورها مصادر مختلفة، كالقانون التجاري، الضريبي، اصول ميزانية الدولة، قانون اصول محاسبة الشركات التجارية والصناعية(في العراق النظام المحاسبي الموحد)، والجمعيات وغيرها، والخروج بالمعايير القياسية، بحيث تكون مقبولة على الصعيد العالمي.

ونجد اليوم في ظل تنامي عولمة الاقتصاد، تبني معايير المحاسبة الدولية بشكل متزايد على مستوى العديد من دول العالم من الالتزام بتطبيق المعايير تتفاعل مع البيئة الجديدة للعلاقات الاقتصادية الدولية وهذا الالتزام ليس خيارا بل إلزاما لكل بلد ينوي الانتقال المباشر إلى مراحل التقدم والتطور العالمية المشهودة يضاف إليها إمكانات حل مشكلات جوهرية تطفو بوضوح في هذا البلد أو ذاك كما تبرز حالة الفساد التي تحتاج لمعالجة محاسبية دقيقة ومنظمة بموضوعية في سياق محدد كما مر معنا في عدد من إشاراتنا الاستقرائية في هذا البحث.

The evolution of the accounting system in Iraq

Abstract

The uniform accounting system is not uniform in the strict sense of the word. This system addresses the particular issues of recording the productive activities, on an operational and commercial level. The system was not created to handle the recordings of other kind of activities like financial and social investments. The system was not created so it can be applied uniformly in all branches of the national economy.

There is an urgent need to modernize the accounting system and make the necessary reforms in order to link activities performed by the medium and large industries, and the government. The accounting system need to be uniformed or standardized to facilitate the process of application in all branches of the national economy, so the system can produce economic information necessary for decision-making process at all administrative levels, and contributes to the process of planning, monitoring and follow up their implementation, in the service of developing the national economy.

Today Iraq's policy of liberalism and openness, and the adoption of doctrine free economy is forcing change upon the accounting system. The accounting system should bee seen as a financial and statistical instrument that meets the needs of investors, financiers and donors.

The transition to a new structure of an accounting system requires the identification of standards according to the International Accounting Standards. With the new environment of economic units in Iraq, it is essential to impose a set of new obligations on a uniform accounting system, in order to work in line with the European Union, multinational companies and financial organizations and the WTO.

Today we use the committee of Accounting International Standard (IASC) as a referendum, which provides services in the standards of the International Quality Control, Auditing, Review, and the rules of ethical conduct for professional accountants.

This committee should try to find a new doctrine - acceptable at the global level - , that creates compatibility between the systems of accounting and financial reports, which regulate their affairs in a variety of sources.

These sources are for an example the commercial law, tax law, the state budget, the code of accounting for commercial and industrial companies (known in Iraq as a Uniform Accounting System), associations and others.

In the light of the growing globalization of the economy, we find today that the adoptions of Standards International Accounting are increased at all levels. In order to participate in the development of the global economy and establish good international economic relations, any government needs to review its accounting system, and implement new reforms if those are needed.

ملحق 1 قائمة تقرير كلفة الانتاج للفترة من.......... الى 2010.........

البيان	المبلغ	المبلغ الاجمالي
.1كلفة المواد المستخدمة		
مواد اول مدة	xx	
مشتريات المواد+	xxx	
مجموع المواد	xx	
مواد اخر مدة-	xx	
المواد المستخدمة فعلا في الانتاج=		xxx
الاجور. 2		xx
تكاليف اخرى. 3		xx
(3+2+1) كلفة الانتاج . 4		xxx
الانتاج غير تام اولمدة + .5		xx
الانتاج غير تام اخر المدة- . 6		xx
كلفة صنع البضاعة . 7		xxx

ملحق 2 قائمة تقرير حساب النتيجة- الارباح والخسائر

المبلخ الاجمالي	المبلغ	البيان
xxx		صافي المبيعات. 1
		كلفة البضاعة المنتجة-
	xx	بضاعة تامة اول مدة
	xx	كلفة صنع البضاعة(7=) من تقرير السابق+
	xx	قيمة البضاعة المعدة للبيع=
	xx	بضاعة تامة اخر مدة-
xxx		كلفة البضاعة المباعة= .2
xx		اجمالي الربح او الخسارة(1-2).3
xx		تكاليف البيع (التسويقية) والادارية، ممكن اظهارها بشكل تحليلي .4
xxx		صافي الربح او الخسارة (3-4). 5

1-3 تمثل حساب المتاجرة

4-5 تمثل حساب الارباح والخسائر

ملحق 3 الميزانية العمومية بتاريخ 2010

			الاصول(الموجودات)			الخصوم(المطلوبات)
			الموجودات الثابتة			راس المال وحق الملكية
	xx		الاراضي		xx	راس المال
		xx	المباني		xx	+- الربح او الخسارة
	xx	xx	- اندثار المباني	xxx	xx	- المسحوبات
		xx	الات والمعدات المكتبية		xx	التخصيصات والاحتياطيات
	xx	xx	- اندثار الات والمعدات		xx	مصروفات مستحقة غير مدفوعة
		xx	وسائل النقل		xx	ايرادات مقبوظة مقدما
	xx	xx	- اندثار وسائل النقل		xx	اوراق الدفع
		xx	المكائن والمعدات الانتاجية		xx	قروض طويلة الاجل
xxx	xx	xx	- اندثار المكائن والمعدات الانتاجية		xx	بنوك دائنة
			الموجودات المتداولة		xx	دائنون
		xx	مخزون بانواعها المختلفة	xxx	xx	حسابات دائنة مختلفة
		xx	ايرادات مستحقة غير مقبوظة			
		xx	مصروفات مدفوعة مقدما			
		xx	اوراق القبض			

			استثمارات مالية	xx		
			قروض مدينة، طويلة وقصيرة الاجل	xx	xx	
			مدينون	xx		
			- احتياطي ديون المعدومة	xx	xx	
			حسابات مدينة اخرى	xx	xx	
			النقدية بالصندوق والبنوك			
			في الصندوق	xx		
			في البنك	xx	xx	xxx
		xxx				xxx

هذه الميزانية مستخدمة قبل ظهور النظام المحاسبي الموحد ، وهي على وفق النظام المحاسبي الانكليزي، اي الموجودات والمطلوبات الثابتة اولا،ثم الموجودات والمطلوبات المتداولة.

المصادر:

1- صباح الدوره: تطور القطاع الصناعي في العراق –القطاع الخاص، بغداد 1968

2- كاظم حبيب: دراسة مشاكل تطور القطاع الصناعي العراقي، في فترة من 1963-1964و 1968-1969 نمر3 سنة 3 ، دار السلام، بغداد 1972

3- صاحب حميد المستوفي: النظام المحاسبي الموحد في العراق، دار الزمان، بغداد 1974

4-صاحب حميد المستوفي و عبد الرزاق خالد الحيالي: النظام المحاسبي الموحد والمعالجة الدفترية لحسابات، دار الزمان، بغداد 1972

5-عبد الباسط احمد رضوان:المحاسبة في منشات القطاع الاشتراكي(النظام المحاسبي الموحد)، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل 1977

6-عبد الطيف حافظ, موريس واسيلي، وفؤاد العشري: النظرية والتطبيق في النظام المحاسبي الموحد، الطبعة الثالثة ،دار الفكر العربي القاهرة 1976

6- حنا رزوقي صائغ: المحاسبة الحكومية، الطبعة الثالثة، دار الزمان ، بغداد 1971

7- ماهر صالح : نموذج(موديل) المحاسبة الحكومية في العراق، رسالة دكتوراه، جامعة ، لودز ، بولندا،1980 ،باللغة البولندية.

8- قانون 28 لسنة 1940 ، مبادئ المحاسبة، وزارة المالية ، مديرية المحاسبات العامة، جريدة الحرية، بغداد 1976

9-النظام المحاسبي الموحد في القطاع الصناعي الحكومي في العراق: ، وزارة الصناعة ، مديرية العامة للتخطيط والرقابة المالية ، المؤسسة العامة للغزل والنسيج 1972

10-النظام المحاسبي الموحد: لجنة اعداد النظام المحاسبي الموحد، جريدة الجمهورية في 26.6.1980 بغداد

11-صباح قدوري: تحديث محاسبة التكاليف في وحدات القطاع الصناعي الحكومي في العراق، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة لودز، بولندا1985، باللغة البولندية

12- محمد شريف توفيق، حسن على محمد سويلم: استراتيجية توفيق المعايير الوطنية والعربية لتتوافق مع عولمة المعايير الدولية للمحاسبة، الزقازيق، مصر 2005

13-Intermediate Accounting Comprehesive Volum Fifth Edition .Simons , U.S.A

14-International Accounting Summaries ,A Guide for interpretation and comparison Coopers & Lybrand (International) 1991 John Wiley &Sons, INC.

التسويق الالكتروني باستخدام برمجية ARCGIS9.2
دراسة تطبيقية على مواقع السياحة العلاجية في الأردن

د. ابراهيم بظاظو – رئيس قسمي التسويق والإدارة السياحية – جامعة الشرق الأوسط / الأردن

الملخص

في ظل تنامي السياحة العلاجية التي غدت تشكل عنصراً هاماً في صناعة السياحة والتنمية الاقتصادية والاجتماعية على المستوى الدولي والمحلي، فهي تمثل مورداً اقتصادياً مهماً وأساسياً للدول،وبخاصة التي تتميز بمحدودية الموارد، لذلك فإن هذه الدراسة تكتسب أهمية خاصة؛ لأنها تبحث في تأهيل أحد الوسائل الناجحة في مجال التسويق السياحي الالكتروني باستخدام نظام المعلومات الجغرافي. كما عزز أهمية هذه الدراسة أيضا تطرقها إلى أحد الأمثلة التطبيقية لاستخدام نظام المعلومات الجغرافي في تسويق مواقع السياحة العلاجية في الأردن .

الكلمات الدالة:

نظم المعلومات الجغرافية Geographic Information System (GIS) ، التحليل المكاني Spatial Decision Support System (SDSS)، التسويق الالكتروني E-Marketing ، السياحة الالكترونية E-Tourism

E-Marketing Using the Software ARCGIS9.2
An Empirical Study on the Sites of Curative Tourism in Jordan

Abstract

In light of the growing medical tourism, which has become an important element in the tourism industry and economic and social development at the international level and local level, they represent an important economic resource and essential to the States, particularly those characterized by limited resources, so this study is of particular importance; as they look in the rehabilitation of a successful means in the field of tourism marketing email using geographic information system. It also reinforced the importance of this study also Turning to a practical example of the use of geographic information system in the marketing of medical tourism sites in Jordan.

Key words: Geographic Information System (GIS) ، Spatial Decision Support System (SDSS) ،E-Marketing ، E-Tourism

مشكلة الدراسة

تُحاول الدراسة الكشف عن مقومات السياحة العلاجية في الأردن، ومحاولة تخطيطها وإدارتها وتسويقها باستخدام نظم المعلومات الجغرافية Geographic Information System (GIS)،من خلال بناء قاعدة بيانات جغرافية يمكن من خلالها المساعدة في تسويق السياحة العلاجية في الأردن، للوصول إلى استغلال أمثل وتنميتها سياحياً ، وتسعى الدراسة إلى الإجابة على الإشكال المطروح والمتمثل في الكيفية التي يتم فيها الربط بين نظام إدارة المواقع السياحية العلاجية، ونظم المعلومات الجغرافية، وبما يؤدي إلى أن يستفيد التسويق السياحي المستدام في المواقع السياحية من مخرجات نظم المعلومات الجغرافية في تحقيق أهدافه المرجوة ورفع فعاليته. كما تتناول الدراسة كيفية الاستفادة من نظم المعلومات الجغرافية في بناء نظام مقترح لتسويق المواقع السياحية العلاجية في ظل الطلب المتزايد عليها؛ لما يوفره استخدام نظم المعلومات الجغرافية كتقنية متعددة الفوائد في توفير الإدارة المثلى في التسويق الالكتروني للمواقع السياحية.

وقد حاولت الدراسة الإجابة على الإشكالية الأساسية الآتية:

كيف يمكن تأهيل نظام التسويق السياحي الالكتروني في المواقع العلاجية من أجل تطوير الخدمة السياحية المقدمة للسائح عن طريق استخدام نظم المعلومات الجغرافية ؟

والتي تفرع منها الأسئلة التالية :

1. ما المدخلات اللازم توافرها في بناء قاعدة بيانات متكاملة لمنطقة الدراسة؟

3. هل يمكن تسويق المواقع السياحية العلاجية باستخدام مخرجات نظم المعلومات الجغرافية ؟

4. كيف يمكن الربط الأمثل بين احتياجات السائح العلاجي وبين مخرجات نظم المعلومات الجغرافية بما يرفع من فعالية التسويق الالكتروني للسياحة العلاجية؟

أهمية الدراسة:

تتمثل الأهمية العلمية للدراسة في مجال الاستفادة من تطبيقات نظم المعلومات الجغرافية في تسويق المواقع السياحية العلاجية، من خلال تصميم نموذج عملي مقترح لتطبيق نظم المعلومات الجغرافية في تسويق وتطوير المواقع العلاجية.

مبررات الدراسة :

1. قلة الدراسات التي تناولت التسويق السياحي الالكتروني باستخدام نظم المعلومات الجغرافية.
2. أهمية السياحة في الدخل الوطني حيث تشكل 14.7% من الدخل الإجمالي .
3. إمكانية استخدام نظم المعلومات الجغرافية بكفاءة عالية في تسويق المواقع السياحية ،وهو في تسويقه لهذه المواقع يربط بها كافة البيانات الوصفية المتعلقة بها ، مثل مكانها ، خدماتها ، أسعارها.

4. إن البيانات المطلوب إدخالها في قاعدة البيانات Data Base التي تختص بالموقع السياحي ، هي بيانات مكانية بالدرجة الأولى ، وترتبط بمواقع جغرافية محددة ، وهو ما تختص به نظم المعلومات الجغرافية.

5. القدرة العالية لنظم المعلومات الجغرافية بالتعامل مع عدة أنواع من البيانات، مثل: التقارير، الإحصائيات ، الجداول ، والخرائط ، وهو ما يضفى نوعًا من الإحكام والدقة على مخرجات النظام.

6. تعتمد النتائج المرجوة من النظام ، على عمليات التحليل الجغرافي لمواقع محددة ، وهو ما يتوافر بقوة في نظام المعلومات الجغرافي .

7. إن استخدام نظم المعلومات الجغرافية ، كأداة إعلامية وتسويقية هامة ،أجبر مديري التسويق والمبيعات في الشركات السياحية والفندقية على تغيير استراتجيات التسويق، والسبل الكفيلة بإنجاح الحملات الإعلانية من خلال التركيز على هذه الوسيلة الجديدة ،والتي سَتًمكْن الشركات السياحية والفندقية من التوسع في مجالات النشاط التسويقي، بغض النظر عن حجمها، من التنافس في السوق وفي حدود متساوية كما أنها ستَتَمكن من فتح قناة اتصال مباشرة مع السياح.

الدراسات السابقة :

تتصف الدراسات التي تناولت تسويق المواقع السياحية العلاجية في غالبيتها باهتمامها بدراسة الجوانب التقليدية في عملية التسويق، أما الدراسات المتعلقة بتسويق المواقع السياحية العلاجية باستخدام نظم المعلومات الجغرافية موضوع البحث فما زالت قليلة ، ومنها: دراسة Harmsworth, G.R. 2006، بعنوان " تطبيقات نظم المعلومات الجغرافية في التسويق السياحي، وقد تناولت الدراسة كيفية الاستفادة من نظم المعلومات الجغرافية في تسويق المواقع السياحية في نيوزيلندا ، وقد أسفرت الدراسة عن النتائج الآتـية : أهمية نظم المعلومات الجغرافية في التسويق السياحي ، فضلاً عن إمكانية استخدام هذه النظم في إجراء التحليلات المختلفة.[1]

ومن أمثلة الدراسات التي تناولت تطبيقات نظم المعلومات الجغرافية في إدارة المصادر السياحية وتسويقها سياحياً باستخدام نظم المعلومات الجغرافية ، تلك التي أجراها (Walker, D. 2005)، حيث يؤكد الباحث في هذه الدراسة أنه من الضروري تبني "مصطلح نظم المعلومات الجغرافية بشكل واسع من قبل مطوري النظم، ومن قبل المتخصصين في التسويق، ويحتاج هذا التطوير إلى الأخذ بعين الاعتبار طبيعة النظام التسويقي القائم على هذا النظام وضرورة اقتناع متخذ القرار بأهمية نظم المعلومات الجغرافية في التسويق السياحي [2]

وتأتي هذه الدراسة استكمالاً للدراسات السابقة ومحاولة بناء نموذج تطبيقي لاستخدام تكنولوجيا نظم المعلومات الجغرافية في التسويق السياحي من خلال التطبيق على مواقع السياحة العلاجية في الأردن .

منهجية الدراسة :

تجمع الدراسة بين النظرية والتطبيق ، لما تشتمل عليه من إطار نظري يتناول مفاهيم تسويق المواقع العلاجية سياحياً باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، وتطبيق عملي يسهم في إعداد قاعدة بيانات متكاملة تضم كافة المقومات العلاجية في الأردن، ويتطلب ذلك الجمع بين أكثر من منهج في آن واحد كالمنهج التنظيمي والمنهج الإدراكي التصوري ؛ بغرض إبراز الشخصية الإقليمية للمواقع السياحية، وفق شمولية المناهج سالفة الذكر، وتكاملها في إطار من التحليل

الموضوعي القائم على مدخلات النظم ،والمؤدي إلى مخرجاتها .وتشمل منهجية بناء قاعدة البيانات الجغرافية الخاصة بالدراسة المراحل الآتية :

المرحلة الأولى :جمع المعلومات والبيانات الخاصة بالدراسة .

المرحلة الثانية :إدخال البيانات الجغرافية ومعلوماتها الوصفية وبناء قاعدة المعلومات .

المرحلة الثالثة :إدارة ومعالجة قواعد المعلومات في نظم المعلومات الجغرافية .

البرنامج المستخدم في تصميم النظام المقترح :

النظام الذي يطرحه الباحث مصمم باستخدام برنامج (ARCGIS 9.2) ، حيث تم تجهيز كافة طبقات النظام المقترح من خلال هذه البرمجية ، وتم تحميل هذا النظام على شبكة الانترنت من خلال برنامج (ARCIMS 9.2) ، هو برنامج لنشر البيانات الجغرافية عبر شبكة إنترانت محلية يمكن أن يَطّلع عليها موظفو الشركات السياحية من خلال الإطلاع على كافة تفاصيل قواعد البيانات الجغرافية ، أو إنترنت عالمية يمكن أن يَطّلع عليها السياح في جميع أرجاء العالم من خلال إنترنت وأجهزة الهاتف المحمول والأجهزة اللاسلكية.[3]

أخذت الأحرف IMS من عبارة Internet Map Server أي "مزود خريطة إنترنت"، وقد استخدم الباحث كلمة مزود في مقابل Server، ولم يستخدم كلمة خادم أو مخدم أو نادل كما يرد في المعجم ، ويمكن من خلال هذه التقنية، بناء مواقع على شبكة الانترنت ،تكون مهمتها الأساسية تسويق المواقع السياحية بما تحتويه من كافة المقومات الطبيعية والبشرية من فنادق ومكاتب سياحية وشركات تأجير السيارات السياحية ،ويعد أحدث إصدارات هذا البرنامج هي ARCIMS 9.3، ويعتبر أحد مكونات حزمة ESRI ARCGIS، ولذلك يعتبر برنامج ARCIMS من شركة ESRI من البرامج المفيدة والمتخصصة في تسويق المواقع السياحية من خلال نشر بيانات نظم المعلومات الجغرافية عبر شبكة الانترنت، مما يُتيح إمكانية الوصول لهذه البيانات بسهولة من جميع أرجاء العالم.

يتكون نظام ARCIMS من جزئيين هما المزود (Server)، والسائح أو الزبون (Client).

المزود ARCIMS ، يعمل هذا الجزء على الجهاز المركزي، ويرتبط بالبيانات الجغرافية من خرائط وقواعد بيانات، وكافة التطبيقات السياحية من جهة، ومزود إنترنت من جهة أخرى، ويتعامل مع عدة أنواع من مزودي الانترنت مثل IIS وApache وPlanet، ويمكن لمزود ARCIMS الربط بين عدة مصادر وبيانات جغرافية بين أكثر من موقع سياحي على المستوى المحلي أو العالمي ، حيث يُمكننا مثلاً جلب خريطة الأساس (Base Map) المخزنة على حواسب شركة ما، ووضعها فوق طبقة الطرق أو الفنادق المخزنة في حواسب شركة سياحية أخرى في دولة ثانية. [4]

الفرق بين الوسائل التقليدية والوسائل المعتمدة على استخدام نظم المعلومات الجغرافية GIS في تسويق المواقع السياحية العلاجية :

التحول الذي شهده العالم في مختلف المجالات بفعل انتشار التكنولوجيا ،لم يكن بمنأى عن مهنة التسويق السياحي ، التي شهدت هي الأخرى تغيراً ملحوظاً في طبيعتها ومؤهلاتها وفرص نجاحها، فضلاً عن المشاكل التي قد تعوق إتمامها، فقد تحولت الوظائف التسويقية إلى مفهوم جديد، وباتت تأخذ شكلا أكثر فاعلية مع التكنولوجيا من خلال استخدام نظم المعلومات الجغرافية ، إلا أنها لم تستبعد أو تنكر نظريات التسويق التقليدية، وإنما استطاعت الاستفادة منها في تطوير وإيجاد حلول لمشاكلها وأخرجت ظاهرة جديدة تسمى "التسويق السياحي من خلال نظم المعلومات الجغرافية ".[5]

انطلق قطاع التسويق السياحي باستخدام نظم المعلومات الجغرافية في العالم المتقدم بسرعة مذهلة خاصة في ظل ازدياد قدرته على توسيع السوق، وزيادة الحصة السوقية للمنشآت السياحية، بنسب تتراوح بين 3 إلى 22%، كما يتيح هذا النوع من التسويق عرض المنتج السياحي عن طريق رسائل E-mail للسياح، وتقديم كافة المقومات السياحية البشرية والطبيعية ، وإرسالها إلى السياح المحتملين عبر شبكة الإنترنت. ، إضافة لإمكانية حصول السياح على احتياجاتهم ،والاختيار من بين منتجات الشركات العالمية بغض النظر عن مواقعهم

الجغرافية، خاصة أن هذا النوع من التسويق لا يعترف بالفواصل والحدود الجغرافية،كما الحال في الوسائل التقليدية المستخدمة في التسويق السياحي .

يوجد مجموعة من الأمور المهمة التي يجب مراعاتها من قِبَلْ الأشخاص أو الجهات العاملة في التسويق من خلال نظم المعلومات الجغرافية، لتحقيق النجاح المطلوب من هذه العملية، وتتمثل هذه الأمور في الاستخدام الجيد للأدوات المتبعة في التسويق، والرؤية الواضحة للأسواق المستهدفة، وأسلوب إدارة العلاقة مع السياح . ويحتاج التسويق من خلال نظام المعلومات الجغرافي إلى إدارة جيدة وخطط واضحة لمواجهة التغيير المستمر في حركة الأسواق، سواء كانت محلية أو عالمية، والتسويق بطبيعته فن صعب ممارسته وليس من السهل في معظم الأحوال القيام به والخوض في مجاله إذا لم يتوفر له مختصون في هذا المجال.

تتميز تطبيقات نظم المعلومات الجغرافية في التسويق السياحي بمحدودية الانتشار، إلا أن دخول الوسائل التكنولوجية الحديثة والمتمثلة بالانترنت مجال التسويق السياحي، أتاح العديد من الفرص لهذه النظم في تسويق المواقع السياحية Location On-Line، ومع اندماج تقنيات نظم المعلومات الجغرافية مع الانترنت ،ولّدَ ذلك العديد من تطبيقات هذه النظم في مجال التسويق السياحي ، في كل من الطلب والعرض السياحي ، وفي التخطيط للتسويق من حيث التعرف على السياح وأماكن قدومهم ،والمواقع السياحية الأخرى المنافسة. (6)

يعتقد بون(Gardner, J. 2007) ،بأن التسويق السياحي الالكتروني، يعتمد وبشكل كبير على توفر المعلومات والأنظمة المتاحة لتحليلها وعرضها باستخدام نظم المعلومات الجغرافية ، من خلال الخرائط ،والتي يطلق عليها بالخرائط التفاعلية Virtual Map، والتي بنقرة واحدة Single Click يمكن التعرف على ملامح متعددة للموقع السياحي العلاجي (7)، ويؤكد(Gibson, C. 2006) أن التطور الكبير والسريع لصناعة السياحة باستخدام نظام المعلومات الجغرافي ،إلى جانب إلغاء بعض القوانين المقيدة لحرية الحركة ستعمل على تفعيل وسرعة المتغيرات التي ستطرأ على هذه الصناعة. (8)

تطبيق نظم المعلومات الجغرافية في جانب الطلب والعرض السياحي Demand Side

يُمكن استخدام نظم المعلومات الجغرافية في جانب الطلب السياحي Demand Side، في ما يعرف برسم خريطة السوق Market Mapping، فالأسواق السياحية قد تكون محلية أو إقليمية أو عالمية ، ولعل تقسيمها قد يكون في المقام الأول على أساس جغرافي ، إلى جانب عوامل أخرى ديموغرافية وسيكولوجية وسلوكية ، ويمكن من خلال خريطة السوق Market Mapping ،التعرف على مجموعة كبيرة ومتنوعة من الأسواق على نطاق جغرافي واسع ، لتسويقها لمقابلة العديد من الاحتياجات والرغبات الخاصة بالسياح ، التي يتم التعرف عليها ودراستها من خلال نظم المعلومات الجغرافية ،وبشكل عام فإن نظام المعلومات الجغرافي قادر على الإجابة على الأسئلة الآتية :

أولاً :أين يوجد السياح؟ وما أبرز خصائصهم ؟

يرى(Harmsworth, G.R. 2006) أن تحليل صفات وخصائص السياح عملية معقدة ، لذلك فإن فهم رغبات السياح يتطلب الحصول على بيانات عن أماكنهم الأصلية ، وبيانات عن طريقة حياتهم ، وتستطيع تقنية نظم المعلومات الجغرافية القيام بهذا الدور؛ بواسطة ربط قوائم السياح التي يتم الحصول عليها من وزارة السياحة والآثار ،أو من دائرة الإحصائيات العامة ، بأماكنها الجغرافية باستخدام نظم المعلومات الجغرافية ،حيث توضع هذه القوائم في قاعدة البيانات الجغرافية ،إضافة إلى إمكانية ربط البيانات الديمغرافية عن السياح بمواقعهم الجغرافية على الخريطة ، وهذه الطريقة توفر الجهد والوقت والتكلفة في عملية مسح الحركة السياحية ، عن طريق معرفة عناوين السياح والمناطق التي جاءوا منها ودخلهم ووظائفهم والعمر والتعليم وحالتهم الاجتماعية ، ومشترياتهم والأنشطة التي يمارسونها .[(9)]

ثانياً :ما النصيب المتوقع من السوق السياحي العالمي للعرض السياحي المطروح في الأسواق الدولية ؟

تزودنا تقنيات نظم المعلومات الجغرافية بالقدرة على إنجاز خرائط خاصة بالموزعين والمنافسين ، والتعرف على منافذ التوزيع الأخرى في المنطقة ، وقد

طَوّر(Jordan, G. 2003)نموذج قائم على استخدام نظم المعلومات الجغرافية، لتحديد العلاقات المكانية وحجمها بين المواقع السياحية في كندا ، عن طريق توافر معلومات عن عدد السكان في المناطق التي يأتي منها السياح ، ونصيب كل موقع سياحي من عدد السياح الكلي ، ومدى جاذبيته بالنسبة للسياح ، وكذلك حساب التأثيرات المستقبلية المتوقعة ،والتنبؤ بنصيب هذا الموقع من السوق في حالة تغير أحد العوامل السابقة .[10]

ثالثاً : أين يجب وضع مكاتب التمثيل السياحي في العالم ؟ أو هل يجب توسيع مكاتب التمثيل السياحي القائمة؟

توفر تقنية نظم المعلومات الجغرافية نظرة شمولية واسعة عن التوزيع الجغرافي لمكاتب التمثيل السياحي على خريطة العالم ، وتتمحور أهداف مكاتب التمثيل السياحي ،حول نشر الوعي عن المنتج السياحي ، وزيادة عدد شركات السياحة والسفر التي تقوم ببيع المقومات السياحية في الأردن كمقصد سياحي ،إضافة إلى مزاولة الحملات الإعلامية ومراقبة تنفيذها ومردودها .

تتميز الخريطة المنجزة من خلال نظم المعلومات الجغرافية ، بالسهولة والمرونة في استخدامها ،كما أنها تعرض كماً كبيراً جداً من المعلومات ، ولعلها في تسويقها للمواقع السياحية يمكن أن تحدد العناصر الآتية : أهم مواضع الجذب السياحي ، التوزيع الجغرافي للخدمات السياحية داخل الموقع ،المعلومات المناخية ، الطرق ، وهذه المعلومات يتم عرضها بشكل جذاب باستخدام الصوت والصورة والحركة ، ويمكن من خلال هذه الخرائط التعرف على أنواع المواصلات التي يمكن للسياح استخدامها ، وأقصر الطرق للوصول إلى مواقع الجذب السياحي ووكالات السفر والخدمات التي تقدمها ، والخدمات الصحية والمستشفيات، ومراكز الشرطة ، ومراكز التسوق.

ويمكن من خلال استخدام تقنية ARCIMS لتسويق المواقع السياحية العلاجية في الأردن ،عرض الصور المجسمة 3D والصور الفضائية ،والتي يمكن تكبيرها وتصغيرها و تحريكها وقلبها وإمالتها ، أو حتى الطيران الافتراضي فوقها ، كما توجد أدوات متطورة تتيح تحديد المسارات السياحية لأي موقع سياحي ، بالإضافة للعديد من الميزات الأخرى.[11]

يوجد عدد من الوسائل الأخرى من الممكن استخدامها في تسويق المواقع السياحية العلاجية كما يتضح بالشكل (1)،والتي تعمل من خلال برمجيات نظم المعلومات الجغرافية ، وهي أجهزة Personal Digital Assistant (PDA) Handled Computers ومنها :

1. Map View Display (MVD) .
2. List View Display (LVD).
3. خدمة الهاتف المحمول من خلال GPRS

الشكل (1)



أجهزة تعمل من خلال برمجيات نظم المعلومات الجغرافية

طبقات المعلومات التي يتضمنها النظام المقترح لتسويق المواقع السياحية العلاجية:

تتضمن الخريطة السياحية لمواقع السياحة العلاجية ،والتي يتم استخدامها في التسويق السياحي عدد من الطبقات Layers ، وتحتوي هذه الطبقات على كافة المقومات الطبيعية والبشرية ، وتزودنا برمجية ARCIMS القيام بالعديد من التحليلات على الخريطة ، حيث أن كل ظاهرة Feature داخل الخريطة ،تم ربطها بجدول البيانات الوصفية Attribute Data، وهي البيانات التي تضم معلومات تصف البيانات المكانية / الجغرافية Spatial Data ، وترتبط هذه البيانات الوصفية بالبيانات المكانية عن طريق نظام الترميز Encoding.ويعد تحديد الهدف Define Objective من قاعدة البيانات المطلوبة، إلى جانب تحديد ما المطلوب إنجازه Decide What You Need to Achieve، دورا هاما في معرفة نوع البيانات المطلوبة ، وشكل المخرجات، ونستطيع من خلال قاعدة البيانات السياحية Data Bases Tourism الخاصة بالخريطة الاستعلام عن أي فعالية سياحية يريدها السائح والمستخدم لهذا النظام ، وتضم قاعدة البيانات السياحية عدداً من الجداول على شكل مجالات تتناول المستشفيات، والمواقع العلاجية الطبيعية .

يمكن للسائح من خلال النظام المقترح فتح الـ Link ـ الارتباط التشعبي ـ الخاص بأي موقع علاجي ،من خلال الأداة التي تسمى الاستعلام Identify ،ليظهر الجدول الخاص ببيانات هذا الموقع العلاجي ، وأما عن الحقل Price فهو يمثل السعر الأدنى للإقامة في المواقع العلاجية، ويمكن استخدام هذا الحقل في البحث باستخدام السعر حيث يختار النظام المواقع العلاجية التي توافق السعر الذي يتناسب والسائح . [12]

العمليات التحليلية التي يقدمها النظام المقترح لتسويق المواقع السياحية العلاجية

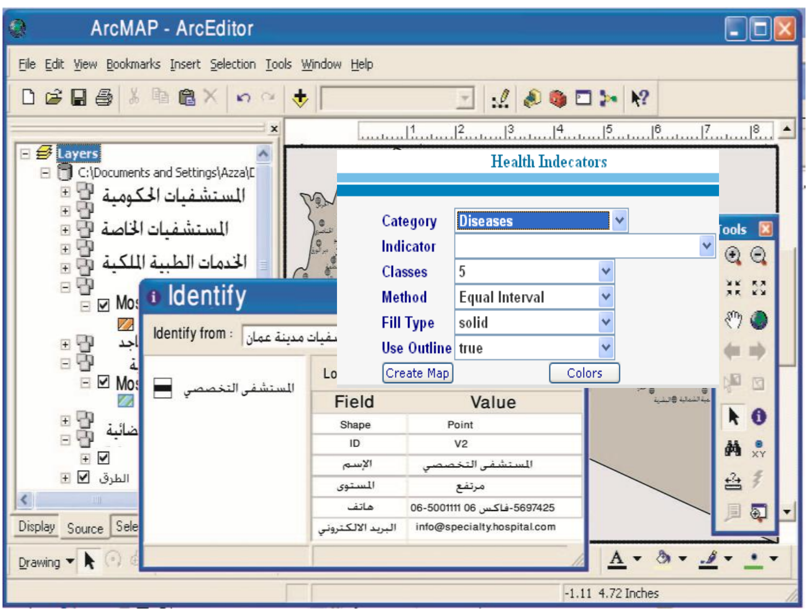
يوجد مجموعة من المعلومات التي يمكن للنظام المقترح أن يوفرها بدقة وبشكل دائم ،دون وجود أي اعتبار للزمان والمكان ، وهي الإدخال و المعالجة و الإدارة و الاستفسار و التحليل ،وهذا يتم من خلال وجود السائح على الشبكة

الدولية للمعلومات (الانترنت)، ويتميز النظام المقترح بسهولة استخدامه ومن أبرز الخدمات السياحية التي يقدمها:

أولاً: تعريف معلم أو ظاهرة معينة Identifying Specific Feature.

عند النقر Click على أي ظاهرة أو عنصر على الخريطة السياحية ، باستخدام الأداة Identify يظهر جدول به اسم المعلم أو الظاهرة ونوعها والـ ID والعنوان ، كما يتضح بالشكل (2) .

الشكل (2)

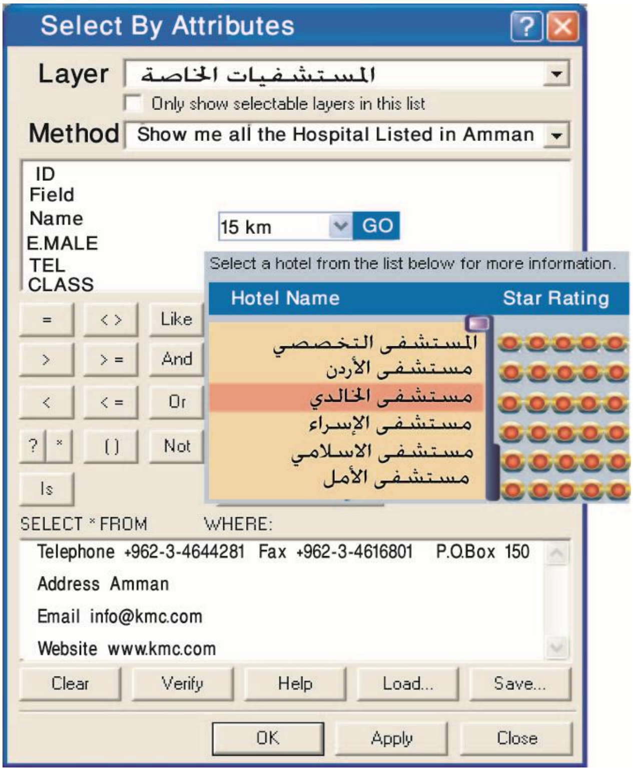


المصدر : إعداد الباحث اعتماداً على استخدام برمجية ARCGIS9.2

تعريف ظاهرة معينة من خلال النظام المقترح لتسويق مواقع السياحة العلاجية

تعريف ظاهرة أو معلم معين أو مجموعة معالم بشرط معين . Identifying Features Based On Conditions يزودنا النظام المقترح لتسويق المواقع العلاجية، إمكانية قيام السائح بالبحث عن المواقع السياحية العلاجية ضمن سعر معين أو تصنيف سياحي معين ، كأن يبحث السائح عن المستشفيات ذات التصنيف المرتفع ، أو المستشفيات ضمن أسعار معينة ، كما يتضح بالشكل (3) ، وقد يكون البحث معتمدا على الاسم ، أو بالنوع .

الشكل (3)



المصدر : إعداد الباحث اعتماداً على استخدام برمجية ARCGIS9.2

البحث من خلال النظام المقترح بواسطة الاسم By Name

ويمكن البحث بنفس الطريقة السابقة عن عنوان الموقع السياحي العلاجي المطلوب سواءً من حيث الاسم والعنوان والسعر ، كذلك إمكانية الاستفسار عن مختلف المقومات السياحية الطبيعية والبشرية ، من خلال النظام المقترح لتسويق المواقع السياحية العلاجية . ويزودنا النظام المقترح إضافة لما سبق ،إمكانية الوصول إلى الفعاليات السياحية، مصحوبة بالمعلومات المكتوبة والصور ولقطات الفيديو الحية ، والتي يتوفر لها موقعاً الكترونياً على شبكة الانترنت ، ومشتركة بهذا النظام المقترح ،مما يُمكن السائح من الوصول إليها الكترونياً ، والإطلاع على مختلف الفعاليات السياحية التي تقدمها ، إضافة إلى إمكانية الحجز الالكتروني مباشرة من خلال الارتباط التشعبي Hyperlink .كما يتضح بالشكل (4) .

الشكل (4)

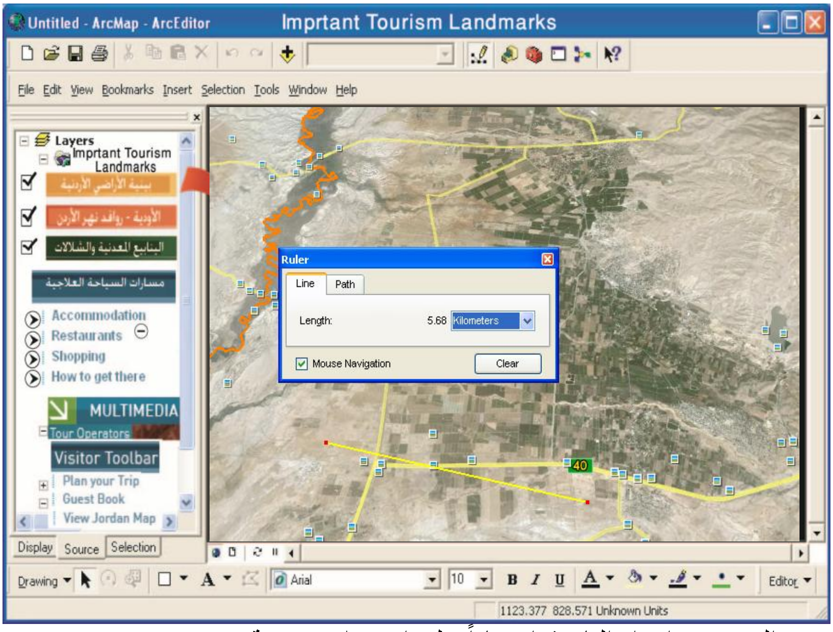


المصدر : إعداد الباحث اعتماداً على استخدام برمجية ARCGIS9.2

تحليل القرب والبعد Proximity Analysis

يتم تحديد القرب أو البعد لظاهرة أو معلم معين عن معلم آخر بقدر معين يتم تحديده ، ويوضح الشكل (5) لتحليل القرب والبعد المعتمد على أكثر من طبقة معلومات Analysis Overlay، بمعنى أنه يمكن اختيار أحد المستشفيات من الطبقة المعلوماتية الخاصة بالمستشفيات، ثم الطلب من النظام أن يحدد اقرب فندق لهذا المستشفى، وبذلك يقوم النظام باختيار أقرب فندق من طبقة معلومات الفنادق بناءا على المستشفى الذي تم اختياره من طبقة المستشفيات، وهو بذلك قام بتحليل أكثر من طبقة معلومات للوصول إلى المطلوب .كما يتضح بالشكل (5).

الشكل (5)

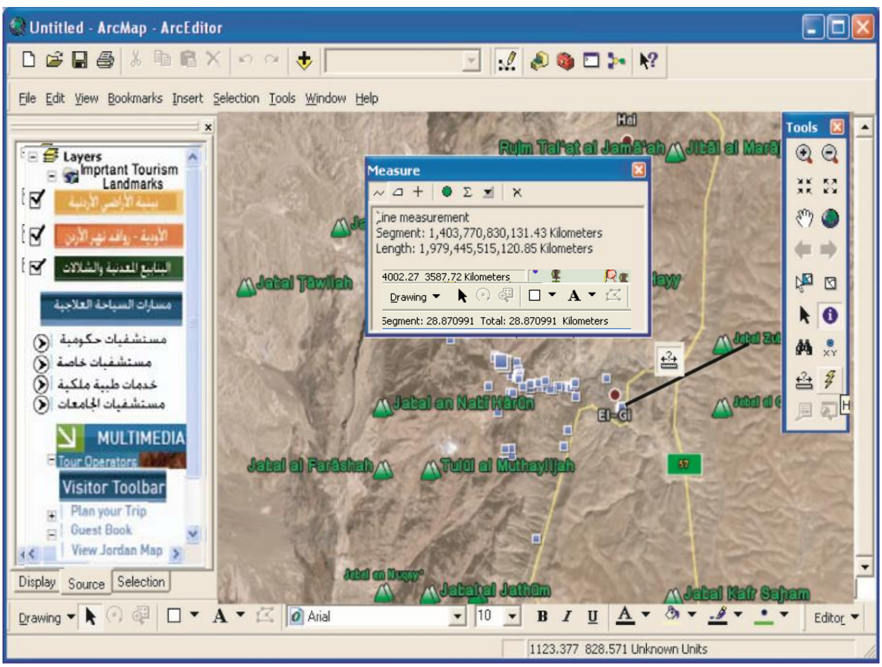


المصدر : إعداد الباحث اعتماداً على استخدام برمجية ARCGIS9.2

تحليل شبكة الطرق Network Analysis وإيجاد أقصر طريق بين ظاهرتين أو معلمين سياحيين .

يتم ذلك باستخدام الأداة Add Edge Flag Tool، حيث يتم وضع Flag في المكان المراد التحرك منه ، ثم Flag آخر في المكان المراد الذهاب إليه ، ثم اختيار الأداة Solve عندها يقوم النظام برسم المسار الواصل بين الموقعين ،ويمكن الاختيار للمسار بشروط معينة كأن يتم الطلب من النظام اختيار اقرب أو أسرع مسار بين ظاهرتين أو معلمين سياحيين .كما يتضح بالشكل (6) .ويتم ذلك باستخدام الأداة Measure ،وتظهر هذه المسافة على الشاشة كالآتي:

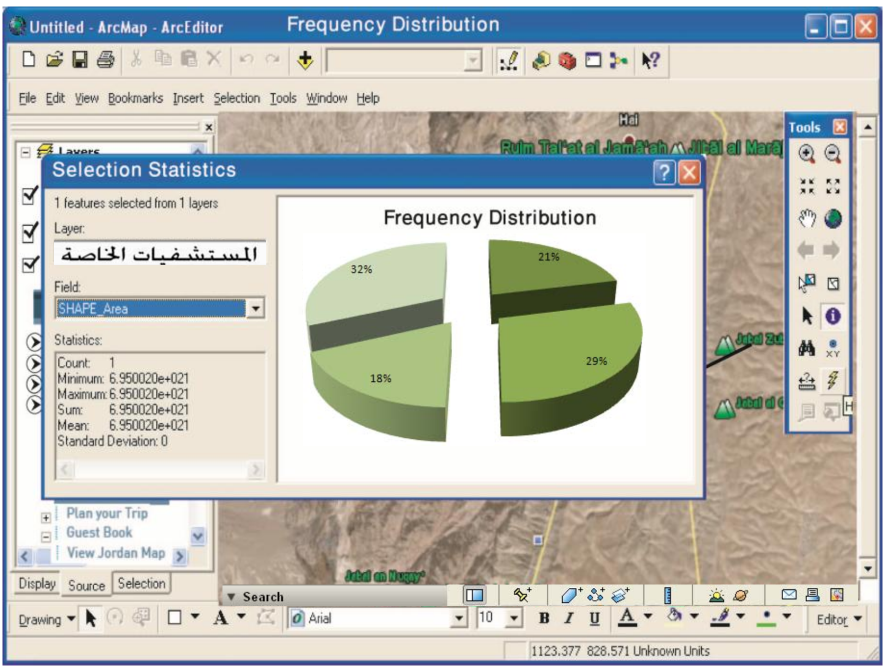
الشكل (6)



المصدر : إعداد الباحث اعتماداً على استخدام برمجية ARCGIS9.2

يوفر النظام المقترح إمكانية القيام ببعض العمليات الإحصائية مثل حساب عدد المستشفيات التي تتبع تصنيف معين ،عن طريق الأمر Count،بما يحتويه من تحديد للحد الأدنى Minimum، والحد الأقصى Maximum، والمجموع Sum، والمتوسط Average، والانحراف المعياري Standard Deviation أو اختيار الحقل X من الجدول وضربه في المعامل I ثم جمعه على المعامل N وإظهار النتيجة في حقل جديد باسم المساحة الإجمالية مثلا مع إمكانية تمثيل ذلك بيانيا، كما يتضح بالشكل (7) .

الشكل (7)



المصدر : إعداد الباحث اعتماداً على استخدام برمجية ARCGIS9.2

العمليات الإحصائية التي يقوم بها النظام المقترح

وبمكن تكبير أي من الأماكن في الخريطة السياحية باستخدام الأداة Magnifier حيث يتم بهذه الأداة تكبير الظاهرة أو المعلم إلى 400% ، كما يتضح بالشكل (8) .

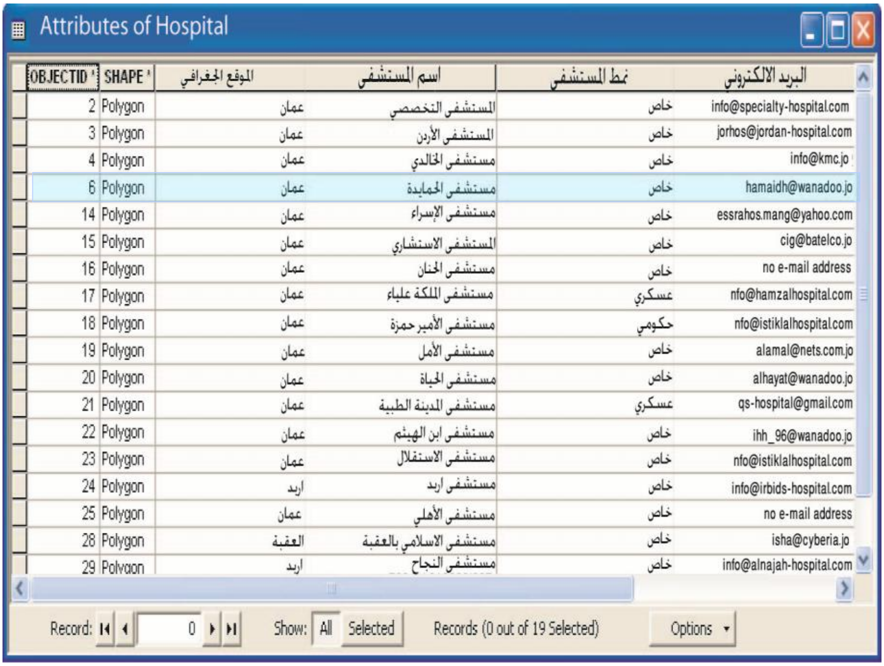
الشكل (8)



إمكانية التكبير باستخدام الأداة Magnifier

بالإضافة لإمكانية التعديل في المعالم الجغرافية ويتبعها تعديل في الجداول الخاصة بها تلقائياً في قاعدة البيانات أو العكس التعديل في الجداول ويتبعه تعديل في الظواهر الجغرافية. كما يتضح بالشكل (9).

الشكل (9)



Attributes of Hospital

OBJECTID	SHAPE	الموقع الجغرافي	اسم المستشفى	نمط المستشفى	البريد الالكتروني
2	Polygon	عمان	المستشفى التخصصي	خاص	info@specialty-hospital.com
3	Polygon	عمان	المستشفى الأردن	خاص	jorhos@jordan-hospital.com
4	Polygon	عمان	مستشفى الخالدي	خاص	info@kmc.jo
6	Polygon	عمان	مستشفى الحمايدة	خاص	hamaidh@wanadoo.jo
14	Polygon	عمان	مستشفى الإسراء	خاص	essrahos.mang@yahoo.com
15	Polygon	عمان	المستشفى الاستشاري	خاص	cig@batelco.jo
16	Polygon	عمان	مستشفى الحنان	خاص	no e-mail address
17	Polygon	عمان	مستشفى الملكة علياء	عسكري	nfo@hamzalhospital.com
18	Polygon	عمان	مستشفى الأمير حمزة	حكومي	nfo@istiklalhospital.com
19	Polygon	عمان	مستشفى الأمل	خاص	alamal@nets.com.jo
20	Polygon	عمان	مستشفى الحياة	خاص	alhayat@wanadoo.jo
21	Polygon	عمان	مستشفى المدينة الطبية	عسكري	qs-hospital@gmail.com
22	Polygon	عمان	مستشفى ابن الهيثم	خاص	ihh_96@wanadoo.jo
23	Polygon	عمان	مستشفى الاستقلال	خاص	nfo@istiklalhospital.com
24	Polygon	اربد	مستشفى اربد	خاص	info@irbids-hospital.com
25	Polygon	عمان	مستشفى الأهلي	خاص	no e-mail address
28	Polygon	العقبة	مستشفى الاسلامي بالعقبة	خاص	isha@cyberia.jo
29	Polygon	اربد	مستشفى النجاح	خاص	info@alnajah-hospital.com

المصدر : إعداد الباحث اعتماداً على استخدام برمجية ARCGIS9.2

إمكانية التعديل في المعالم الجغرافية

يزودنا النظام المقترح ، بإمكانية عرض المعالم السياحية مصحوباً بمساعدة Tips عند الوقوف على احد الظواهر أو المعالم يظهر اسمه أو مساحته أو عنوانه ،حسب ما يريد السائح أن يظهر كما يتضح بالشكل (10) .

الشكل (10)



المصدر : إعداد الباحث اعتماداً على استخدام برمجية ARCGIS9.2

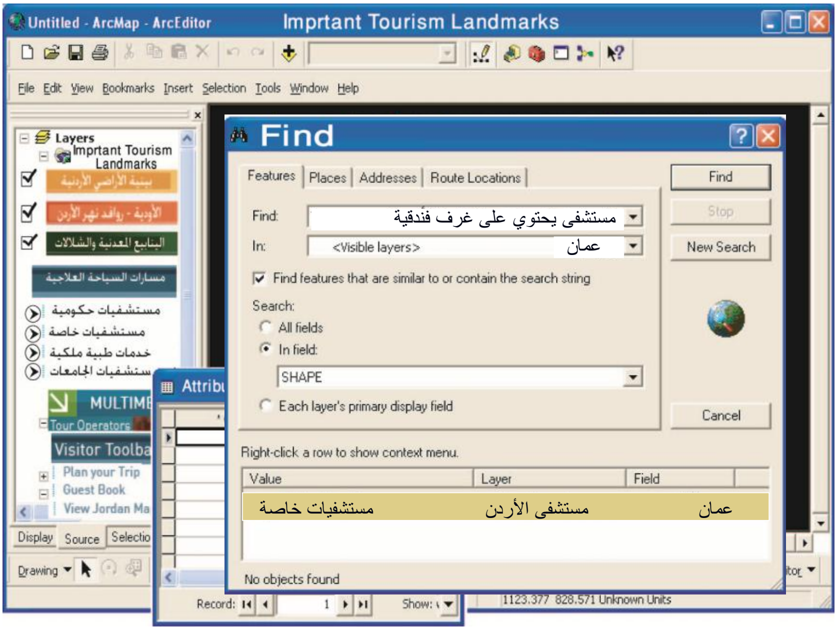
ظهور اسم حمامات متعين من خلال الأمر Tips

إيجاد ظاهرة أو معلم بعينه Locate A specific Feature or Attribute

.

ويتم ذلك باستخدام الأداة Find ،حيث يظهر للسائح صندوق حوار يطلب من السائح إدخال المعلم السياحي الذي يريد البحث عنه، وبعد إيجاد المعلم يتيح النظام للسائح مجموعة اختيارات تتمثل في Flash Feature أو Select Feature أو Zoom to Feature وأ Identify Feature أو Unselect Feature.كما يتضح بالشكل (11) والذي يوضح إيجاد احد المعالم على الخريطة مع عمل تحديد Select له وكذلك Zoom to Feature كالآتي :

الشكل (11)



المصدر : إعداد الباحث اعتماداً على استخدام برمجية ARCGIS9.2

النتائج

1.من الأفضل عدم تطبيق نظم المعلومات الجغرافية لكل المواقع السياحية في الأردن على مرحلة واحدة ،وإنما يجب أن يكون هناك إستراتيجية واضحة لتطبيق هذا النظام ،تتعاون فيها مختلف الهيئات التي يمكن أن تقدم الدعم لتصميم وتعميم خطة عمل هذه النظم ، وملامح هذه الخطة كما يراها الباحث :

أولاً :تحديد المواقع السياحية في الأردن ،والتي يلزم تواجدها على الخريطة السياحية.

ثانياً : تحديد المواضع السياحية التي توجد داخل المواقع السياحية التي يلزم تواجدها على الخريطة السياحية لكل موقع من المواقع السياحية في الأردن .

ثالثاً : تصميم وتجهيز قاعدة البيانات الجغرافية باستخدام نظم المعلومات الجغرافية للمواقع السياحية في الأردن .

رابعاً : طرح النظام الذي تم تصميمه لكل موقع سياحي على حدا ،أو لكافة المواقع السياحية في الأردن على شبكة الانترنت ،باستخدام برمجية ARCIMS.

خامساً : توفير هذا النظام على شكل Hard Copy خرائط ورقية أو أطالس للمواقع السياحية كلها أو لكل موقع لوحده ، أو للأردن كلها .

سادساً : إنشاء بنك للمعلومات الجغرافية يتبع كل موقع سياحي ، يكون الهدف منه توفير كافة البيانات السياحية الحديثة عن أي موقع سياحي ، من خرائط ورقية أو رقمية بمقاييس رسم مختلفة، محدد عليها كافة المقومات السياحية البشرية والطبيعية والطرق.

2 - تبين من خلال نتائج الدراسة أهمية استخدام نظم المعلومات الجغرافية في تأهيل وإدارة السياحة العلاجية وهذا نابع من قدرة نظم المعلومات الجغرافية على حل الكثير من المشكلات من خلال الأمثلة التطبيقية التي تم التطرق إليها حول استخدام نظم المعلومات الجغرافية في مجالات تسويق السياحة العلاجية في الأردن .

3. بما أن للسياحة العلاجية أهمية بيئية واقتصادية، فإن استخدام نظم المعلومات الجغرافية في تسويقها يسهم في الحفاظ على خصائصها، وفي الاستفادة من أهميتها الاقتصادية .

4. استخدام الوسائل والطرق التقليدية في إدارة وتسويق مواقع السياحة العلاجية يحتاج إلى جهد ووقت كبير مقارنة مع استخدام الوسائل المعتمدة على نظم المعلومات الجغرافية باعتماده على الصور الجوية والفضائية والخرائط الطبوغرافية بدقة عالية ، وإجراء التحليلات والوصول إلى نتائج دقيقة في فترة زمنية قصيرة جداً إذا ما قورنت بالمدة الزمنية اللازمة عند تسويق أي موقع سياحي علاجي ، ولكن التسويق باستخدام نظام المعلومات الجغرافي يحتاج في

الوقت نفسه إلى الجمع بين الفكر التسويقي والخبرة في استخدام الحاسوب ، والقدرة على استخدام برمجيات نظم المعلومات الجغرافية.

5. يستطيع نظم المعلومات الجغرافية القيام بالعديد من المهام في مجال تسويق مواقع السياحة العلاجية ، من خلال استخدام الخرائط متعددة الأغراض Multi Map ذات الصورة والصوت إلى جانب إمكانية النظام في إجراء التحليلات الإحصائية المختلفة وتحليل شبكات الطرق .

6. إن تطبيق نظم المعلومات الجغرافية في تسويق مواقع السياحة العلاجية ، يمتاز بتوفر كماً هائلاً من المعلومات ، بالتالي يحتاج إلى طرق غير تقليدية في التعامل معها ، وقد بينت الدراسة أهمية استخدام نظم المعلومات الجغرافية في ذلك.

التوصيات

1- أن يتم التوسع في الاعتماد على نظم المعلومات الجغرافية كأداة تطبيقية في كل مجالات إدارة وتسويق مواقع السياحة العلاجية، وذلك لما يمتلكه نظام المعلومات الجغرافي من مزايا تقنية متعددة، ولقدرته في حل الكثير من المشكلات المعقدة التي تواجه المخططين.

2. يحتاج نجاح التطبيق الواسع لنظم المعلومات الجغرافية في تسويق مواقع السياحة العلاجية إلى تهيئة الأرضية المناسبة لها، فلابد من إحداث نوعاً من التكييف من حيث إعادة صياغة النظم الإدارية، و إجراءات العمل التسويقي، بما يتناسب مع منهجية نظم المعلومات الجغرافية. كما يحتاج ضرورة توفير التمويل اللازم للأتمتة الحاسوبية، وإجراء التدريب المطلوب للقوى البشرية للتعامل مع تكنولوجيا المعلومات.

3. إن الاهتمام بتطبيق نظم المعلومات الجغرافية يتطلب بضرورة أن يتم ذلك بشكل متوازي مع الاهتمام والتوسع في استخدام تقنية الاستشعار عن بعد. حيث تعتبر تلك التقنية أداة هامة لنظام المعلومات الجغرافية، وخاصة أن صور الأقمار الصناعية تمثل الأساس الفوتوغرافي التفصيلي الذي يشكل الطبقة الأساسية الأولى لنظم المعلومات الجغرافية.

4. إنشاء مركز لنظم المعلومات الجغرافية في مواقع السياحة العلاجية يتم تزويدها من قبل المؤسسات بالخرائط الرقمية والمعلومات الوصفية. ويقوم هذا المركز بالربط الالكتروني بين المؤسسات.

5. من الضروري وضع منهجية واضحة Terms of Reference لاستخدام نظم المعلومات الجغرافية في عمليات تسويق السياحة العلاجية في الأردن ، وقد حاولت الدراسة الوصول إلى منهجية واضحة لتطبيق نظام مقترح يعتمد على تكنولوجيا نظم المعلومات الجغرافية معتمداً على دراسة مواقع السياحة العلاجية وتطويرها سياحياً.

References

1. **Harmsworth, G.R. 2006a: Māori values for land-use planning. *Broadsheet, newsletter of the New Zealand Association of Resource Management, February 1997*. Pp 37–52.**
2. **http://www.landcareresearch.co.nz/research/social/nzarmwebpap.asp**
3. **Walker, D. 2005: GIS Hui held 12-13 April 2005. Memo to the Motueka Iwi Resource Management Advisory Komiti (MIRMAK): Filenotes on GIS workshop held at Te Awhina Marae, Motueka, 12-13 April 2005. 2 p.**
4. **Barndt, M. 2004: Public participation GIS-barriers to implementation, *Cartography and Geographic Information Systems*, 25(2), 105–112.**
5. **Barr, J.J.F.; Dixon, P-J. 1998: Incorporating farmers' and fishers' knowledge into natural resources systems research on the Bangladesh Floodplains.**
6. **http://www.taa.org.uk/barrdone.htm**
7. **Bartolo, R.E.; Hill, G.J.E. 2008: Remote sensing and GIS technologies as a decision making tool for indigenous land management: a case study from northern Australia. *Indigenous Knowledge and Development 9(1)*: 8-11.**
8. **Netherlands Organisation for International Cooperation in Higher Education (Nuffic)**
9. **http://www.landcareresearch.co.nz/research/social/ikdmpap.asp**
10. **Crerar, J.M 1998: The use of remote sensing and GIS by indigenous people for natural resource management. Paper presented at the 9th Australasian Remote Sensing and Photogrammetry Conference Sydney, 20–24 July 1998. University of New South Wales.**
11. **Gardner, J. 2007: First nations cooperative management of Protected Areas in British Columbia: Tools and foundation.**

Dovetail Consulting. Nativemaps.org. Aboriginal mapping network, Canada.

12. **Gibson, C. 2006: Cartographies of the colonial/capitalist state: a geopolitics of indigenous self-determination in Australia. *Antipode 31*(1): 45–79.**
13. **Harmsworth, G.R. 2006: Indigenous values and GIS: A method and framework. *Indigenous Knowledge and Development Monitor*. Vol. 6(3): 3–7.**
14. **Netherlands Organisation for International Cooperation in Higher Education (Nuffic)**
15. **http://www.landcareresearch.co.nz/research/social/ikdmpap.asp**
16. **Jordan, G. 2003: A public participation GIS for community forestry user groups in Nepal: Putting people before technology. Paper presented at the NCGIA Specialist Meeting: Empowerment, Marginalization and Public Participation GIS, Santa Barbara, California, 15–17 October 2003, http://www.ncgia.ucsb.edu/varenius/ppgis/papers/**
17. **Lawas, C.M., Luning, H.A., 1996: Farmers knowledge and GIS. *Indigenous Knowledge and Development Monitor 4(1)*. pp 8-11.**
18. **http://www.nuffic.nl/ciran/ikdm/4-1/articles/lawas.html**

الفنون

الدلالة والمضمون في تصميم الملصق الإرشادي

شعرية الجسد في بنية الفضاء المسرحي

الدلالة والمضمون في تصميم الملصق الإرشادي

الباحث

الدكتور معتز عناد غزوان

مدرس -/ قسم التصميم – الفرع الطباعي
بغداد
2010م

الفصل الأول: الإطار المنهجي

أولاً: مشكلة البحث:

يعد الملصق الإرشادي أحد أهم أنواع الملصقات التي تؤثر من خلال مكوناتها الفنية وعناصرها التيبوغرافية والطباعية بشكل مباشر وغير مباشر في الرأي العام والخاص، الذي يكون بدوره متحولاً بين الحين والآخر مع التغيرات البيئية التي تتكون من عوامل أربعة هي العامل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي. من هذا المنطلق وفي خضم التعقيدات والتحولات التي يشهدها العالم في معظم جوانب الحياة، ولاسيما بما يرتبط ومتطلبات الحياة الإنسانية التي تشكلها العوامل البيئية الأربعة الأنفة الذكر، فتأثيرها سيكون مباشراً في تصميم الملصق ولاسيما الملصق الإرشادي.

تؤدي الدلالة بمفهومها الفني ولاسيما في التصميم دوراً مهماً يكمن في تحريك التصميم بما يتلاءم مع الفكرة والمعنى والاستجابة من خلال الرمز المؤثر في متلقيي التصميم ولاسيما الملصق الإرشادي، فضلاً عن أن الدلالة في الملصق الإرشادي تتحرك من خلال الرمز واللون والشكل والحجم وغيرها، كما أن للمضمون الفكري للملصق الإرشادي ولاسيما الصحي منه دوراً مهماً أيضاً، ولاسيما في الكشف عن الهدف وتوصيل الفكرة المعروضة إلى المتلقي بمختلف توجهاته الفكرية والاجتماعية وغيرها.

مما تقدم فان العالم اليوم يواجه العديد من التحديات التي تفرضها البيئة على المجتمع، ليكون دور الملصق الإرشادي الصحي بمثابة الموجه الفعال لهذا المجتمع من حيث المحتوى والهدف والشكل والمضمون، ولعل ما يواجه العالم اليوم من مخاطر كانتشار الأنفلونزا الوبائية (أنفلونزا الخنازير) التي تعد مرض العصر وما يشكله هذا المرض من خطر على حياة الإنسان،

يتطلب التوجيه والإرشاد من اجل الوقاية منه في اقل تقدير. فمشكلة البحث هذا تكمن في:

هل تؤثر عناصر الدلالة والمضمون في طرح الفكرة للملصق الإرشادي لغرض الوقاية من هذا المرض الخطير؟

ومالذي تؤديه العلاقة مابين عناصر الدلالة في الملصق الإرشادي الصحي والمضمون الفكري من نتائج ملموسة على ارض الواقع؟

وكيف يكون دور المضمون الفكري والدلالة بوصفهما علاقة مترابطة مع بعضها في تحفيز المتلقي للوقاية من هذا المرض الخطير ونشر التوعية بشكل يضمن وصول الرسالة (تصميم الملصق) بشكل مباشر إلى المتلقي ونجاح عملية الاتصال؟

ثانياً: أهمية البحث:

يعد هذا البحث مهما في كونه يسهم في تحفيز المتلقي من خلال الملصق الإرشادي للوقاية من مرض خطير كالأنفلونزا الوبائية كما يصطلح عليها حالياً، والتنبيه لمخاطر هذا المرض من خلال مكونات الملصق من العناصر التيبوغرافية والتقنيات التنفيذية.

ثالثاً: هدف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحديد الكيفية في تصميم الملصق الإرشادي من حيث عناصر الدلالة والمضمون الفني من اجل توعية المتلقي للوقاية من هذا المرض الخطير.

رابعاً: حدود البحث:

يمكن تقسيم حدود البحث الحالي إلى ما يأتي:

1- الحدود الموضوعية: دراسة الدلالة والمضمون في تصميم الملصق الإرشادي المعاصر.
2- الحدود الزمانية: 2009م- 2010م.
3- الحدود المكانية: الملصق الإرشادي العربي من خمسة دول عربية وهي (العراق، مصر، الأردن، البحرين، المملكة العربية السعودية)، وهي دول تعاني من انتشار واسع لهذا الوباء، وهذا الملصق صادر بشكل رسمي من وزارة الصحة في كل منها.

خامساً: تحديد المصطلحات:

يمكن تحديد المصطلحات في هذا البحث وكما يأتي:

1- الدلالة (Signification):

أ- لغةً: جاء هذا اللفظ من باب (دلل)، والدليل ما يستدل به والدليل الدال أيضاً، وقد (دله) على الطريق يدله بالضم، (دلالة) بفتح الدال وكسرها[41].والدلالة علم الدليل ورسوخه[42].

ب- اصطلاحاً: توجد العديد من التعريفات لهذا المصطلح، فالدلالة هي أن يلزم من العلم بالشيء علم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول، فإذا كان الدال لفظاً كانت الدلالة لفظية، وان كان غير ذلك، كانت الدلالة غير لفظية، وكل واحدة من اللفظية وغير اللفظية تنقسم إلى عقلية، وطبيعية، ووضعية[43].

2- المضمون (Content):

أ- لغةً: يأتي اسم (المضمون) من باب (ضَمَن)، أي أشتمل عليه[44].

ب- اصطلاحاً: يعد المضمون في المفهوم الاصطلاحي بأنه المحتوى أو الوحدة التركيبية، والمضمون هو الموضوع وهو الأساس المهم الحامل لوجهة النظر، كما أن اتحاد المضمون مع الشكل أو العكس يخدم القضايا الفكرية على درجة عالية، ويؤلف الانسجام بينهما، وهو ما يعكس الحياة في الفن من صدق وإخلاص[45]. أما المضمون في التصميم الطباعي فهو لا يكون بمعزل عن الشكل (التصميم) ويرتبط به ارتباطاً وثيقاً من خلال دلالاته المختلفة المؤلفة لرسالته البصرية الموجهة إلى مجتمع معين، فالمضمون يسير جنباً إلى جنب مع التصميم فهو المحتوى والموضوع الذي يكشف عن الهدف المكنون وراء الشكل (التصميم).

3- الملصق الإرشادي الصحي (Healthy Guide Poster):

يعد الملصق الإرشادي الصحي أحد وسائل الاتصال الجماهيرية التي ترتبط بالخدمات الصحية التي تقدمها المؤسسات أو الجهات الرسمية الصحية، فضلاً عن نشر الوعي الصحي وفق الأساليب الإخراجية المرتبطة بالعناصر

1- الرازي- محمد بن أبي بكر عبد القادر/ مختار الصحاح، دار الرسالة، (الكويت: 1982م)، ص209.

2- الفيروزآبادي/ القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط3، (بيروت:1993م)، ص1292.

3- جميل صليبا/ المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، (بيروت:1982م)، ص563. وأنظر: سعيد علوش/ معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، (بيروت:1985م)، ص91.

4- الفيروزآبادي/ القاموس المحيط، ص1564.

5- كمال عيد/ فلسفة الأدب والفن، الدار العربية للكتاب، (تونس:1978م)، ص288-289.

التيبوغرافيـة (كالصـور والرسـوم) أو التعبيـر بالكلمـات والمعـاني[46]. ويعـد الملصـق الإرشـادي الصـحي أحـد أنـواع فـن الملصـق (Poster Art) الـذي يكون موجهـا إلـى المجتمـع كرسالة بصـرية ذات خطـاب يعتمد علـى التوجيـه والحث والإرشاد الصحي ولاسيما الوقاية من الأمراض الوبائيـة التـي تواجـه الإنسان المعاصر.
الملصق الإرشادي الصحي هو احد أنواع الملصقات الإرشادية الأخرى ذات الأغراض التـي تختلف فـي ميدان عملهـا عـن الميدان الصـحي، كالملصـقات الإرشـادية التعليميـة والتربويـة والتعبويـة التـي تـدعو إلـى اخـذ وسـائل الـدفاع والحذر من وقوع الكوارث أو المتفجرات أو الحرائق وغيرها.

الفصل الثاني: الإطار النظري والدراسات السابقة

أولاً: الإطار النظري:
المبحث الأول: الملصق الإرشادي وتأثيره في المجتمع:
يعد الملصق الإرشادي نوعاً من الملصقات الأكثر تماساً مع الفرد والمجتمع نظراً أنه يعالج قضية تخص المجتمع بشكل مباشر ويحث المتلقي إلـى إتبـاع الطرق السليمة والمنطقيـة فـي الوقايـة والاحتـراز والحمايـة، لان الإرشـاد مـن شأنه أن يمنع حدوث الخطر والتنبيه لـه مسبقاً، لذلك يراعـي مصـمم الملصـق الإرشـادي هـذه التوجهـات وفـق الموضـوع المحـدد وتوجيـه الفكـرة للمتلقـي والمجتمع بصـورة عامـة. كمـا فـي توجيـه المتلقـي للابتعـاد عـن التـدخين كونـه يسـبب الإمـراض الخطيـرة للإنسـان وحـث المجتمـع للإقـلاع عنـه. لقد أراد المصـمم إرشـاد المجتمـع إلـى خطـر التـدخين علـى صـحة الإنسـان مـن خـلال استعماله العديـد مـن المفـردات كـأن يقـارن بـين رئـة الشـخص غيـر المـدخن الصـافية، ورئـة الشـخص المـدخن السـوداء، كمـا يمثـل شـكل السـيجارة بأنهـا سـجن لتـدمير الصـحة. يـرتبط الملصـق الإرشـادي علـى وجـه التحديـد بالبيئـة الاجتماعيـة وتحولاتهـا، إذ إن العلاقـة مـا بـين الملصـق الإرشـادي والبيئـة الاجتماعيـة علاقـة وطيـدة ولاسـيما مـا يـرتبط بـالقيم الإنسـانية والمعتقـدات والعادات والتقاليد، إذ يـؤدي الملصـق الإرشـادي هـدفين مهمـين للمجتمـع كمـا يـأتـي:
1- الهـدف التـوجيهي: ويقصد بـه التوجيه نحو سلوك صـحي محـدد علـى شـكل حملـة إعلاميـة وترويجيـة كمعالجـة الحـالات المرضـية المعديـة أو الميـاه غيـر

1- العزاوي- نبيل احمد فؤاد/ واقع تصاميم الملصقات الإرشادية الصحية وإمكانية تطويرها، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون الجميلة/ جامعة بغداد،(بغداد: **2004**م)، ص**5**

الصالحة للشرب، وتنظيم الأسرة وحملات التلقيح والحث على الرضاعة الطبيعية وإرشاد الأم وحملات الوقاية والتنبيه من مرض الأنفلونزا وكذا هو الحال مع مرض الأنفلونزا الوبائية• (أنفلونزا الخنازير H1N1) التي تهدد حياة الملايين من البشر، كما عد هذا المرض الآن مرض العصر.

2- الهدف التربوي: يهدف إلى تحفيز المجتمع الذي يعاني من نسبة كبيرة من التخلف إلى حل مشاكله الصحية بالانتباه إلى طرق الوقاية والعلاج لتجنب المشاكل الصحية التي تصيب الإنسان في حالة عدم وجود التوعية اللازمة[47]. لذلك يلجأ المصمم إلى إعداد تصاميم إرشادية صحية توجه بالوقاية من هذا الوباء وخطوات تلك الوقاية باستعمال صور ورسوم واضحة ومباشرة للمتلقي.

يرتبط الملصق بجميع أنواعه بالرأي العام والجمهور الواسع غير المحدد بزمان ولا مكان، إذ تعد فكرة الملصق موجهة بشكل واسع المدى إلى المتلقي باختلاف مرجعياته ومعتقداته القومية والدينية والسياسية والفكرية. إذ ترتبط الملصقات الإرشادية بشكل عام بكافة الأفكار والخدمات والتوجهات ومجالات الحياة الاجتماعية المختلفة كالتعليم وتنظيم الأسرة والدفاع المدني

• **أنفلونزا الخنازير (بالإنجليزية: Swine influenza أو swine flu أو hog flu أو pig flu) هو أحد أمراض الجهاز التنفسي التي تسببها فيروسات أنفلونزا تنتمي إلى أسرة أورثوميكسوفيريداي (بالإنجليزية: Orthomyxoviridae) التي تؤثر غالباً على الخنازير. هذا النوع من الفيروسات يتسبب بتفشي الأنفلونزا في الخنازير بصورة دورية في عدد من الدول منها الولايات المتحدة والمكسيك وكندا وأمريكا الجنوبية وأوروبا وشرق آسيا. فيروسات أنفلونزا الخنازير تؤدي إلى إصابات ومستويات مرتفعة من المرض، لكنها تتميز بانخفاض معدلات الوفاة الناتجة عن المرض ضمن الخنازير. وحتى عام 2009 تم التعرف على ستة فيروسات لأنفلونزا الخنازير وهي فيروس الأنفلونزا ج وH1N1 وH1N2 وH3N1 وH3N2 وH2N3. وتبقى هذه الفيروسات منتشرة ضمن الخنازير على مدار العام، إلا أن معظم حالات الانتشار الوبائية ضمن الخنازير تحدث في أواخر الخريف والشتاء كما هو الحال لدى البشر. كان انتقال فيروس أنفلونزا الخنازير للإنسان نادرا نسبياً وخاصة أن طبخ لحم الخنزير قبل استهلاكه يؤدي إلى تعطيل الفيروس. كما أن الفيروس لا يسبب أعراض الأنفلونزا للإنسان في معظم الأحيان ويتم معرفة إصابة الشخص بالمرض فقط بتحليل تركيز الضد في الدم. إلا أن احتمالية انتقال فيروس أنفلونزا الخنازير من الخنازير إلى البشر قد زادت مؤخراً نتيجة التحويرات الجينية التي حدثت في دنا الفيروس، وعادة ما تصيب العدوى الأشخاص العاملين في مجال تربية الخنازير فقط حيث يكون هناك اتصال مستمر مما يزيد من احتمالية انتقال الفيروس. منذ منتصف القرن العشرين تم تسجيل خمسين حالة بشرية مصابة بفيروس أنفلونزا الخنازير، وعادة تكون أعراض العدوى مشابهة لأعراض الأنفلونزا الشائعة كاحتقان البلعوم وارتفاع حرارة الجسم وإرهاق وآلام في العضلات وسعال وصداع. وما يزال هذا المرض يعد من الأمراض الخطيرة العصرية، إذ عد هذا المرض وباءً عالمياً. ينظر: www. wikipedia.org**

1– العزاوي/ واقع تصاميم الملصقات الإرشادية ، ص9.

والإسعافات الأولية وإدارة المرور والمركبات والشؤون المتعلقة بالتنمية الصناعية والزراعية وغيرها من الأمور المهمة في تقدم أية دولة متحضرة.
مما تقدم نستطيع أن نحدد وظيفة الملصق الإرشادي الصحي التي تتلخص في كونها وسيلة شد وجذب بصري للمتلقي وإدراكه للمعلومات من اجل الحصول على المعرفة واتخاذ الإجراءات الوقائية لمنع حدوث الخطر كالأمراض الفتاكة أو تدابير وتحذيرات عن مناطق انفجار الألغام أو المحافظة على البيئة[48]. لذا فان من واجبات المصمم الطباعي معرفة الواقع الاجتماعي والثقافي اللذين يرتبطان معاً من الناحية الفكرية والمعرفية بالملصق الإرشادي بشكل عام نظراً لما تحمله مكونات الملصق من رموز ذات دلالات تاريخية واجتماعية ومن ثم تكون وظيفة الملصق مباشرة وواضحة وناجحة[49]. إن الهدف الرئيس لهذه العملية الاتصالية المهمة هي تحقيق استجابة واضحة لدى المتلقي ووصول المعلومات وتحقيق الأهداف المطروحة من خلال الفكرة وقوة الإخراج الفني للملصق، فضلاً عن بساطة مكوناته أو عناصره الفنية البنائية. على ضوء ذلك فان الفكرة هي المحرك الأساسي لنجاح الملصق ولاسيما الملصق الإرشادي، إذ لابد أن تتوفر معلومات يراد توجيهها إلى الجمهور (المجتمع) كرسالة بصرية مهمة تحث المتلقي على الأخذ بها وتطبيق مضامينها ولاسيما الانتباه إلى التوجيهات ذات المضامين المختلفة.

المبحث الثاني: العناصر التيبوغرافية في تصميم الملصق الإرشادي الصحي:

يحدد الهدف الرئيس في تصميم الملصق الإرشادي ولاسيما الملصق الإرشادي الصحي في إرسال رسالة بصرية ذات أهداف تعليمية توجيهية فاعلة تؤثر في الفرد (المتلقي) والمجتمع، إذ يؤدي الملصق الإرشادي الصحي دوراً كبيراً في تحديد الأضرار التي تخلفها الأمراض الوبائية والفتاكة وترشد المتلقي لاتخاذ التدابير اللازمة للوقاية منها ومنع حدوث وانتشار الوباء بين أبناء المجتمع. تتجسد الوظيفة الأساسية للملصق الإرشادي الصحي في تثقيف المجتمع وتوعيته, أما الهدف الرئيس للملصق الإرشادي الصحي فيكون تربوياً وتوجيهياً بالدرجة الأولى، يتحدد ذلك الهدف من خلال الفكرة والمضمون الذي يحتويه الملصق[50].
مما تقدم لابد من معرفة أثر العناصر التيبوغرافية التي تسهم في بناء الملصق فنياً وتحقيق الترويج له وتقرب فكرته إلى المتلقي من حيث الأسلوب الفني للتنفيذ وأسلوب التقنيات الإخراجية التي يطبع أو ينفذ بها الملصق, إذ تشكل

2- عساف محمود/ أصول الإعلان، دار النشر العربي، (القاهرة:**1977**م)، ص**30**.

1- عبد الله / فن التصميم، ص**211**.

2- العزاوي/ واقع تصاميم الملصقات الإرشادية ، ص**16**.

الصور والرسوم والوسائل الإيضاحية المرئية الأخرى الدور الكبير في إضفاء نوع من الجاذبية والجمالية من خلال توليفها مع الكلمات والأشكال والخطوط والألوان والانطباعات التصويرية والمكتوبة، لتعطي التصميم شكله النهائي وكأنه كل واحد وليس أجزاء منفصلة[51]. فالعناصر التيبوغرافية كالصور والرسوم والنصوص الكتابية والعناوين تسهم في إدراك مكونات الملصق الإرشادي الصحي، تكون تلك العناصر التيبوغرافية كما يأتي:

1- الصورة الطباعية: تعد الصورة الطباعية من أهم العناصر التيبوغرافية في تصميم الملصقات بصورة عامة والملصق الإرشادي الصحي بصورة خاصة، فالصورة تدعم الموضوع والفكرة ومضمونها الفكري والدلالي من خلال قوة تأثيرها ووضوحها وما تحدثه من تأثيرات نفسية عند النظر إليها.

ترتبط عملية توزيع الصور في تصميم الملصق بهدف جذب المتلقي بصرياً إلى الفكرة الوظيفية والجمالية، فالصورة ذات الحجم الكبير تكون أكثر تأثيراً على المتلقي ولاسيما في جذب الانتباه[52]. فالصورة الطباعية في الملصق الإرشادي الصحي ذات تأثير مباشر في المتلقي لاحتوائها على طاقة تعبيرية عالية تتسم بخطابها للعوامل النفسية والفسيولوجية، لذا لابد أن يكون المصمم حريصاً في استعمال الصورة، فالملصق الإرشادي الصحي الموجه لتحذير الأطفال من مرض الأنفلونزا الوبائية لابد أن تكون الصورة الطباعية فيه والموجهة للأطفال مختلفة عن الصورة الموجهة إلى البالغين وكبار السن، إذ يختار المصمم بعض الشخصيات الكارتونية المعروفة عند الطفل واستعمالها لإيضاح الأمر الخطير لشد انتباههم نحو الفكرة، إذ نلاحظ أن المصمم قد استعمل بعض الشخصيات الكارتونية المعروفة لدى الطفل وألبسهم الكمامات وعزل صديقتهم الخنزيرة الوديعة التي اتسم دورها في تلك الأفلام بالمحبة والسلام والصداقة، وكأن الأمر الخطير وصل بهم إلى الابتعاد عنها لكونها تسبب لهم المرض المميت والقاتل، لتحذير الأطفال وإرشادهم وحثهم على ارتداء الكمامات للحد من انتشار الوباء،

كما يختلف هذا النوع من الصور عن الصور المستعملة عند الكبار في توجيه الأفكار والإرشاد للمرض الوبائي فيكون استعمال صور مباشرة وواضحة ذات طاقة تعبيرية، وكذلك استعمال الصور الأخرى للتنبيه نحو خطر التدخين بالنسبة للحوامل.

1- العلاق- بشير/ الإبداع والابتكارية في الإعلان مدخل تطبيقي، دار اليازوري، (عمان:**2009**م)، ص**157**.

2- النوري- عبد الجليل مطشر محسن/ التنوع التقني ودوره في إظهار القيمة الجمالية التصميمية في الملصقات ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون الجميلة/ جامعة بغداد،(بغداد: **2002**م) ، ص**58**.

مما تقدم فان وظيفة الصورة رمزية بالدرجة الأولى، تعبيرية وواقعية لتكون أكثر صدقاً وتقريباً للحدث وآثاره الخطيرة، فالصورة لها السلطة الكبيرة لما تحمله من نفوذ يستند إلى الواقع[53]. كما أنها تؤشر وتحدد الخطر الكبير على صحة الإنسان بشكل عام، إذ تعد الصور في التصميم بمثابة النص الكتابي فوظيفتها قد تفوق قوة تعبير النص الكتابي لارتباطها بالرمز والدلالة.

2- الكتابة والرسوم: تعد النصوص الكتابية وحروفها الطباعية التي تختلف باختلاف اللغة مهمة جداً في التصميم بشكل عام والملصق الإرشادي الصحي بشكل خاص، إذ تمتلك الكتابة خصائص معينة من حيث الشكل والمضمون، تكون الحروف الطباعية من العناصر التيبوغرافية المهمة التي لا يمكن الاستغناء عنها في التصميم،إذ تشكل الكتابة عنصراً رئيساً من عناصر تنظيم الملصق فكلما كانت النصوص المختصرة والمعبرة مرتبطةً بالموضوع ومكتوبةً بخط واضح يسهل قراءته بنظرة واحدة، يكون دورها فعالاً في إنجاح الملصق[54].

إن الهدف الأساسي من وجود المادة المكتوبة في الملصق هو إيصال الفكرة بأكبر قدر ممكن من البساطة والوضوح إلى المتلقي وليس الهدف جذب الانتباه إلى جمال النص، إذ إن الوظيفة الأساسية للكلمات والجمل هي خلق الصورة العقلية[55]، لذلك تكون الكتابة والحروف الطباعية أداة اتصال مهمة.

لابد أن تكون الكتابة واضحة ومختصرة في التعبير عن فكرة الملصق مع بساطة وسهولة قراءتها واختصارها، وإمكانية قراءتها بنظرة واحدة خاطفة وسريعة عند النظر إليها، كما تكون للخطوط وأشكالها دور كبير في شد الانتباه إذا كانت غامقة أو خفيفة أو قليلة الحدة، أو مكتوبة بشكل مائل أو مستقيم، كلها أمور مهمة تسهم في بناء الملصق الإرشادي الصحي[56]. يقوم المصمم باستعمال بعض الرموز المعروفة في دلالاتها لدى المتلقي ليوضح فيها خطر الأمراض الوبائية وطرق الوقاية منها من خلال الاعتماد على قوة الكتابة وطاقتها التعبيرية.

يميل المصمم إلى الاستعاضة عن الكتابة وحروفها الطباعية بالصورة أو الرسوم، إذ تشكل الرسوم دوراً كبيراً في بث الوعي والإرشاد بشكل سريع

1– نزار شقرون/ معاداة الصورة في المنظورين الغربي والشرقي، مؤسسة الانتشار العربي ، (بيروت: **2009**م)، ص**10**.

1– النوري/ التنوع التقني ، ص**68**.

2– خليل إبراهيم/ المضامين الفكرية وعناصر التصميم الفني للملصقات في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون الجميلة/ جامعة بغداد،(بغداد: **1987**م)، ص**68**.

3– زمر– آن وفريد/ الصورة في عملية الاتصال، ترجمة د.خليل حماش، مراجعة عبد الودود العلي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (بغداد:**1980**م)، ص**91**.

في الملصق، و يعد تأثيرها مهماً كما هو تأثير الصورة الطباعية، لذا يستطيع المصمم التعامل مع التخطيط والرسوم لتجسيد المظاهر الحسية[57] للصورة الطباعية والاستعاضة عنها ولاسيما في تصميم الملصق الإرشادي الصحي.

يراعي المصمم أسلوب الاختزال والبساطة في استعمال الرسوم في تصميم الملصق الإرشادي الصحي، لأنها تعد بمثابة وسائل إيضاح كما تتسم بالجمالية والألوان المتألقة والمنسجمة مع بعضها[58]. كما إن للألوان المتضادة مابين الرسوم والأرضية مع دراسة العلاقات اللونية ما بين العناصر التيبوغرافية الثلاثة (اللون والكتابة والرسوم)، ولاسيما عندما يركز المصمم على الرسوم بوصفها مركزاً سيادياً مهماً في الملصق، يكون التركيز على الموضوع في العلاقة ما بين الرسم والأرضية والنصوص الكتابية.

أما الرسوم الكاريكاتورية فهي تعد جزءاً مهماً من مكونات الملصق الإرشادي الصحي، إذ تؤكد على شخصية معينة تدور حولها الأحداث وتميزها بالخصوصية المطلوب تجسيدها، كما تتميز تلك الرسوم بالمبالغة أحياناً و بالفكاهة والنقد أيضاً.

الشكل (20) الشكل (21)

3- العنوانات: تعد العناوين من خلال سمك حروفها وألوانها ذات دور كبير في تحقيق الهدف الاتصالي ولاسيما في تصميم الملصق، إذ يعد العنوان بمثابة المفتاح الذي يتم الدخول من خلاله إلى محتوى الملصق، والمادة المكتوبة تحتل المكان البارز والمهم في الملصق الذي يعد عامل جذب مهماً لشد انتباه المتلقي أي انه سيمثل شكلاً تتحدد دلالته الشكلية تبعاً لموقعه في الفضاء العام[59]. إن المعالجة التيبوغرافية للعنوان كاختيار شكل الحرف وحجمه تؤثر بشكل وآخر على وضوح العنوان أمام عين المتلقي حتى يستطيع أن يؤدي دوره التيبوغرافي[60]، فيقوم المصمم بالتركيز على العنوان ليجعله بمثابة مركز سيادي مع الصورة.

مما تقدم فان اختيار العنوان وحجمه ولونه وعلاقته مع باقي الهيئات في الشكل العام له ابلغ الأثر في شخصية الملصق وفعاليته وفكرته[61].

1- هادي نفل/ الإخراج الفني الطباعي في الرسم العراقي المعاصر، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الفنون الجميلة/ جامعة بغداد، (بغداد: **1996**م)، ص**34**.

1- النوري/ التنوع التقني ، ص**63**.

1- الدوري- سهاد عبد الجبار/ علاقة الفضاء والزمن وتأثيراتها في التصميم ذي البعدين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الفنون الجميلة/ جامعة بغداد، (بغداد:**1998**م)، ص**82**.

2- الياسري- قيس وآخرون/ الفنون الصحفية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، كلية الآداب/ جامعة (بغداد:**1991**م)، ص**146**.

3- خليل إبراهيم/ المضامين الفكرية ، ص**68**.

4- الألوان: يعد اللون من أهم العناصر البنائية في التصميم فضلاً عن كونه من العناصر التيبوغرافية المهمة أيضاً ولاسيما في تصميم الملصق الإرشادي الصحي، يحقق اللون تأثيراً (فسيولوجياً) على شبكية العين، ففي حقيقة الأمر أن اللون ليس له أي حقيقة إلا بارتباطه بأعيننا التي تستمتع بحسه وإدراكه شرط وجود الضوء[62]. للألوان مواصفات خاصة يتميز بها هذا العنصر في العمل الفني ولاسيما التصميم كما يأتي:

1- أصل اللون (Hue).

2- مقدار تشبع اللون (Saturation).

3- قيمة اللون (Value)[63].

فالألوان المستعملة في التصميم هي الألوان المستمدة من الطبيعة ولاسيما الألوان التي تمثل الظواهر التي تؤثر على الإنسان وتجسيدها في تصميم الملصق بشكل عام. فالألوان تعد بمثابة التفسيرات المرئية وتشكل ما يسمى بالمنظر الطبيعي أو المشهد الطبيعي المرتبط بالتعبيرية والتأثير المباشر للحقائق[64]. كما يكون اللون موجوداً ضمن الرسوم والصور الطباعية داخل الملصق، أو يمثل لون الفضاء. يكون انتقاء واستعمال الألوان خاضعا لذوق المصمم فضلاً عن الحالة النفسية (السيكولوجية)، إذ إن اختيار الألوان أمر بالغ الأهمية في إيصال الفكرة، كما أن بعض الألوان لها دلالات ترتبط بالحالة النفسية والصحية وبعضها مرتبط بمعالجة الأمراض، فهي تحدث تأثيرات ملموسة في عمل المصمم.

تكون التأثيرات النفسية للألوان ذات تأثير مباشر وغير مباشر على نفسية المتلقي[65]، إذ يستعمل اللون الأصفر لمعالجة بعض الحالات العصبية الشديدة والأمراض العصبية، كما استعمل في معالجة مرض الأنفلونزا الوبائية.

أما اللون الأخضر فيستعمل لعلاج الأمراض العقلية كالهستيريا وتعب الأعصاب، أما اللون الأزرق فهو يستعمل لعلاج التوتر العضلي وضغط الدم ونبض القلب والتنفس السريع.

مما تقدم نستطيع تحديد وظيفة الألوان ولاسيما في تصميم الملصق الإرشادي الصحي وكما يأتي:

1- تؤدي الألوان دوراً واقعياً على الملصق وتكسبه الحقيقة والتعبير المباشر.

2- تؤدي الألوان في الملصق تفاعلاً نفسياً (سيكولوجياً) مابين الملصق والمتلقي.

1- عبد الهادي- عدلي محمد/ مبادئ التصميم واللون، مكتبة المجتمع العربي ، (عمان:**2006**م)، ص**13**.

2- صالح- قاسم حسين/ سيكولوجية إدراك اللون والشكل، دار الرشيد للنشر، (بغداد:**1982**م)، ص**55**.

3- كلي- بول/ نظرية التشكيل، ترجمة عادل السيوي، دار ميريت للنشر، (القاهرة: **2003**م)، ص**467**.

4- يحيى حمودة/ نظرية اللون، (القاهرة: ب.ت) ، ص**131**.

3- تكون لوظيفة الألوان في التصميم الدور الكبير في جذب الانتباه وانتشار الفكرة.

4- ترسخ الألوان في تصميم الملصق، الظواهر والأفكار في الذاكرة لفترة طويلة ولاسيما إذا كان الملصق ذا درجة عالية في التعبير والتقنية الإخراجية.

ثانياً: الدراسات السابقة:

سبق الباحث عدد من الدراسات السابقة ولاسيما في دراسة الملصقات وما ترتبط به من عناصر وأسس وعلاقات، بيد أن دراسة الملصق الإرشادي الصحي لم تكن ذات اهتمام كبير بدراسة جوانبه الفنية والفكرية، وكانت تلك الدراسات قليلة جداً أو قد تكون دراسات مختصرة. أما الدراسة المتخصصة التي درست الملصق الإرشادي الصحي فكانت دراسة السيد نبيل احمد فؤاد العزاوي الموسومة ب (واقع تصاميم الملصقات الإرشادية الصحية وإمكانية تطويرها) رسالة ماجستير في اختصاص التصميم الطباعي في كلية الفنون الجميلة/ جامعة بغداد، عام 2004، إذ تطرق الباحث إلى دراسة الجوانب الفنية والفكرية لتصاميم الملصقات الإرشادية الصحية كواقع حال حدده مكانياً بالملصقات الصادرة من وزارة الصحة العراقية.

الفصل الثالث

إجراءات البحث

1- منهج البحث: تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي في تحليل العينات.
2- عينة البحث: تم تحليل خمسة عينات منتقاة قصدياً من خمسة دول عربية (العراق، مصر، الأردن، المملكة العربية السعودية، مملكة البحرين). ولاسيما الملصق الرسمي الصادر عن وزارت الصحة في تلك الدول.
3- مجتمع البحث: جميع الملصقات الإرشادية الصادرة عن الدول العربية التي يحمل مضمونها الوقاية من الأنفلونزا الوبائية (أنفلونزا الخنازيرH1N1).
4- أداة البحث: تم إعداد استمارة تحليل للعينات المنتخبة بعد عرضها على الأساتذة المتخصصين للتأكد من صلاحيتها وتم تحليل العينات بموجب استمارة التحليل.



العينة: (1)
الموضوع: الوقاية من مرض الأنفلونزا الوبائية (أنفلونزا الخنازير)
جهة الإصدار: وزارة الصحة/ جمهورية العراق
القياس: 30سمX21سم
تاريخ الإصدار: 2009م

1- <u>المضامين الفكرية ودلالاتها</u>: جسد المصمم المضمون الفكري في هذا الملصق في توجيه رسالة واضحة للمتلقي بضرورة إتباع واتخاذ الإجراءات الصحيحة والمنطقية للوقاية من الأنفلونزا الوبائية والحد من انتشار العدوى. إذ وضع المصمم خمسة صور طباعية تضمنت دلالات تعبيرية واضحة الخطاب ومباشرة في تحديد الهدف المطلوب (حث المتلقي لاتخاذ الإجراءات الوقائية).

قام المصمم بتوزيع هذه الصور بشكل متتابع في فضاء الملصق، كما ربط المصمم كل صورة مع النص المطلوب للتعبير عنها، إذ وضع بجانب كل صورة نصاً يرتبط بمضمونها.

2- العناصر التيبوغرافية: استعملت الصورة الطباعية ذات التعبير المباشر بشكل واسع في هذا الملصق، إذ حققت الصور الطباعية طاقة تعبيرية كامنة، من خلال هذه الصور استعرض المصمم الوسائل الوقائية بتنظيمها منطقياً، فقد وضع صورة في أعلى يسار الملصق، تمثل صورة لنساء يرتدين الكمامات إلى جانبها نص يرتبط بالصورة ذاتها في حث المتلقي إلى ارتداء الكمامات أثناء تواجده في الزحام أو الأماكن المغلقة والمزدحمة بالناس. أما الصورة التي تليها فتظهر فيها امرأتان أحداهما تعانق الأخرى، إذ وضع المصمم إلى جانبها نصاً يرشد فيه المتلقي إلى الابتعاد عن هذا النوع من التحية أو المصافحة. أما الصورة الثالثة فيظهر فيها شخص مصاب بالمرض وهو يراجع الطبيب عند شعوره بظهور الأعراض المرضية عليه، فقد وضع المصمم نصاً يدعو المريض إلى إتباع الإرشادات التي يوصي بها الطبيب عند ظهور أعراض المرض الوبائي، والإسراع بمراجعة الطبيب عند ظهور أي عارض للمرض مثل ارتفاع درجة الحرارة أو حرقة في البلعوم أو رشح أو سعال وغيرها.
أما الصورة الرابعة فتمثل طريقة غسل اليدين بالصابون والحث على النظافة لأنها السبيل الأمثل للوقاية من الأمراض ولاسيما الأمراض الوبائية الفتاكة. وضع المصمم صورة أسفل الملصق تظهر فيها امرأة وهي تستعمل المنديل عند العطاس أو السعال من اجل الحد من انتشار المرض إلى الشخص القريب من المريض أو الشخص السليم. مما تقدم فقد عدت معظم الصور الطباعية المستعملة في الملصق ذات طاقة تعبيرية كامنة واضحة ومؤثرة في المتلقي وتسهم في نقل الفكرة بكل وضوح ويسر وبساطة، فضلاً عن الانسجام الفكري مابين الصورة والنص المقابل لكل واحدة منها، إذ تميزت النصوص بتعبيرها الفكري الإرشادي المباشر والواضح واليسير.
3- الأسس التصميمية: قام المصمم باستعمال عناصر تيبوغرافية كثيرة ومتراكمة ولم يركز على صورة واحدة لتكون كمركز سيادي للتصميم، بيد انه وضع خطاً مائلاً أحمر كرمز للخطر أو جذب النظر إلى الصورة الثانية التي تحمل موضوع العناق كوسيلة لانتقال المرض، فقد ميز هذه الصورة أو قد تكون مركز السيادة في هذا التصميم، على الرغم من عدم التأكيد على هذه الصورة أو غيرها من الصور، و يرى الباحث أن من الصعوبة تحديد مركز السيادة فيه. التصميم متوازن من حيث توزيع الصور والنصوص مع ترتيب أو تنظيم العناصر بشكل متناسق ومتوازن ومتتابع لإيصال الفكرة بالشكل المنطقي والعلمي إلى المتلقي. تميزت الألوان بانسجامها نسبياً من حيث لون الأرضية (اللون الاوكر) مع لون الشعار الأخضر، مع قوة اللون الأحمر في الهلال داخل شعار وزارة الصحة العراقية.

4- <u>العلاقات الشكلية</u>: حقق المصمم علاقة تبادلية مابين الصور والنصوص بعد أن قسم فضاء الملصق بشكل متتابع ومتبادل إلى خمسة أقسام أفقية (نص مع صورة) يليها (صورة مع نص) و(نص مع صورة) ثم (صورة مع نص) وأخيراً (نص مع صورة).



العينة: (2)
الموضوع: الوقاية من مرض الأنفلونزا الوبائية (أنفلونزا الخنازير)
جهة الإصدار: وزارة الصحة/ جمهورية مصر العربية بالتعاون مع منظمة اليونيسيف الدولية
القياس: 35سمX50سم
تاريخ الإصدار: 2009م

1- المضـامين الفكريـة ودلالاتهـا: أكـد المصـمم ضـرورة إتبـاع واتخـاذ الإجراءات الصحيحة والمنطقية للوقاية من الأنفلونزا الوبائية والحد من انتشار المرض، في توجيه خطاب مباشر في أعلى الملصق كأمر لابد أن يتبعه المتلقي (المصاب بالمرض أو الشخص السليم) ،((احمي نفسك من وباء الأنفلونزا)). فالفكرة جاءت مباشرة وذات رسالة بصرية واضحة ومؤثرة، إذ حقق المصمم دلالة تعبيرية واضحة من خلال الرسوم والألوان.

2- العناصر التيبوغرافية: استعملت الرسوم ذات التعبير المباشر بشكل كامل في هذا الملصق، إذ حققت الرسوم طاقة تعبيرية كامنة، كما وضعت نصوص باللهجة الشعبية المصرية لتسهيل عملية الاتصال وسهولة الاستجابة إلى مكونات الملصق الفكرية (الإرشادية) وجذب المتلقي. وزع المصمم الرسوم ضمن فضاءات أو تقسيمات أو مساحات لونية تميز كل مقطع عن الآخر، فقد وضع رسماً يمثل الطبيب إلى جهة اليسار والى جانبه نص يقول (استشر طبيب فوراً عند الشعور بأي أعراض)، نستطيع أن نحدد بداية تحديد الهدف من التصميم ولاسيما ما يرتبط بالحث والإرشاد للمتلقي ولاسيما الطفل ، فالرسوم قد توصل الفكرة للأطفال أكثر من استعمال الصور في بعض الأحيان، هذا ما نجده واضحاً في استعمال الرسوم كشخصيات تمثل الأطفال، إذ وضع المصمم رسوماً للأطفال وهم يؤدون الطرائق والتعليمات الوقائية من المرض (الأنفلونزا الوبائية تحديداً)، نلاحظ أن الطفل في الجهة اليمنى يقوم بغسل يديه بالماء والصابون، إذ وضع المصمم إلى جانب الرسم نصاً (اغسل أيدك بالميا والصابون باستمرار). أما الطفل في الجانب الأيسر فهو يقوم بشرب العصير في التأكيد على ضرورة شرب السوائل بكثرة للحد من انتشار المرض والقضاء على الجفاف (اشرب سوائل كتير)، بينما يظهر رسم لوجه طفل وهو يرتدي الكمامة والى جانبه علبة المناديل الصحية كدلالة لاستعمال الكمامة في الأماكن المزدحمة كرياض الأطفال والمدارس وأماكن اللهو واللعب كما يحث المصمم الطفل إلى استعمال المناديل الصحية عند العطس أو السعال، بينما يضع المصمم رسماً لطفلة وهي تنام بهدوء وسكينة وراحة عند ظهور أعراض المرض في سريرها لتكسب الجسم راحة وتساعد في الحد من انتشار المرض إلى الآخرين والاستجابة إلى العلاج.

3- الأسس التصميمية: قام المصمم بمراعاة دور الوحدة التصميمة وتنوعها في هذا الملصق من خلال التركيز على بث وحث المتلقي (الطفل تحديداً) على اتباع الوسائل الوقائية المنطقية ببساطة الألوان والأشكال والمساحات والحجوم وغيرها. لذلك يرى الباحث أن المصمم جعل من رسم الطبيب في أعلى يسار الملصق مركزاً سيادياً في هذا الملصق، لان الطبيب يعد الشخص الذي يوجه النصح والإرشاد إلى المريض ولاسيما الطفل، وكأن الطبيب هو

من يقوم بتدريب الأطفال على اتخاذ الوسائل الوقائية للمرض. تميزت الألوان فـي معظـم فضـاء الملصـق بانسـجامها وتنوعهـا بمـا يحقـق الجماليـة وجـذب الانتبـاه، إذ اسـتعملت ألـوان كثيـرة كـالأزرق والأحمـر والأصـفر والأخضـر والأرجواني، كما يعد التضاد اللوني في هذا الملصق عنصراً مهماً فـي جـذب الانتباه ولاسيما الأطفال الذين يحبون كثـرة الألـوان وتنوعهـا. حـافظ المصـمم علـى التـوازن فـي التصـميم مـن خـلال التبـادل اللـوني مـا بـين الرسـوم و النصـوص، كمـا خصـص المصـمم إفريـزاً أسـفل الملصـق ليوضـح فيـه هويـة وتبعية الملصق من خلال وضعه شعار وزارة الصحة المصرية في الجانـب الأيمـن وشـعار منظمـة الطفولـة العالميـة (اليونيسـيف) فـي الجانـب الأيسـر ووضـع المصـمم رقـم (105) وهـو الخـط السـاخن لـوزارة الصـحة المصـرية للاتصـال بهـا حـال ظهـور حالـة إصـابة خطـرة، إذ قـام المصـمم بتكبيـر حجـم الرقم نظرا لما يشكله من أهمية في إسعاف المريض وجذب النظر.

4- العلاقـات الشـكلية: حقـق المصـمم علاقـات بنائيـة وشـكلية ناجحـة فـي هـذا الملصـق لتكـون محصـلتها النهائيـة هـو إرشـاد وحـث الأطفـال لكـونهم أكثـر شريحة عرضةً للإصابة بالأمراض الوبائية ولاسيما (الأنفلونزا الوبائية). أكد المصمم على الفكرة المطروحة من خلال العلاقات الشكلية في هذا الملصـق، إذ نلاحظ أن التماس متحقق في هذا الملصق لتوكيد عملية التواصل والإرشـاد بـالخطوات المنطقية للوقاية، كما لعب التداخل والتراكب الـدور ذاتـه فـي هـذا الملصـق ليحقـق المصـمم النجـاح فـي إيصـال الفكـرة وتحقيـق اسـتجابة لـدى الأطفال لمكونات الملصق من رسوم وألوان ونصوص.



العينة: (3)

الموضوع: الوقاية من مرض الأنفلونزا الوبائية (أنفلونزا الخنازير)

جهة الإصدار: وزارة الصحة/ المملكة الأردنية الهاشمية

القياس: 35سمX50سم

تاريخ الإصدار: 2009م

1- المضامين الفكرية ودلالاتها: اتخذ المصمم الأسلوب الوقائي من المرض والتوعية العامة للمجتمع في اتخاذ الإجراءات الوقائية للحد من انتشاره. عرض المصمم الفكرة من حيث الإجراءات والتوصيات الإرشادية على شكل نقاط ومؤشرات هي إجابة لسؤال طرحه في هذا الملصق وهو (كيف تحمي نفسك وأسرتك من الأنفلونزا؟).

2- العناصر التيبوغرافية: وزع المصمم الصور على جهة واحدة تقابلها النصوص على الجهة الثانية، إذ استعمل المصمم الرسوم الكاريكاتيرية لتوصيل الفكرة وتسهيل مهمة الاستيعاب للنصوص المقابلة لها فضلاً عن سهولة فهم مكونات الرسوم الكاريكاتيرية. وضع المصمم رسماً كاريكاتيرياً لفتاة صغيرة وكأنها من يقوم باستعراض تلك الحالات الموجودة ضمن

الرسوم داخل الملصق وهي الإجراءات والتعليمات للوقاية من المرض الوبائي الخطير. كما وضع المصمم رسوماً ذات تكوينات مثلثة الشكل بألوان أرجوانية تمثل الميكروبات والجراثيم المسببة للمرض وهي في حالة موت واستغاثة ليبين المصمم أن إتباع التعليمات المنطقية المجسدة من خلال الرسوم تكون محصلتها القضاء التام على الجراثيم المسببة للمرض.

وضع المصمم عنواناً كبيراً في أعلى الملصق يحث فيه المجتمع بشكل عام والأسرة بشكل خاص إلى محاربة الأنفلونزا الوبائية (أنفلونزا الخنازير H1N1). فقد جاءت الرسوم الكاريكاتيرية جواباً أو حلاً لابد منه لمحاربة انتشار المرض الوبائي، من خلال إتباع الإرشادات الصحية، كغسل اليدين بالماء النقي والصابون (يضع المصمم رسماً لذلك)، ووضع المنديل عند العطاس أو السعال، وتنظيف الأسطح والأرضيات في المنزل بالمعقمات والمطهرات، واستشارة الطبيب عند الشعور بأعراض المرض فضلاً عن التزام السرير عند الإحساس بتلك الأعراض. لقد نجح المصمم في استعماله الرسوم الكاريكاتيرية والعنوانات الجانبية والرئيسة في الملصق لإرشاد المجتمع نحو مخاطر المرض الوبائي واتخاذ الإجراءات للحد من انتقاله أو انتشاره. استعمل المصمم اللون الأزرق كلون غالب في معظم فضاء الملصق علماً أن اللون الأزرق يستعمل لعلاج التوتر العضلي وضغط الدم ونبض القلب والتنفس السريع وهي من الأمور التي تكون كنتائج لتدهور حالة المريض أو المصاب بالأنفلونزا الوبائية.

3- <u>الأسس التصميمية</u>: شكل رسم الفتاة في أعلى يسار الملصق مركز السيادة أو التأكيد من حيث حجم الرسم وحركتها وكأنها هي من يوجه هذا الخطاب ويحذر من مخاطر المرض. تميز التصميم بوحدته الموضوعية والفنية وتكامل الوحدة من المضمون الفكري للملصق، كما تميزت ألوان الملصق بانسجامها وبرودة وهدوء خطابها ورسالتها البصرية، إذ جسدت القيم البيضاء في العنوان الرئيس للملصق قوة بصرية مؤثرة للمتلقي من خلال حجم وشكل الخط. وضع المصمم شعار المملكة الأردنية الهاشمية إلى أعلى يسار الملصق ليعطي توكيدا للمكان وتبعية إصدار هذا الملصق. التوازن متحقق في هذا الملصق من خلال توزيع الكتل على جانبي الملصق، إذ جسدت الصور الجانبية ونصوصها مع الشعار جهة تتوازن مع رسم الفتاة والجراثيم أو المكروبات المسببة للمرض الوبائي أسفل الجهة المقابلة. وضع المصمم أسفل الملصق عدة شعارات قد تكون جهات مساهمة في طباعة هذا الملصق، فضلاً عن وضع الهاتف الخاص أو ما يسمى بالخط الساخن لوزارة الصحة لإسعاف الحالات الطارئة في مساحة لونية زرقاء.

4- <u>العلاقات الشكلية</u>: لم تكن هنالك علاقات شكلية واضحة ومرئية، بيد أن العلاقات متتابعة ومتناسقة فكرياً، إذ انعكس ذلك بتنظيم الصور والنصوص بشكل متتابع ومنتظم، غير متراكب أو متداخل أو متعاكس.



العينة: (4)

الموضوع: الوقاية من مرض الأنفلونزا الوبائية (أنفلونزا الخنازير)

جهة الإصدار: وزارة الصحة/ المملكة العربية السعودية

القياس: 70سمX50سم

تاريخ الإصدار: 2009م

1- <u>المضامين الفكرية ودلالاتها</u>: وجه المصمم سؤالاً في هذا الملصق، ليبدأ ببناء الفكرة وتنظيمها بشكل يتيح للمتلقي معرفة الإجابة على السؤال المطروح بكل يسر ووضوح. تدور الفكرة في إرشاد المتلقي في تنفيذ التعليمات والإرشادات الصحية للوقاية من الأنفلونزا الوبائية واتخاذ الطرق الصحيحة للوقاية من هذا المرض.

2- العناصر التيبوغرافية: استعمل المصمم رسوماً توضيحية مباشرة في دلالاتها الفكرية، كما استعمل رسوماً كاريكاتيرية تعرض المشكلة ذاتها، لإيصال المعلومات إلى المتلقي بمختلف الأعمار والأجناس. فقد استعمل المصمم ثماني صور توزعت بين الرسوم والرسوم الكاريكاتيرية، وقد وضع المصمم نصاً إلى أسفل زاوية اليسار ليعوض مكان صورة أو رسم ويحقق التوازن في التصميم.

وضع المصمم رسوماً تظهر شخصاً يضع المنديل على انفه أثناء العطس أو السعال ومن ثم يرمي المنديل في سلة المهملات ومن ثم يقوم بغسل يديه جيداً بالماء والصابون، من خلال هذه الصور الثلاث يستطيع المصمم أن يبن لنا النظام الوقائي لأي مرض معدٍ ولاسيما الأنفلونزا الوبائية ذلك بإتباع التعليمات والإرشادات الصحية. أما الصور الثلاث التي تليها فقد تضمنت رسوماً تمثل طبيباً يقوم بفحص المريض والتأكد من أعراض المرض وتحديد العلاج أو العقار المطلوب، ثم تليها صورة تمثل رسماً كاريكاتيرياً يرمز إلى شخصين متقابلين، احدهما سليم والآخر مريض، إذ رمز إلى الشخص المصاب أو المريض باللون الأسود وهو يقوم بالعطس والسعال ليتوجه رذاذ فمه إلى الشخص السليم ذي اللون الأخضر، لقد أراد المصمم أن يبين طريقة انتقال المرض مباشرة من الشخص المريض إلى الشخص السليم. أما الصورة التي تليها فقد ظهر المريض فيها وهو يرقد في الفراش ليباشر في العلاج. في أسفل الملصق وضع المصمم رسماً كاريكاتيرياً يمثل شخصين يتبادلان التحية بالمصافحة واحدهما مصاب بالمرض، كما وضع المصمم شخصاً يقوم بالعطس أو السعال على يديه. مما تقدم أراد المصمم أن يستعرض الحالات السيئة وغير الصحية في هذا الملصق وكأنك في سرد أو سلسلة متواصلة من النصائح والإرشادات لتحديد الكيفية في الوقاية من المرض الوبائي. لقد وضع المصمم نصوصاً أسفل كل صورة، قام المصمم بوضع نصوص إرشادية تحت كل صورة بلونين الأحمر والأسود. أما العنوان الرئيس فقد كان سؤالاً (كيف تحمي نفسك والآخرين؟) باللون الأزرق، أما العنوان الأكبر حجماً الذي يلي العنوان الأول فقد عرض المشكلة الحقيقية التي تواجه الإنسان وهي الإصابة بالأمراض الوبائية ولاسيما أنفلونزا الخنازير باللون الأحمر ليوحي بقوة الخطر.

3- الأسس التصميمية: لم يؤشر المصمم في هذا التصميم إلى تحديد مركز للسيادة واضح ومستقل إذ تميزت معظم الصور بتقارب حجمها وتوزيعها ومكوناتها ودلالاتها. كما تميز التصميم بوحدته الموضوعية والفنية وتكامل الوحدة من المضمون الفكري للملصق. استعمل المصمم التضادات اللونية التي تشكل أهمية كبيرة في إيصال رسالته البصرية. وضع المصمم شعارين

فـي أعلــى الملصــق، إذ وضــع شــعار وزارة الصــحة فــي المملكــة العربيــة السعودية ليعطي توكيدا للمكان وتبعية إصدار هذا الملصق، فضلاً عن شـعار آخر لجهة أخرى مساهمة في هذه الحملة الصحية. حقق المصـمم التـوازن فـي هذا الملصق من خلال توزيعه للكتل (الرسوم) بشكل ثلاثة أعمـدة، كـل عمـود يحتـوي علـى ثـلاث صـور، باسـتثناء العمـود الثالـث فقـد اسـتعاض المصـمم بالنص بدلاً عن الصورة لتحقيق التوازن.

4- العلاقات الشكلية: حققت الصور وعملية توزيعها نوعاً من التماس الفكري والتتابع المنطقي لإجراءات الوقاية من المرض، إذ تميزت الصـور بترابطهـا مع بعضـها البعض في وحدة موضوعية. لم يكن هنالـك تعـاكس أو تـداخل بـين العناصر التيبوغرافية في الملصق.



العينة: (5)

الموضوع: الوقاية من مرض الأنفلونزا الوبائية (أنفلونزا الخنازير)

جهة الإصدار: وزارة الصحة/ مملكة البحرين

القياس: 50سمX30سم

تاريخ الإصدار: 2010م

1- المضامين الفكرية ودلالاتها: يختلف هذا الملصق في طرح المضمون الفكري من خلال استعمال صيغة الأسئلة في تحديد الموضوع وبناء الفكرة وتحليل الدلالات المستنبطة منها من اجل وضع المتلقي أمام المشكلة التي تعد خطيرة جداً نظراً لما يسببه مرض الأنفلونزا الوبائية من موت محقق للإنسان. لذلك جاءت الفكرة من خلال تحديد أسئلة بعنوانات مختلفة في الحجم واللون مع التسلسل المنطقي للوصول إلى حل هذه المشكلة وإرشاد المتلقي للعمل بتلك الإرشادات والنصائح للحد من انتشار المرض. لقد نجح المصمم في تحقيق هدفه ولاسيما إرشاد وحث المتلقي للوقاية من المرض عند السفر والتنقل من مكان إلى آخر. كما حقق المصمم نوعاً من التواصل مابين عرض الفكرة وأسلوب الإخراج الفني للملصق.

2- العناصر التيبوغرافية: استعمل المصمم الرسوم التخطيطية ذات الألوان المختزلة، إذ استعمل الأسود في معظم التخطيطات التي وضعها في الملصق. كما وزع التخطيطات بشكل يضمن متابعة الخطوات المنطقية والسليمة لإتباع إرشادات الطبيب للحد من انتشار المرض الوبائي. حددت التخطيطات بمساحات بيضوية الشكل وعددها أربعة فقط. إذ وضع المصمم تخطيطاً لشخص وهو يرتدي الكمامة لمنع التماس مع المصابين أثناء الزحام، أما التخطيط الثاني فقد تضمن امرأة وهي تعطس في منديل تضعه على انفها أثناء العطس أو السعال، والتخطيط الثالث فهو يرشد المتلقي إلى ضرورة رمي المناديل الملوثة في سلة المهملات، أما التخطيط الرابع فقد ظهرت فيه عملية غسل اليدين بالماء والصابون للحفاظ على النظافة. كما اهتم المصمم بتوزيع العنوانات الرئيسة والثانوية ووضع مثلث اصفر اللون يحتوي في داخله عبارة (Caution) أي (أحذر)، وكأنه ربط مثلث التحذير مع العنوان الرئيس للملصق الذي يوجه في رسالته في التحذير من السفر إلى المناطق التي يؤشر فيها ظهور أو انتشار للمرض الوبائي، أما العنوان الثانوي فقد قام المصمم بإدراج الأعراض المرضية التي يسببها الوباء، ليصل بالمتلقي إلى مغزى الفكرة في هذا الملصق وهو مراجعة الطبيب عند ظهور الأعراض المرضية عليه، كما يوصي المصمم بإتباع الإجراءات الوقائية وتعليمات الطبيب في الابتعاد عن التأثيرات الخطيرة لهذا المرض بعد إتباع الخطوات الصحيحة في الوقاية التي وضعها المصمم على شكل تخطيطات بالأسود والأبيض وحددها داخل الشكل البيضوي. وضع المصمم الشعار إلى الجهة اليمنى العليا من الملصق الذي يمثل شعار مملكة البحرين / وزارة الصحة، ليعطي دلالة ثابتة للمكان.

3- الأسس التصميمية: حدد المصمم الدائرة البيضاء ذات التفرعات والتأشيرات الأربعة كمركز سيادي في التصميم. كما يعد مركزاً سيادياً يرسخ

الفكـرة أيضـاً، مـن خـلال التوصـية بمراجعـة الطبيـب عنـد الشـعور بظهـور أعراض المرض الوبائي، أما التأشيرات التي تنبثق من الشكل الدائري فهي تكون متجهة إلى التخطيطات والنصوص المتعلقة بها التي وضعها المصمم وتشير إلى إتباع الإجراءات الوقائية للحيلولة دون انتشار المرض. لم يستعمل المصمم ألواناً كثيرة في هذا الملصق، بل استعان بالانسجام اللوني بين درجات الألوان الحارة كالأحمر والأصفر، وركز على اللون الأحمر ليس فقط لكونه لوناً ذي طول موجي عالٍ، بل لأنه لون رئيس لمملكة البحرين. تميز الإيقاع بتوازنه واعتداله في شرح الفكرة وبيان أهميتها كما هو في توزيع الكتل الأربعة المتساوية التي تحمل داخلها التخطيطات التوضيحية وهي على نسق واحد من خلال الخط المنحني ذي اللون الأحمر. حقق التصميم توازناً بين مكوناته أو عناصره التيبوغرافية، من خلال الشكل الدائري والأشكال البيضوية الأربعة التي تتوزع إلى أسفله ويساره.

4- العلاقات الشكلية: لم تكن هنالك علاقات شكلية واضحة ومرئية، بيد أن العلاقات متتابعة ومتناسقة فكرياً، إذ انعكس ذلك بتنظيم التخطيطات مع العنوانات والألوان بشكل متتابع ومنتظم.

نتائج البحث:

من خلال تحليل العينات المنتقاة لابد من تأشير عدد من النتائج وكما يأتي:

1-استعان المصمم بفكرة مباشرة وواضحة موجهة إلى المتلقي من دون تعقيد من اجل توضيح طرق وأساليب الوقاية من المرض الوبائي.

2- للعناصر التيبوغرافية دور كبير في تحديد وتوصيف مخاطر المرض وأساليب الوقاية منه في طريقة عرضها وشكلها وتقنياتها الإخراجية والفنية، فضلاً عن ما تملكه تلك العناصر المنتقاة من قوة تعبيرية ووضوح ويسر.

3- يراعي المصمم التقنية المطلوبة في عرض الفكرة ولاسيما في اختلاف الغرض وطبيعة المجتمع، فالملصقات الإرشادية للأطفال تختلف عن غيرها، لذلك لابد من مراعاة أسلوب العرض والتوجيه وللأعمار المختلفة.

4- تكون الرسوم الكاريكاتيرية ذات طاقة تعبيرية مباشرة يستطيع المصمم من خلالها إيصال الفكرة بشكل مباشر ويعطي تجسيداً للحالات المرضية بأسلوب مبسط يعتمد على الفكاهة في طرح الفكرة أحياناً.

5- للرسوم دور كبير في تحفيز الأطفال على إتباع الإرشادات والتوجيهات الصحية من اجل الوقاية من الأمراض الوبائية، ولاسيما إذا كانت تلك الرسوم ذات ألوان جذابة ومتناغمة لتثير حماس الأطفال وزيادة تقبلهم للفكرة ومضمونها الإرشادي.

6- تؤثر عناصر الدلالة في تحقيق نجاح للمضمون الفكري الإرشادي من خلال قوة ترابط العناصر التيبوغرافية من صور ورسوم وتخطيط وعنوانات وألوان لتمثل المعيار الرئيس لتحديد ما إذا كان الملصق الإرشادي قد نجح في إيصال الفكرة من عدمه.

7- تشابهت معظم الملصقات الإرشادية في طريقة عرض الفكرة ومضمونها. وقد ساد بعض تلك الملصقات تنظيم يختلف أحياناً في طريقة عرض الفكرة.

8- تميزت بعض الملصقات الإرشادية بتعدد ألوانها، إذ استعمل المصمم ألواناً منسجمة تارةً والوناً متضادة تارةً أخرى ليسهم في عملية جذب المتلقي نحو الفكرة ومضمونها الإرشادي.

9- تؤثر تقنيات الطباعة وأساليب المعالجة الفنية في إخراج الملصق الإرشادي الصحي بشكل نهائي ولاسيما عند استعمال الصورة الطباعية، وعدم دراسة اختيار الصورة وتناغمها مع الفضاء التي تسهم في ترويج ونجاح هدف الملصق.

10- اهتم بعض المصممين باستعمال الأشكال الهندسية والخطوط على شكل أسهم إرشادية تشير إلى تحديد الحالات المرضية أو طرائق الوقاية منها.

11- يعد الشعار أساساً لتوكيد المكان الذي صدر عنه الملصق الإرشادي الصحي، فضلاً عن إكساب الملصق خصوصية وطنية تؤثر في الرأي العام المحلي قبل أن تؤثر فيه عالمياً.

12- استعملت عبارات متشابهة في معظم الملصقات المنتقاة في البحث، وهي عبارات تدعو إلى اتخاذ الإجراءات الوقائية ضد المرض الوبائي.

المصادر والمراجع

1- جميل صليبا/ المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت: 1982م.

2- خليل إبراهيم/ المضامين الفكرية وعناصر التصميم الفني للملصقات في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون الجميلة/جامعة بغداد، 1987م.

3-الدوري- سهاد عبد الجبار/ علاقة الفضاء والزمن وتأثيراتها في التصميم ذي البعدين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كليةالفنون الجميلة/ جامعة بغداد، 1998م.

4- الرازي- محمد بن أبي بكر عبد القادر/ مختار الصحاح، دار الرسالة ، الكويت، 1982م.

5- زمر- آن وفريد/ الصورة في عملية الاتصال، ترجمة د.خليل حماش،مراجعة عبد الودود العلي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بغداد،1980م.

6- سعيد علوش/ معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1985م.

7- صالح- قاسم حسين/ سيكولوجية إدراك اللون والشكل، دار الرشيد للنشر،بغداد،1982م.

8- عبد الله- إياد حسين/ فن التصميم، ج1، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة،2008م.

9- عبد الهادي- عدلي محمد/ مبادئ التصميم واللون، مكتبة المجتمع العربيعمان،2006م.

10- العزاوي- نبيل احمد فؤاد/ واقع تصاميم الملصقات الإرشادية الصحية وإمكانية تطويرها، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون الجميلة/ جامعة بغداد،2004م.

11- عساف محمود/ أصول الإعلان، دار النشر العربي، القاهرة،1977م.

12- العلاق- بشير/ الإبداع والابتكارية في الإعلان مدخل تطبيقي، دار اليازوري، عمان،2009م .

13- الفيروزآبادي/ القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت،1993م.

14- كلي- بول/ نظرية التشكيل، ترجمة عادل السيوي، دار ميريت للنشر، القاهرة، 2003م.

15- كمال عيد/ فلسفة الأدب والفن، الدار العربية للكتاب، تونس،1978م.

16- نزار شقرون/ معاداة الصورة في المنظورين الغربي والشرقي، مؤسسةالانتشار العربي ، بيروت، 2009م.

17- النوري- عبد الجليل مطشر محسن/ التنوع التقني ودوره في إظهارالقيمة الجمالية التصميمية في الملصقات ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون الجميلة/ جامعة بغداد، 2002م.

18- هادي نفل/ الإخراج الفني الطباعي في الرسم العراقي المعاصر، أطروحةدكتوراه غير منشورة، كلية الفنون الجميلة/ جامعة بغداد، 1996م.

19- الياسري- قيس وآخرون/ الفنون الصحفية، وزارة التعليم العالي والبحثالعلمي ، كلية الآداب/ جامعة بغداد،1991م .

20- يحيى حمودة/ نظرية اللون، القاهرة: ب.ت.

المصادر الالكترونية:

1- www wikipedia.org

نموذج استمارة التحليل

المضامين الفكرية ودلالاتها	المضمون الفكري	فكرة مباشرة	متحقق	
		فكرة غير مباشرة	غير متحقق	
	الدلالة	دلالة مباشرة	متحقق	
		دلالة غير مباشرة	غير متحقق	
العناصر التيبوغرافية	العنوانات	متحقق		
		غير متحقق		
	الرسوم والتخطيطات	متحقق		
		غير متحقق		
	الصورة الطباعية	متحقق		
		غير متحقق		
	الألوان	متحقق		
		غير متحقق		
الأسس التصميمية	التكرار والإيقاع	متحقق		
		غير متحقق		
	التأكيد	متحقق		
		غير متحقق		
	التباين والتضاد	متحقق		
		غير متحقق		
	التوازن	متحقق		
		غير متحقق		
	الانسجام	متحقق		
		غير متحقق		
	الوحدة وتنوعها	متحقق		
		غير متحقق		
العلاقات الشكلية	تماس	متحقق		
		غير متحقق		
	تداخل	متحقق		
		غير متحقق		
	تعاكس	متحقق		
		غير متحقق		
	تراكب شكلي	متحقق		
		غير متحقق		

شعرية الجسد في بنية الفضاء المسرحي

د. حسين الانصاري

تمهيد

استثمرت حركة الجسد للتعبير عن حاجات الإنسان منذ إدراكه معنى الاتصال والتواصل وتطورت بظهور أنماط جديدة للتعبير،فإلى جانب اللغة المكتوبة والمنطوقة وما تحملانه من قدرة على التجريد والتكثيف واحتواء الاستعارات ضمن تحقيق الوظيفة الجمالية - البلاغية كان للحركة والإيماءة دورها التجسيدي النفعي للاتصال ، ولكن مع تطور مجالات البحث الأدبي والفني والجمالي لاسيما في الفنون التعبيرية وظهور النظريات والأساليب المختلفة وخاصة المجال الأدائي في المسرح كونه فنا تركيبيا شاملا يعتمد التجسيد الحي والاني في علاقته المباشرة مع الأخر، لقد أصبحت الحركة عنصرا جوهريا في استثمار لغة الجسد للاتصال والتعبير، ولامجال للشك هنا أن جسد الممثل أصبح محور المنظومة الإرسالية في المسرح كونه مركز التشفير وحامل نصوص العرض ، باعتبار إن الخطاب المسرحي هو تشكيل لنصوص متعددة ونظام علاماتي يوظف كثيرا من لغات التعبير وبكثافة سيميائية يكون جسد الممثل هو نقطة التقاء هذه النظم الاشارية جميعا ، ومن هنا أصبح الجسد مكمنا للتوليد الدلالي الذي يتطلب قدرة فائقة على الخزن والسيطرة والانتقاء والتوزيع والتوقيت والاستلام بما يجعل حالة الجذب والحضور متبادلة بين الجسد الباث والمتلقي المشارك في ملى فجوات النص لديمومة التواصل وإنتاج التأويل .

تتناول هذه الورقة موضوع الشعرية في المسرح- جسد الممثل نصا من خلال المحاور الآتية:

الشعرية : دلالة المصطلح والمفهوم
الجسد : بلاغة النص المفتوح
الجسد : بؤرة التشفير ومركز الإرسال
قراءة الجسد في العرض المسرحي

<u>الشعرية ودلالة المصطلح</u>

بالرغم من تداول مصطلح الشعرية في الأوساط النقدية ألان انه كمفهوم مازال يشوبه بعض الغموض والخلط مع مفاهيم أخرى فما زال الكثير يعتقدون أن الشعرية هي امتدادا للشعر أو اصطلاحا استحدث منه وليس له علاقة مع غيره من الأجناس الأدبية والفنية الأخرى.

ولكن من خلال الاستخدام والتوظيف تبين إن الشعرية قد امتد افقها بعيدا وشملت النصوص الشعرية والنثرية والحركية وكل ماله صلة بالإبداع فقد تطور استخدام المفهوم من مستويات اللغة المكتوبة إلى اللغات التعبيرية والموضوعات الذهنية ، وسنحاول من خلال بعض الآراء التي تناولت هذا المفهوم أن نستدل إلى جوهر ودلالة المصطلح وتوظيفاته في مجال بحثنا هذا

إن استخدام هذا المصطلح قديما ترجمه العرب إلى –بويطيقا- أو إلى –فن الشعر –وقد اعتبر عبد القادر الجرجاني إن اللغة المجازية هي نبض الشعرية وأصبحت الشعرية مع مرور الوقت فرعا من فروع علم الجمال الفلسفي لاسيما في ألمانيا مع بداية القرن الثامن عشر ، أما الاستخدامات الحديثة فقد تنوعت وتشعبت على مدار الساحة النقدية بمرادفات ومقابلات مختلفة تجاوزت مصطلح الشعرية منها على سبيل المثال الإنشائية ، الأدبية ، الشاعرية ، الجمالية وما إلى ذلك وهذا دليل على سعة الشعرية واتساع فضائها

يعرف –ياكوبسون- المفهوم وفقا للنصوص التي تعتمد الجانب اللغوي سبيلا للاتصال مع المتلقي فيقول إن الشعرية ((كل مايجعل من رسالة لفظية أثرا فنيا)) (1)
في حين نجد إن تودروف يركز على البنى الداخلية للنصوص وكيفية انتظامها والتزامها بشروط الإبداع فيرى ((أن الشعرية لاتسعى إلى تسمية المعنى بل لمعرفة القوانين التي تنتظم ولادة كل عمل))(2) ويوضح- جان كوهين- ذلك أيضا ويؤكد ((إن قانون اللغة العادية يعتمد على التجربة الخارجية في حين إن قانون اللغة الشعرية يعتمد على التجربة الباطنية ويختصر المتشابهات)) (3)
من خلال هذه الآراء وتعريفات أخرى غيرها نجد آن الشعرية مصطلحا يرتبط بجوهر النص و ما يتحقق فيه من تجاوزات للمألوف بما يجعله مؤكدا لوجوده وتحققه لدى المتلقي فالشعرية تجاوز استخدامها مستوى الأجناس الأدبية إلى ناحية النصوص التي تعتمد وسائل أخرى في التعبير والاتصال وتأتي حركة الجسد في مقدمة ذلك حيث يعتقد علماء النفس إن 60 بالمائة من حالات الاتصال البشري تنجز عبر الحركة وما تتضمنه من ألاف الإيماءات والإشارات والرموز والايحاءات واثبتوا إن الحركة أقوى تأثيرا من اللغة المنطوقة ومن هنا نستطيع أن نستدل إلى أهمية الجسد وكيفية استثماره في نقل الأفكار والمعاني وربط العلاقات مع الأخر واتخذ الفن المسرحي من بين عديد الفنون الجسد أداة للتعبير وتجسيد الرؤى وإنتاج الدلالات، وبما إن الوظيفة الشعرية يكون تركيزها على الرسالة ذاتها ، ففي المسرح تتحول من وسيلة اتصال إلى عرض مسرحي بكل نصوصه وشموليته وهنا تتجلى الشعرية من خلال بلوغ هذه النصوص مستوى المسرحة ، ولعل من أهم النصوص التي تقود عناصر العرض هو الممثل بكل ما يمتلكه من أدوات صوتية وروحية وحركية، ومازال تجارب المبدعين في هذا المجال متواصلة لاكتشاف المخزون من طاقات الجسد التي لم تكتشف بعد .

الجسد وبلاغة النص المفتوح

إن الأداء المسرحي يتضمن شبكة متعددة العناصر التي تلتقي عند محور الممثل باعتباره مرتكز العرض وبؤرة المشهدية وبالتالي فهو حامل خطاب العرض ، بما يمتلكه من اسلوبية تتجلى عبر استخدام تقنيات الجسد وتوظيف الطاقة الكامنة فيه ضمن صيغ تعبيرية تختزن الرموز والدلالات، ويبلغ هذه الأداء مديات أوسع حينما ينحو باتجاه الشعرية ليعبر عن أدق التفاصيل بإشارات وتلميحات جسدية يمكنها أن تعوض عن اللغة المنطوقة إن لم تتفوق عليها ، ومن خلال المفهوم الحداثي للنص بوصفة لايتحدد بسلسلة الجمل والملفوظات بل انه وكما يقول ايفا نوف احد أعضاء جماعة موسكو الأدبية ((إن النص لايكون بالضرورة رسالة تبث باللغة الطبيعية ، لكن يجب أن تحمل معنى كاملا ، فقد تكون الرسالة رسما أو عملا فنيا آو مؤلفا موسيقيا آو بناية))(4)

أما فيليب سولير –فيرى ((إن كل نص يقع في مفترق طرق نصوص عدة ، فيكون في أن واحد، إعادة قراءة لها واحتذاء وتكثيفا ونقلا وتعمقا))(5) هذا التعريف ينسجم وما جاء به نقاد مابعد البنيوية الذين ركزوا في ذلك على مفهوم التناص.

ولكن جماعة القراءة والتلقي فأنهم يحيلون النص إلى القارئ كما يقول –ستانلي فيش- ((إن النص ليس شيئا آو موضوعا ولكنه تجربة أو عملية يخلقها القارئ))(6)

وفق هذه المفاهيم يمكننا أن نعتبر الجسد في المسرح نصا كونه يحمل وينقل رسائل متنوعة لاتقوم على اللغة المنطوقة بل يستثمر طاقة التعبير الحركي بشتى مستوياتها منتجا أنواعا من العلامات القابلة للقراءة وهو ما يقوم به المتلقي ليقوم بتحليلها وتأويلها وبذلك يتحقق جوهر النص.

لقد ارتبط التعبير بالإنسان منذ إدراكه كيف يتصل بالطبيعة والأخر لديمومة الحياة ، ومع استثمار وسائل الاتصال لأغراض غير نفعية ظهر التعبير الدرامي الذي يصفه –باتريس بافيس- في

قاموس المسرح ((ان التعبير الدرامي مثله كمثل كل تعبير فني وفقا للرؤية الكلاسيكية ، اظهرا لمعنى عميق او إبراز عناصر كانت خافية، وهذا المعنى يتضح على المسرح من خلال الأداء الحركي والجسماني للممثل بوصفه أهم عناصر الاتصال))(7)

وخضع مفهوم التعبير الى تفسيرات متعددة بالنسبة للنص اللغوي فكيف الأمر حين يكون التعبير عبر لغة الجسد التي تسعى لتكوين دلالة موضوعية عبر مجموعة من التكوينات الحركية المتخيلة وهنا تكمن صعوبة التحليل والفهم والتأويل لنص الجسد

ومع تداول المفهوم الذي تناولته النظريات الفلسفية والعلمية كون التعبير دائما يقترن بالجسد الإنساني باعتباره الحل الأمثل للمشاكل الميتافيزيقية التي عرفها الانسان، وان تطور هذا المفهوم يعود إلى القرن السادس عشر بفضل نظريات سبينوزا وليبنتز وكليجز وانتشر استخدام المفهوم في أوربا مرتبطا بنظريات علم النفس العام والفينومينولوجيا الوجودية بعد هوسرل وانطولوجيا الجسد التي أنجزها ميرلوبونتي الذي يعد رائدا في دراسات الجسد فهو يرى في الجسد الأداة الرئيسة لفهم واكتشاف العالم

لقد عرفته هذه النظريات بوصفه احد عناصر الكشف عن أغوار الشخصية المراد تحليلها وكظاهرة عاطفية تؤدي إلى التعبير عن المشاعر والأحاسيس وكأحد وسائل الاتصال باعتباره ظاهرة ثقافية. وكما يقول الباحث والمفكر الياباني تاداشي سوزوكي ((إن المجتمع المثقف هو الذي تستخدم فيه القدرات التعبيرية والمدركة للجسد الإنساني إلى حدودها القصوى، لا من يزودنا بالوسائل الرئيسية لإقامة الصلات وتبادل الأفكار))(8)

إن الجسد –النص- في المسرح يتجلى عبر تعبيراته التي تقع في مستويين : المستوى الخارجي وهو كل فعل يرتبط بالجسد وحركته ضمن بنية فضاء العرض وما يحيط به أو يتواجد فيه من أشياء وكتل وشخصيات وفراغ وجمهور ومنه تنشأ حالة الاتصال والعلاقات المختلفة بين طرفي البث والاستقبال.

وهناك المستوى الداخلي الذي يركز على المتن التعبيري الذي

ينجم من خلال أسلوبية توظيف الطاقة المخزونة في جسد المثل وفقا للباعث الشعوري والانفعالي الذي يتحول إلى أفعال حركية في اتجاهات وزخم وسرعة ومسافات زمكانية يتحدد في ضوءها المستويين الدلالي والشعري في لغة الأداء.

إن جسد الممثل يظل قابلا للتكيف والخروج عن العادي والمألوف وبما يمكنه من إعادة بناء واقع بصري اعتمادا على مجموعة من المعطيات الفكرية والجمالية التي تشترك فيها نصوصا ساندة لأداء الممثل والتي تجعل طاقته التعبيرية أكثر حضورا وتكاملا ، إن نص الأداء يمثل النسق الأكبر لكل الأنساق الفرعية الكلامية والضوئية والصوتية ، من موسيقى ومؤثرات وما إلى ذلك وبهذا يكون جسد الممثل هو حامل العلامة الكبرى الدال ، آما المدلول فيكون في الموضوع الجمالي- الشعري الحاضر في الشعور الجماعي الخاص بالمتلقي الذي يتواصل مع قوة الإيهام المرجعي للعلامات المبثوثة من الجسد المتحول والمتشظي كونه نصا مفتوحا قابلا لقراءات متعددة

<u>الجسد مركز الجذب وبؤرة التشفير</u>

لقد ظل الجسد خطابا ملتبسا ومتلونا ومهددا ولكنه حاضرا وفاعلا ومؤثرا رغم كل ما أحاط به من حواجز وكبت ومحاولات تهميش وحجب لقدراته وحريته ، ولكن رغم كل ذلك مارس الجسد حراكا وتمردا في الحياة والثقافة كونه مكمن الخطورة وشرارة العواطف واتخذ تمرده سمات متعددة لاسيما بعد انعتاقه من طوق المقدس وان حضوره كان وما يزال استثنائيا في فضاء المسرح الذي ينحو لعوالم الخيال والافتراض مما وفر للجسد مكانا أمنا إلى حد ما لممارسة حضوره وإنشاء عوالمه واستبيان خطابه ،أن حضور الجسدي في نسق المسرحي كان مثار اهتمام المسرحيين على مر العصور كونه علامة ذات دلالة باتجاه سيميائي لها قابلية التحول والتوليد والمراوغة والانشطار وهي من ابرز مظاهر البنى المتحركة في العرض المسرحي وما يمنح الجسد قيمة التصدر

عندما يكتسب ذاتيته السيميائية ويوظف قدراته التعبيرية في تكوينات غير مألوفة وغرائبية تشحن البعد البصري قوة وتنوعا .

إن الجسد- النص- لايمكن أن يصبح بهذا المستوى مالم يخضع لسيطرة الممثل شعوريا وفسيولوجيا إذ إن الجسد في المسرح يتحرر من شروط الوظيفة الاستعمالية النفعية التي ترتبط بالواقع اليومي والعادي إلى المستوى الجمالي ، هنا يتوجب على الممثل أن يستغل طاقة الجسد في آلية حركية تستجيب لكل المواقف والأحاسيس التي يتطلبها الدور وهو يتجسد عبر سلسلة من التحولات بواسطة تموجات حركية ومنحنيات شعورية متلازمة لابد أن يتقن الممثل التحكم في توزيعها على مناطق الجسد المختلفة بحيث يصبح كل جزء منها يمثل أداة فاعلة في سيمفونية الأداء وكما يعبر عن ذلك المخرج الروسي- تايروف- الذي يشبه جسد الممثل بالآلة الموسيقية التي ينبغي أن يعزف عليها ويعبر من خلالها عن الدور الذي يقوم به ،
وليس هذا فحسب بل إن العديد مخرجي المسرح الحديث انصب تركيزهم على الجانب البصري في بنية العرض وكان جسد الممثل بالنسبة لهم المرأة التي تعكس رؤاهم وتخيلاتهم بل أصبح الممثل هو لسان حال فريق العرض وهو من ينوب عنهم حاملا أفكارهم ومحاولا التعبير عنها أمام جمهور يشاركه جدل الموقف و بناء الحدث وتطوراته في اتفاق ضمني بينهما، ووفق هذه الأهمية التي ينهض بها الممثل ركز البعض من المخرجين على إيجاد حلول تدريبية لرفع كفاءة الأداء والعمل على جعل طاقة الجسد ترتقي إلى مصاف التحولات والانفعالات التي تعتمل في أعماق الشخصيات ومن هنا انبرى هؤلاء المخرجين ليؤسسوا مختبراتهم في تدريب الممثل ولو تجاوزنا ما فعله المخرج الروسي الكبير ستانسلافسكي الذي أرسى القواعد الأساسية لعمل الممثل مع الدور ومع نفسه عبر نظريته التي تقوم على تمارين عملية ونظرية حول التقمص والإيمان بالدور واستخدام لو

السحرية في الانتقال من أجواء الواقع إلى عوالم الخيال المفترض مهدت لتجارب جديدة بغية إنقاذ الممثل من الوقوع في فخ التقولب والذوبان في أبعاد الشخصيات المرسومة سلفا وجاءت تجارب المنظر الألماني بريخت والروسي فيزفولد مايرهولد والفرنسي أنطوان ارتو والبولندي جيرزي غرتوفسكي والبريطاني بيتر بروك والايطالي يوجينو باربا وآخرين لا يتسع المجال لذكرهم جميعا هنا .تلتقي تجارب هؤلاء المبدعين في محاولة تحرير جسد الممثل مما لحق به من إضافات خارجية كبلته في دائرة ضيقة وحددت مستوى استثمار الطاقة الكامنة في الجسد ، إن معظم هؤلاء المخرجون كانت لديهم تأثيرات من المسرح الشرقي لاسيما –الهند ، الصين ، اليابان –والبعض منهم عايش تجارب الشرق ودرس أساطيرها وملاحمها ومسارحها كما هو الحال بالنسبة لمسرح النو والكابوكي والكاتاكالي واستلهموا منها الكثير في أساليبهم المسرحية وطرق توظيف جسد الممثل في الرقص والدراما و بناء عروضهم وتجاربهم

لقد كان الجسد وسيبقى الأداة الرئيسية في خلق التعبير وهو يتجاوز بحضوره كل النصوص الأخرى فهو العنصر الذي لا يمكن بدونه انجاز عرض مسرحي خلافا للعناصر الساندة التي يمكن الاستغناء عنها أحيانا آو استبدال مواقعها في تصدر المشهدية المسرحية ،

إن الأداء الذي ينجزه الممثل يقاوم أي تحديد آو نتائج مسبقة آو حلولا جاهزة فهو نص قائم بذاته كونه يتم في ألان وإلهنا وبوجود الأخر ، معتمدا عل توجيه الطاقة الحيوية الكامنة داخل الجسد ،حيث ينبغي من الممثل إن يتعلم كيف يجعل الجسد كله ينطق ويعبر حتى لوكان الممثل في حالة سكون فالصمت يكون أحيانا أكثر بلاغة من الكلام ، وهذا لايتحقق بسهولة لان إظهار القدرات التعبيرية للجسد ترتبط بالقدرة على التحكم بالذاكرة وقوة التركيز والاختزال والتكثيف والتي تعد صنو البلاغة والشعرية ، إن لغة الجسد تساهم في تشكيل صورا متعاقبة نتيجة سلسلة الأفعال

المنطقية أو المجتزأة والمتقطعة والتي تخضع لنسق أدائي يأخذ نموذجا تعاقبيا أفقيا ذو دلالة واضحة او ذات غموض مقصود وهو ما عرف بالانحرافات النصية او الانزياحات وبما يخلق فجوات النص القصدية أو العفوية التي تساهم في إثراء خيال المتلقي وإشراكه في إنتاج المعنى ، وإذا اعتبرنا الجسد نصا فأن هذا النص يشتمل على جوانب تعبيرية عديدة فقد تم تقسيم الجسد الى مناطق تشفير متعددة ولكنهم حددوا المناطق الرئيسية بمايلي:
منطقة الحوض وتربط به الأطراف السفلى
منطقة البطن والمنطقة العليا وهي الصدر والقلب وهما مصدر والعاطفة
منطقة الرأس ومنها تتم السيطرة على القناع حيث يقسم الوجه الى منطقتين أيضا
منطقة نبيلة عليا وهي صامتة لاتتغير
منطقة الفم السفلى وفيها يتم التحكم بعضلات الوجه وإنتاج تعبيرات مختلفة
وقد أولى مدربو الحركة والمخرجون ومصمموا الرقص اهتماما كبيرا بالجوانب الفيزيولوجية التي تتعلق بالديناميكية العضلية والعضوية وبين الجوانب الروحية النفسية للممثل أو الراقص وذلك لتأهيل الجسد بكل أجزاءه لانجاز مختلف الحركات والسيطرة على الطاقة وفي مجال التمثيل وخصوصا في العروض التجريبية التي تعتمد الجانب البصري كما هو الحال في مسرح الصورة يقوم الممثل وفقا لمبدا الوظيفة الشعرية التي تركز على كل ماهو فني مسرحي وتجاوز الجانب التواصلي وهنا تكون الحركة وفق مبدأ الهدم والبناء ومن((خلال تقويض حالة الترابط المنطقي بين الدال والمدلول وبين الرمز والشيء ، فالممثل هنا عبر تعبيرات الجسد يقوم بتحريف الأداء من مستواه

مستواه الاشاري –المرجعي - إلى مستواه الإيحائي))(9) إذ انه ينتج دوالا لاتدل على معان محددة أو أشياء مرجعية و نتيجة

انحرافها عن التعبير اليومي تحدث الانزياحات في الصورة الكلية مما تثير التساؤلات في ذهن المتلقي الذي يسعى هو الأخر لتكوين صورا ذهنية لما يستقبله ويراه كلما يزداد الانحراف كلما تحقق المزيد من التحدي والاستجابة لقوانين اللعب المسرحي

قراءة الجسد الغروتسكي

إن المسرح كخطاب شمولي وسيلته وغايته الإنسان ممثلا كان أم متلقيا وان تحقق هذا الخطاب لايتم دون وجود طرفي العملية التواصلية ،فالعرض المسرحي من الممكن أن يتخلى عن الكثير من عناصر ه باستثناء الجسد الذي تنتظم فيه عناصر ثابتة يتم توظيفها بحالات شتى وأفعال مختلفة ، ان الجسد انفتاح على الذات ومن خلالها على الحياة وهذا لايتحقق داخل منظومة الجسد فقط ولكن بين إرساليات الجسد وبين المتلقي باعتباره مشاركا وفاعلا في إنتاج المعنى.

إن خصوصية الاتصال في المسرح تقوم على اساس العلاقة بين عناصره أي النص المعروض والذي يتكون من مجموعة أنظمة علامية لفظية منها وغير لفظية وهي تؤلف شبكة من الوحدات السيميائية التي تنتمي إلى أنظمة مختلفة ومتداخلة ومركبة معا من ناحية والمتلقي من ناحية أخرى

إن النظام المسرحي هو شكل تعبيري واتصالي متغير سواء على مستوى الشكل أو المضمون لارتباطه بالظروف الاجتماعية والتغيرات التاريخية ويشكل الممثل والمتلقي ابرز عناصره وتفرده.

ولما كان الممثل ينوب عن جميع المرسلين الآخرين في العرض –المؤلف –المخرج –التقنيين –فأن ذواتهم تذوب في الممثل وبهذا تنتهي تداوليتهم لتبدأ تداولية بصرية من خلال نص الممثل ، وحين تتم عملية الاستقبال من النص إلى الممثل ومن المخرج إلى الممثل تتحول هذه الأنساق إلى علامات حسية وبصرية وهذا التحويل الذي يقوم به الممثل يؤثر على المسارات اللغوية ودلالاتها في العرض المسرحي ((إن عملية تحويل الإشارات اللفظية المسرحية المكتوبة والتي تمثل أفعالا إلى إشارات التمثيل التي تمثل الأجسام الفاعلة ستغير من معانيها بحكم المنجزات الخاصة بالممثل الذي يضع تعابير الوجه والإيماءات والحركات التي يفترض ان تمثل الشخوص الدرامية))(10)

أن أوضاع جسد الممثل المشفرة تعمل بمثابة المنبه لحواس المتلقي وحالته النفسية وتثير لديه التطلع والتأمل لان الجسد لاينفصل عن الطبيعة والحياة ، وهذا يتحقق حين تستثمر حركة الممثل وفق علاقة تكاملية مع العناصر الأخرى والتي تساعده في إنتاج علامات مرجعية بين آليات البث والتلقي وبعكسه ينتج عن الحركة أوضاع عشوائية تؤدي إلى إنتاج دلالة غامضة لايمكن للمتلقي أن يفهمها ويصنفها في إطار دلالي وهذا التشويش وفوضى العلامات تشتت انتباه المتلقي وبالتالي تقطع صلته بالعرض.

ولكن هذا الأمر مختلف تماما مع استخدام تقنيات الجسد الغروتسكي الذي يحول المرئي من المستوى الإيهامي إلى المستوى التغريبي والبعيد عن سياق الحياة اليومية ، وبذلك يندرج ضمن كلية الخطاب المسرحي، الذي يجدد فاعلية اللعب الدرامي وكذلك التلقي باعتبار إن الممثل هنا يسعى إلى تقديم أشكال لاواقعية من خلال تجسيد بنية التضاد وعرض اللامألوف واللامنطقي عبرا لتشويه الجسدي وإثارة كل ماهو ساخر وعجائبي وهذا من شأنه أن يثير الاستغراب ويحفز ذاكرة

المتفرج ، إن توظيف الجسد الغروتسكي أضحى اليوم امرأ مألوفا في العروض المسرحية التجريبية التي تنحو بعيدا عما هو حسي وملموس تلك الأعمال التي تهدف إلى خلق المفارقات بين الدوال التي يجهد المتلقي في الوصول إليها وهو مايحقق لديه عنصر التغريب والانزياح وتجاوز نطاق المألوف في العروض الكلاسيكية.

وان التوظيف الغروتسكي للجسد لاينبغي إن يكون مقحما في بنية الأداء بل نابعا من منظومة العرض وأفكاره لان الممثل هنا يعتمد على نصوص أخرى مساندة تشكل بمجموعها المعنى المنتج بوساطة عمل الممثل الذي يستثمر طاقاته الشعورية والانفعالية والذهنية من خلال جسده إلى توحيد وتنظيم هذه النصوص بما فيها المتلقي الحاضر أنيا ضمن فضاء العرض لإقامة العلاقة المتبادلة بينهما.

وفي حال تلقي الجسد الغروتسكي فأن اللحظات الأولى ربما لاتخلق تكيفا مع الرسائل الواردة بوصفها رسائل تحمل بين طياتها الغموض والجنون والألغاز والو حشية والفزع والضحك وكل ماهو مرتبط بالنفس الإنسانية ولكنه يعرض بشكل غير طبيعي وغرائبي ولاتتحقق حالة الائتلاف معها بسهولة ، أي يكون موقف التلقي معقدا إلى حدا ما الأمر الذي يخلق نوعا من التعارض الثنائي بين المألوف / اللامألوف وان هذا التغاير من شأنه أن يعمل على تخييب أفق التلقي مما يدفع بالمتلقي إلى تثوير فعل التفكير والوعي فتخيب أفق التوقع يجعل المتفرج أكثر انشدادا وإثارة وبحثا للتواصل مع الحدث المسرحي.

إن أداء الجسد يطرح عديد التساؤلات التي تبلورت عبر تعددية النصوص المتفاعلة في منظومة العرض الذي يقوده الممثل منتجا

نصه من خلال التعبير الجسدي الذي تتخلله فجوات لابد أن يدركها المتلقي من خلال كفاءة القراءة ليتمكن من مليء تلك الفراغات وتحليل الشفرات بغية إكسابها المعنى وفقا لرؤيته ومرجعياته ، فقراءة تعبيرات الجسد تقع في مستوين ، المستوى الخارجي وهو كل مايتعلق بالجسد وحركته مع فضاء العرض ومحتوياته والمستوى الداخلي الذي يركز على المتن التعبيري ولغة الأداء والتي ينبغي أن ترتقي إلى مستوى الشعرية ، وهذه اللغة الشعرية المتأتية من تعبيرية الجسد لايمكن أن تتحقق مالم تكن مرتبطة بالمتلقي الذي عليه أن يشارك في التجسيد وتحقق الإنتاج الجمالي من خلال قدرته في معرفة أساليب التعبير ومدارسها وتطوراتها وامتلاك الكفاءة تعد من أهم شروط قراءة الجسد الغروتسكي الذي يتطلب قارئا قادرا على التأويل وإعادة إنتاج المعنى .

خلاصة

يظل الجسد مركزا وينبوعا أساسيا للتعبير والتواصل في الحياة ، وتتعاظم أهميته في المسرح كون الجسد حاملا لخطاب العرض وخازن نصوصه المتعددة، وحين يستخدم الجسد في التعبير الغروتسكي تزداد إمكانياته التعبيرية كما ونوعا مما يسهم في في خلق حالات التوصيل والتحفيز والتأثير لدى المتفرج كون الجسد هنا يتجاوز الصيغ والأساليب التقليدية المألوفة وينجز أفعالا وحركات وأشكالا غرائبية وخيالية تنأى عن الحسي والملموس قصد تعميق المشهدية الشعرية

لكن هذا لايمكن أن يتحقق مالم يكن في الطرف المقابل متلقيا يتوفر على كفاءة وذو قدرات تحليلية في قراءة شفرات الجسد الغروتسكي ، هذا التحقق انتبه اليه المسرح الحديث وسعى إلى توظيف ذلك لشحن الفعل المسرحي والتواصلي بقدرات تعبيرية مضافة عبر أساليب ورؤى جديدة وهذا جاء في التجارب العبثية والسريالية وما ينتمي إلى مسرح الصورة، حيث يكون الاعتماد على جسد الممثل في بناء الخطاب البصري وفق أنساق إيقاعية وتعبيرية مختلفة من شأنها أن تنتج دلالات مجازية وحقيقية قابلة للقرأة والتأويل .

مصادر البحث

1- ياكابسون ، قضايا الشعرية ، ترجمة ، محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال، الدر البيضاء ، المغرب ،ص19، سنة 1988

2- تودروف ، الشعرية ، ترجمة شكري المبخوت، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ،ص 23 ، سنة 1987

3- جان كوهين ، بنية اللغة الشعرية ، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ،سلسلة المعرفة الأدبية، ص 202، سنة 1986

4- محمد عبد الله الغذامي ، الخطيئة والتفكير، جدة ، السعودية ، النادي الأدبي الثقافي ،ص8 ، سنة 1985

5- مارك انجينيو، مفهوم التناص في الخطاب النقدي الجديد ، ترجمة احمد المديني ، بغداد ، العراق، دار الشؤون الثقافية ،ق105، سنة 1987

6- محمد الهادي الطرابلسي ، بحوث في النص الأدبي ، طرابلس ، ليبيا ، الدار العربية للكتاب ، ص19 ، سنة 1988

7- اوجينوباربا، طاقة الممثل، ترجمة سهيرالجمل، أكاديمية الفنون ، وحدة الاصدرات ، القاهرة ، مصر،ص3، سنة 1986

8- تاداشي سوزوكي، الثقافة هي الجسد،ترجمة على كامل ، موقع الفوانيس المسرحية ، 24 أكتوبر ، سنة 2008

9- عواد علي ، شفرات الجسد، دار أزمنة ، عمان، الأردن ،ص 109، سنة 1996

10- ليشت فيشت، العرض المسرحي كمعنى للنص الدرامي ، مجلة الحياة المسرحية ، دمشق ، وزارة الثقافة ، العدد 40، ص،122، سنة 1994

العلوم النفسية والتربوية

العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة، من وجهة نظر الأساتذة في جامعة القدس.

العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة، من وجهة نظر الأساتذة في جامعة القدس.

الدكتور عمر الريماوي

كلية العلوم التربوية- دائرة علم النفس
جامعة القدس- فلسطين

orimawi@arts.alquds.edu
rimawiomar@yahoo.com

العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة، من وجهة نظر الأساتذة في جامعة القدس.

الملخص
هدفت هذه الدراسة إلى معرفة العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة، من وجهة نظر الأساتذة في جامعة القدس، استخدم الباحث استبانه مكونة من (42) فقرة، وبلغ معدل ثباتها حسب معادلة الثبات كرونباخ ألفا (0.87)، أجريت الدراسة على عينة مكونة من (34) عضو هيئة تدريس من كلية الآداب، جامعة القدس.
أظهرت النتائج عدم وجود فروق دالة إحصائية لبعض متغيرات الدراسة (الخبرة، الجنس، الدرجة العلمية). إلا أنها كشفت عن وجود فروق دالة إحصائية تعزى إلى متغير (الصفة) حيث بلغت مستوى الدلالة (0.05).
الكلمات المفتاحية: عضو هيئة التدريس، التحصيل الدراسي.

Abstract
This study aimed at investigate the factors that lead to low academic achievement of students, from the standpoint of professors at the University of Jerusalem, the researcher used a questionnaire consisting of (42) paragraph, and the rate of persistence by equation consistency Cronbach alpha (0.87), study sample involved (34) faculty member from the Faculty of Arts, University of Jerusalem .
The results showed no significant differences for some study variables (experience, gender, degree). However, it revealed the existence of significant differences due variable (adjective), reaching significance level (0.05) .
Key words: faculty member, academic achievement

العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة، من وجهة نظر الأساتذة في جامعة القدس.

مقدمة

يعد موضوع التحصيل الدراسي من المواضيع الأساسية في التعليم الجامعي, لأنه مقياس لعملية التعليم لدى الطلبة، ومن القضايا التي شغل بها الباحثون هي معرفة العوامل المؤثرة في تحصيل الطلبة، وتحديدها، وتفسير التباين في هذا التحصيل. إن التعليم في مجتمعنا كما في مجتمعات أخرى مازال يشكل قيم المجتمع التقليدية الأبوية.

إن أي خلل في واقع التأهيل العلمي المطلوب للطلبة في الجامعة، سينعكس على مقدرة الطلبة على القيام بالمهام المطلوبة منهم. فالجامعة مؤسسة إنتاجية للقوى البشرية المدربة, تنتج الكفاءات والعقول المفكرة والقيادات التي تتحمل المسؤولية في المجتمع (أنيس، 1998) من هنا أصبح من المهم البحث في التعليم الجامعي من خلال العوامل المؤثرة في تدني التحصيل الدراسي للطلبة .

وكل ذلك يشير إلى أمر هام وهو أن وظيفة الجامعة بالنسبة للطلبة هي أكثر من مكان واسع يتلقون فيه العلم والمعرفة، وباختصار إنها مكان واسع

لعملية التفاعل الاجتماعي والثقافي، ومن هنا تأخذ العلاقة التربوية والتفاعل التربوي بين أعضاء الجامعة من مدرسين وطلاب أهميه بالغة الخصوصية.

وإذا كان الطلبة يلقون اللوم على مدرسيهم في كثير من الجوانب التي تتعلق بحياتهم الجامعية، فإن المدرسين بدورهم يذهبون إلى وصف أجيال الطلبة بالقصور والدونية والسلبية، وذلك بالطبع مرهون بطبيعة الرؤية التي ينظرون من خلالها إلى وظيفة الجامعة ودور الأستاذ وكل ذلك من شأنه أن يجعل طبيعة العلاقة بين المدرس والطالب مسألة تتصف بالصعوبة والتعقيد، وطفة (1993). وقد بين أبو حطب (1980) في دراسته انه حين يتوحد (يتقمص) التلميذ مع معلمه على درجة عالية من الدفء فان التلميذ يكون أكثر استعداداً لتمثل قيمه، كما يصبح أكثر واقعية للتعلم، وبالتالي الحصول على مستوى أعلى من التحصيل الأكاديمي. والمعلم هو القدوة التي يقتدي بها الطالب، فإذا أحب الطالب معلمه ووجد فيه الموجه والمرشد، والأخ والأب، كان تقبله أكثر للدراسة، والعكس من ذلك يسبب تدني تحصيله.

الدراسات السابقة

الترتير (2003) هدفت الدراسة إلى التعرف على أسباب التأخر الدراسي وأكثرها شيوعا لدى طلبة المرحلة الأساسية الدنيا (1-4) في محافظات شمال الضفة الغربية، من وجهة نظر المعلمين. أجريت الدراسة على عينة قوامها (617) معلما ومعلمة، منهم (286) معلما و (331) معلمة.

وأظهرت نتائج الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الصف الدراسي. بينما كشفت عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير المؤهل العلمي (دبلوم ، بكالوريوس) لصالح البكالوريوس. كما كشفت عن وجود فروق دالة إحصائياً لمتغير الخبرة بين من تراوحت خدمتهم اقل من خمس سنوات ومن 5-10 سنوات، وصالح اقل من خمس سنوات.

أل ناجي (2002) دراسة استكشافية لبعض العوامل المؤثرة في التحصيل الدراسي لطلاب الجامعة، أسفرت النتائج باستخدام بعض الأساليب الإحصائية المناسبة عن وجود اختلاف في الخصائص الواجب توافرها في الأستاذ الجامعي، والمنهج الدراسي من وجهة نظر كل من أعضاء هيئة التدريس والطلاب لرفع مستوى التحصيل الدراسي للطالب الجامعي.

دراسة أجراها الخصاونة (1998) هدفت للتعرف إلى مشاكل الاتصال بين طلبة الدراسات العليا وأعضاء هيئة التدريس في جامعة اليرموك من وجهة نظر الطلبة، وتكونت عينة الدراسة من (112) طالبا وطالبة. وأشارت نتائج

الدراسة إلى عدم وجود فروق في درجة إحساس الطلبة بهذه المشاكل تعزى إلى كل من متغير الجنس، والكلية.

أجرى شلبي (1996) دراسة في جامعة بير زيت حول العوامل المؤثرة في التحصيل الأكاديمي للطالب في الجامعات الفلسطينية. أظهر بان هناك مجموعة من المتغيرات المستقلة ترتبط خطيا بالمعدل التراكمي للطالب وتؤثر فيه بشكل دال إحصائياً على مستوى 0،05 وتختلف هذه المتغيرات باختلاف الكليات، وكان أهم هذه المتغيرات هو متوسط معدل علامات الطالب المدرسية في السنوات الثلاثة الأخيرة.
دراسة كاسبا وتانيس (Kaspa, Tanis 1995) دراسة عن تقرير المعلمين للكفاءة الاجتماعية، والتوافق المدرسي لدى الأطفال المتأخرين دراسيا في المدارس الابتدائية، وتألفت عينة الدراسة من (63) معلما وطالبا، منهم (33) معلما، (30) طالبا، وأكدت الدراسة أن مشكلات التأخر الدراسي لدى الأطفال ترتبط بعدم القدرة على التوافق وانخفاض المهارات الاجتماعية مقارنة بنظرائهم ذوي لتحصيل الدراسي العادي.
الزوي (1992) هدفت الدراسة إلى التعرف على العوامل المؤدية للتأخر الدراسي لدى مرحلة التعليم الأساسي، وتألفت عينة الدراسة من (535) معلما ومعلمة وولي أمر، منهم (430) معلما ومعلمة، و (105) ولي أمر. وبينت الدراسة أن أكثر العوامل المؤدية للتأخر الدراسة هي: عدم متابعة الأسرة لتحصيل واجبات أبنائها، نقص المعلمين المؤهلين، ازدحام الصفوف، والترفع الآلي، وقلة استخدام الوسائل التعليمية، وعدم مراعاة الفروق الفردية، وكثرة تنقلات المعلمين أثناء العام الدراسي، وقلة الدورات للمعلمين، وكراهية التلميذ للجو المدرسي.

تشير نتائج دراسة وطفة (1993) إلى انخفاض مستوى التفاعل التربوي في جامعة دمشق الى وجود تباينات دالة إحصائيا بين الجنسين ووفقاً لمتغير الاختصاص الجامعة. كما بينت الدراسة وجود فروق دالة إحصائيا في مستوى التفاعل التربوي بين جامعة دمشق وجامعة الكويت فيما يتعلق ببعض المؤشرات التابعة المعتمدة، و إلى وجود تباين خاص بتسلسل أهمية المؤشرات المدروسة بين الجامعتين.
تؤكد دراسة كل من مارش وشابيرو (Marsh، 1984؛ Shapiro، 1990) وجود درجة عالية من المصداقية لتقويم الطالب الجامعي لأستاذه ولا يوجد إلا مقدار ضئيل نسبيا من التدخل الذاتي.

تناولت دراسات عديدة العلاقة التي يتوقعها الطالب مع تقويمه لتدريس مدرسه, ومنها دراسة هوارد وماكسويل (Howard and Maxwell 1984,) وضعت عدة تفسيرات لهذه العلاقة. منها تساهل المدرس في تقدير العلامة المستحقة, كأن يعطي المدرس الطلبة علامات أكثر مما يستحقون ليكون تقويمهم له أكثر من الواقع . والتفسير الآخر يستند إلى أن الطالب الذي يتعلم أكثر من مادة يحصل على علامات أعلى وبالتالي يقيم تدريس مدرسه بشكل أفضل.

مشكلة الدراسة:

إن مشكلة تدني التحصيل الدراسي مشكلة عامة وتراكمية يعاني منها معظم الطلبة من هنا جاء اهتمامي بهذا الموضوع انطلاقا من خبرتي كأستاذ جامعي. إذ التحصيل الدراسي مرتبط بعدة عوامل ترتكز على المعلم والمادة الدراسية, وطريقة التدريس . ويتضح أن التحصيل الدراسي ظاهرة معقدة تؤثر فيها مجموعة مختلفة من العوامل الوراثية والبيئية . وفي هذا البحث سوف أركز على العوامل المتعلقة بالبيئة الدراسية في الجامعة من خلال التعرف إلى وجهات نظر أعضاء هيئة التدريس حول الخصائص الايجابية والسلبية لهذه العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي .

أهداف الدراسة:

يهدف البحث إلى التعرف على العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة، من وجهة نظر الأساتذة في جامعة القدس تبعا لمتغيرات الدراسة (الخبرة، الصفة، الجنس، الدرجة العلمية ، السنة الدراسية).

فرضيات الدراسة :

1- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة تعزى إلى أساتذة الجامعة.

2- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة من وجهة نظر الأساتذة تعزى إلى متغيرات الدراسة (الخبرة، الصفة، الجنس، الدرجة العلمية).

أهمية الدراسة:

لقد شهد التعليم الجامعي في السنوات الأخيرة سواء أكان ذلك في أهدافه أم في محتواه وتقنياته, تقدما ملحوظا فأصبحت قضية تطوير التعليم الجامعي

وحسن استثماره وتحسين مستواه ورفع كفاية مخرجاته من القضايا الرئيسية المثارة في وقتنا الحاضر .

وهنا تكمن أهمية البحث الراهن في محاولة دراسة العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة في الجامعة. لذا تعد أهمية البحث كبيرة سواء أكانت من الناحية الأكاديمية أم من الناحية التطبيقية. فمن الناحية الأكاديمية يلاحظ من يراجع الأدب التربوي ان هناك نقصاً في البحوث والدراسات في مجال العوامل المرتبطة بالتحصيل الدراسي الجامعي. وعليه سوف يساهم موضوع البحث الراهن, بالكشف عن أهم الخصائص التي يجب أن تتوافر في كل من الهيئة التدريسية, والمناهج الدراسية والطالب نفسه لرفع تحصيل الطالب الدراسي. أما الأهمية التطبيقية فتتلخص في الاستفادة من نتائج البحث في معرفة أهم العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس, ومن ثم العمل على إيجاد الحلول المناسبة لرفع التحصيل الدراسي للطلبة.

حدود الدراسة:

تحددت هذه الدراسة بالحدود الآتية:

البشرية: أعضاء هيئة التدريس في كلية الآداب.

المكانية: جامعة القدس- ابو ديس.

الزمني: الفصل الاول2009/ 2010.

تعريف المصطلحات:

عضو هيئة التدريس: المدرس المتفرغ وغير متفرغ للتدريس والبحث، الناطق باللغة العربية (وذلك لان أداة الدراسة باللغة العربية) ومن حملة شهادة الماجستير أو الدكتوراه (العباسي، 2004).

التحصيل الدراسي :(Academic Achievement) يوجد تعريفات عديدة، منها تعريف تشابلن (Chaplin,1979). بأنه مستوى من الانجاز أو الكفاءة أو الأداء في العمل المدرسي أو الجامعي يجري تقديره بواسطة المدرسين أو عن طريق استخدام الاختبارات المختلفة المخصصة لذلك.

وعرفه معجم وبستر(Webster,1979) بأنه أداء الطالب لعمل ما أو مهمة معينة من الناحية الكمية والكيفية للتحصيل.

الطريقة والإجراءات:

منهج الدراسة: لتحقيق الأهداف المرجوة من هذه الدراسة، اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وهو المنهج الذي يهدف إلى وصف خصائص الظاهرة، وجمع معلومات عنها وتحليلها، فقد تم استخدام هذا المنهج في صورته لأنه يلاءم

طبيعة وأهداف الدراسة معتمداً على أسلوب الدراسة الميدانية في جمع المعلومات، ليفي بأغراضها ويحقق أهدافها واختبار صحة فرضياتها وتفسير نتائجها.

مجتمع الدراسة وعينتها:

تكون مجتمع الدراسة من جميع اعضاء الهيئة التدريسية، كلية الآداب، جامعة القدس للفصل الأول 2010/2009 والبالغ عددهم (127) عضو هيئة تدريس، وذلك استنادا إلى إحصائيات دائرة شؤون الموظفين في الجامعة.

عينة الدراسة: اختيرت عينة طبقية عشوائية، من مجتمع الدراسة، عدد أفرادها (127) عضو هيئة تدريس ، وتعادل ما نسبته (27 %) من مجتمع الدراسة والجدول رقم (1) يبين خصائص عينة الدراسة وفق لمتغيراتها.

جدول رقم (1)

توزيع أفراد عينة الدراسة حسب المتغيرات

المتغير	المتغير	العدد
الخبرة	1-2 سنة	8
	2-4 سنة	14
	4 فما فوق	12
الصفة	متفرغ	26
	غير متفرغ	8
الجنس	ذكر	28
	أنثى	6
الدرجة العلمية	أستاذ مشارك	8
	أستاذ مساعد	22
	محاضر	4

أداة الدراسة:

قام الباحث بتصميم الاستبانة بصورتها الأولية، ومن ثم تم التحقق من صدق أداة الدراسة بعرضها على مجموعة من المحكمين من ذوي الاختصاص والخبرة، والذين ابدوا بعض الملاحظات حولها، وعليها تم إخراج الاستبانة بشكلها الحالي بصورتها النهائية.

صدق اداة الدراسة وثباتها:

وللتحقق من ثبات الاستبانة قام الباحث بحساب الدرجة الكلية لمعامل الثبات، لمقياس الدراسة حسب معادلة الثبات كرونباخ ألفا، وكانت الدرجة الكلية للأساتذة (0.87) وهذه النتيجة تشير إلى تمتع هذه الأداة بثبات يفي بأغراض الدراسة.

أدوات جمع البيانات:

بعد التأكد من صدق وثبات أداة الدراسة، وتحديد عينة الدراسة، قام الباحث بتطبيق الأداة على أفراد عينة الدراسة، وبعد أن اكتملت عملية تجميع الاستبيانات من أفراد العينة بعد إجابتهم عليها بطريقة صحيحة، تبين للباحث أن عدد الاستبيانات المستردة الصالحة والتي خضعت للتحليل الإحصائي: (34) استبانة. حيث تم استبعاد استبيانات لعدم استيفائها المعلومات.

وحتى يتم حساب متوسطات استجابة أفراد عينة الدراسة تم اعتماد الدرجات التالية:

جدول رقم (2)

الدرجة	مدى متوسطها الحسابي
منخفضة	2.49 فأقل
متوسطة	3.49-2.5
عالية	3.5 فأعلى

المعالجة الإحصائية

بعد جمع الاستبيانات والتأكد من صلاحيتها للتحليل تم ترميزها (إعطائها أرقاما معينة)، وذلك تمهيدا لإدخال بياناتها إلى جهاز الحاسوب الآلي لإجراء المعالجات الإحصائية المناسبة، وتحليل البيانات وفقا لأسئلة الدراسة وبيانات الدراسة، تمت المعالجة الإحصائية للبيانات باستخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل فقرة من فقرات الاستبانة، واختبار (ت) (t-test)، واختبار التباين الأحادي (One Way ANOVA) ومعادلة الثبات كرونباخ ألفا (Cronbach Alpha)، وذلك باستخدام الرزم الإحصائية (Statistical Package For Social Sciences) (SPSS).

عرض ومناقشة النتائج

أولا: النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى:

تنص هذه الفرضية على انه "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة تعزى إلى أساتذة الجامعة".

من اجل فحص دلالة الفروق في عوامل التي تؤدي الى تدني التحصيل، تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على أداة درجة العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة من وجهة نظر الأساتذة. وتبين أن المتوسط الحسابي للدرجة الكلية (2.91) وانحراف معياري (0.38) وهذا يدل على أن درجة العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة جاء بدرجة متوسطة.

حيث حصلت الفقرة " عدم انتباه الطالب وإهماله لمتابعة شرح الأستاذ " على أعلى متوسط حسابي حيث بلغ (4.35).

في حين كانت أقل فقرة " الخلافات بين كل من الطالب والأستاذ " وفقرة " مدة الامتحان غير كافية" بمتوسط حسابي (2.05).

ثانيا: النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية:

تنص هذه الفرضية على انه "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة من وجهة نظر الأساتذة تعزى إلى متغيرات الدراسة (الخبرة، الصفة، الجنس، الدرجة العلمية).

1- نتائج الفرضية المتعلقة بمتغير الخبرة: من اجل فحص دلالة الفروق لمتغير الخبرة، تم استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة. ونتائج الجدول رقم (3)

جدول رقم (3)

نتائج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة لمتغير الخبرة

الخبرة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
1-2 سنة	8	2.80	0.49
2-4 سنة	14	3.02	0.39
4 فما فوق	12	2.85	0.27

يلاحظ من الجدول رقم (3) عدم وجود فروق ظاهره في متوسطات وجهات نظر الأساتذة حول درجة العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي

للطلبة تعزى إلى متغير الخبرة، ولمعرفة دلالة الفروق تم استخدام تحليل التباين الأحادي (one way ANOVA) كما يظهر في الجدول رقم (4).

جدول (4)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لاستجابة أفراد عينة الدراسة لمتغير الخبرة

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة "ف" المحسوبة	مستوى الدلالة
بين المجموعات	0.32	2	0.161	1.101	0.34
داخل المجموعات	4.52	31	0.146		
المجموع	4.84	33			

يلاحظ أن قيمة "ف " للدرجة الكلية (1.101) ومستوى الدلالة (0.34) وهي أكبر من مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$) أي أنه لا توجد فروق في وجهات نظر الأساتذة حول درجة العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة تعزى إلى متغير الخبرة.

وتعارضت نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة الترتير (2003) والتي كشفت عن وجود فروق دالة إحصائياً لمتغير الخبرة بين من تراوحت خدمتهم اقل من خمس سنوات ومن 5-10 سنوات، وصالح اقل من خمس سنوات.

2- نتائج الفرضية المتعلقة بمتغير الصفة:

قام الباحث بفحص دلالة الفروق لمتغير الصفة بإيجاد قيم المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، واستخدام اختبار (t)، لمعرفة دلالة الفروق بين المتوسطات، الجدول رقم (5) بين نتائج هذا التحليل.

جدول رقم (5)

نتائج اختبار "ت" لدلالة الفروق لاستجابة أفراد العينة لدراسة لمتغير الصفة.

الصفة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة"t"	مستوى الدلالة
متفرغ	26	2.98	0.357	2.018	0.05
غير متفرغ	8	2.68	0.39		

من خلال البيانات الجدول رقم (5) تشير إلى وجود فروق في وجهات نظر الأساتذة حول درجة العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة تعزى إلى متغير الصفة، حيث بلغت مستوى الدلالة (0.05) .

يعزو الباحث وجود هذه الفروق في وجهات نظر الأساتذة لمتغير الصفة في التعامل مع الطلبة إلى العلاقة مع أدارة الجامعة. من حيث كونه مثبتاً وظيفياً أم غير مثبت، فالمثبت يشعر بالمسؤولية أكثر من غير المثبت.

3- نتائج الفرضية المتعلقة بمتغير الجنس: لفحص النتائج المتعلقة بمتغير الجنس تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، لاستجابات افراد العينة من الذكور والاناث، وكذلك تم استخدام اختبار (t) للعينات المستقلة لمعرفة دلالة الفروق بين المتوسطات، الجدول رقم (6) يوضح هذه النتائج.

الجدول رقم (6)

نتائج اختبار "ت" لدلالة الفروق لاستجابة أفراد عينة الدراسة لمتغير الجنس.

الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة"t"	مستوى الدلالة
ذكر	28	2.91	0.37	0.086	0.93
أنثى	6	2.90	0.47		

بالنظر إلى البيانات الواردة في الجدول رقم (6) نلاحظ عدم وجود فروق في وجهات نظر الأساتذة حول درجة العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة تعزى إلى متغير الجنس، حيث بلغت مستوى الدلالة (0.93) وهي أكبر من ($\alpha \leq 0.05$).

اتفقت هذه النتيجة مع نتيجة دراسة الخصاونة (1998) ولتي هدفت للتعرف إلى مشاكل الاتصال بين طلبة الدراسات العليا وأعضاء هيئة التدريس في جامعة اليرموك والتي أشارت إلى عدم وجود فروق دالة تعزى للجنس.

1- نتائج الفرضية المتعلقة بمتغير الدرجة العلمية:

تم فحص المتغير المتعلق بالدرجة العلمية من خلال إيجاد المتوسطات الحسابية والانحرافات المعياري، الجدول رقم (7) بين هذا التحليل.

جدول (7)

نتائج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة لمتغير الدرجة العلمية

الدرجة العلمية	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
أستاذ مشارك	8	3.12	0.33
أستاذ مساعد	22	2.81	0.40
محاضر	4	3.02	0.13

يلاحظ من الجدول رقم (7) عدم وجود فروق ظاهره في متوسطات وجهات نظر الأساتذة حول درجة العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة تعزى إلى متغير الدرجة العلمية، ولمعرفة دلالة الفروق تم استخدام تحليل التباين الأحادي (one way ANOVA) كما يظهر في الجدول رقم (8).

جدول (8)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق لاستجابة أفراد عينة الدراسة لمتغير الدرجة العلمية

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة "ف" المحسوبة	مستوى الدلالة
بين المجموعات	0.61	2	0.30	2.25	0.12
داخل المجموعات	4.23	31	0.13		
المجموع	4.84	33			

يلاحظ أن قيمة ف للدرجة الكلية (2.25) ومستوى الدلالة (0.12) وهي أكبر من مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$) أي أنه لا توجد فروق في وجهات نظر الأساتذة حول درجة العوامل التي تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي للطلبة تعزى إلى متغير الدرجة العلمية.

وتشير نتائج الدراسة عدم وجود فروق دالة إحصائية وبهذا لم تتفق مع دراسة الترتير (2003) والتي هدفت إلى التعرف على أسباب التأخر الدراسي وأكثرها شيوعا لدى طلبة المرحلة الأساسية الدنيا (1-4) في محافظات شمال الضفة الغربية، من وجهة نظر المعلمين. والتي بينت عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير المؤهل العلمي (دبلوم ، بكالوريوس) لصالح البكالوريوس.

التوصيات والمقترحات:

في ضوء النتائج التي توصلت إليها الباحث يوصي بما يأتي:

1- وضع برنامج إرشادي يهدف إلى رفع مستوى التحصيل الدراسي.
2- العمل على إيجاد علاقة ودية وثيقة متبادلة بين الطلاب وأساتذتهم.
3- العمل على عدم تراكم المادة الدراسية إلى نهاية الفصل الدراسي، وإعطاء مدة كافية للامتحانات.
4- إجراء دراسة مماثلة لتشخيص أسباب الرسوب من وجهة نظر الآباء والأمهات .

5- إجراء دراسة أفضل الوسائل والخطط العلاجية للحد من أسباب تدني التحصيل الدراسي.

المراجع :

ال ناجي، محمد عبد الله (2002). دراسة استكشافية لبعض العوامل المؤثرة في التحصيل الدراسي لطلاب الجامعة. مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس، جامعة دمشق: المجلد الأول، العدد الأول.

أبو حطب، صادق (1980). علم النفس التربوي، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الثانية.

أنيس، إسماعيل كنجو (1998). تحسين مردود التعليم من اين نبدأ. ندوة التعليم العالي في المملكة العربية السعودية رؤى مستقبلية, الرياض: 22-25 فبراير.

الترتير، إبراهيم عبد الحميد (2003). أسباب التأخر الدراسي لدى طلبة الصفوف الأساسية الدنيا في محافظات شمال الضفة الغربية، من وجهة نظر المعلمين. رسالة ماجستير غير منشورة، فلسطين: جامعة النجاح الوطنية.

الخصاونة، باتريشا قاسم (1998). مشاكل الاتصال بين طلبة الدراسات العليا وأعضاء هيئة التدريس في جامعة اليرموك من وجهة نظر الطلبة. رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن: جامعة اليرموك.

الزوي، عبد القادر خليفة (1992). التأخر الدراسي لتلاميذ الشق الأول من مرحلة التعليم الأساسي، وحدة البحوث والدراسات، بنغازي: المعهد العالي للخدمات الاجتماعية.

شلبي، فاهوم (1996). العوامل المؤثرة في التحصيل الاكاديمي للطلبة في الجامعات الفلسطينية. عمان: مجلة اتحاد الجامعات العربية، العدد الحادي والثلاثون.

العباسي، عمر (2004). واقع نظام التعليم في جامعة القدس المفتوحة في ضوء معايير ادارة الجودة الشاملة من وجهة نظر اعضاء هيئة التدريس والطلبة. رسالة ماجستير غير منشورة، فلسطين: جامعة القدس.

وطفة، علي (1993). التفاعل التربوي بين الطلاب واعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة موازنة بين اراء طلاب جامعتي الكويت ودمشق. عمان: مجلة اتحاد الجامعات العربية، العدد الثامن والعشرون.

Chaplin,J.P.(1979). Dictionary of psychology. New York: Dell Co., 8th ed.

Howard, G. S. and Maxwell S. E. (1982). Do Grades Contaminate student Evaluations of Instruction .Research in Higher Education,16

Kaspa, T. Tanis, B. (1995). Teachers rating of the social competence and school adjustment of students with elementary and junior high school, Journal of Learning Disabilities. Vol. 28, No. (1), 121-137.

Marsh H. (1991). Multidimensional Student Evaluations of Teaching Effectiveness, A Test of Alternative Higher-Order Structures, Journal of Educational Psychology,83:2.

Shapiro, E. G. (1990).Effect Of Instructor And Class Characteristics on Students Class Evaluation. Research in Higher Education, v. 31, n.2,p135-148.

Webster, S.(1979).International Dictionary of English language. Chicago: W.B.Co.

العلوم السياسية

Changing face in Iraq: lessons and limitations
Identities and cultural diversity

I....... Relations Conference Series
Theme for year 2010:
"INDIAN and the PERSIAN Gulf: Security Perspectives"

Changing face in Iraq: lessons and limitations
Identities and cultural diversity

- **An Intellectual, Academic Researcher, Legal Consultant and Author of over 50 books within International Law, Constitution Law Politics, Ideological conflict, Islam, culture, literature, Human Rights and Civil Society. Has over than 50 books : The Iraqi- Iranian conflict under the light of International Law, 1981. The ideological struggle in the International Relations,1985. America and the Islam , 1987.The New issues in the Arab-Israeli conflict, 1987. Islam and International Terrorism, 2002. The Tolerance in the Arab- Islamic Though, 2005. Storm on "The Land of the Sun", 1994.Panorama of the Gulf War. 1994. Smashing of mirror , Marxisist and Difference,2009. Saad Saleh: light and shadow –2009, Identities Controversy in Iraq, 2009. Indictment ,2010.**

First: National identity and referential authority of the state

On the 31 of the past August (2010) USA forces began to withdraw from Iraq as a first step under the US-Iraq agreement signed between the former US President George w. Bush and Iraqi Prime Minister Nuri al-Maliki.

Practical withdrawing included approximately 91000 US troops, where dozens of military bases have been dismantled, with five military bases and some 50,000 us, will be limited to train Iraqi forces, especially since their sites will be outside the cities and communities and participate in military missions only when needed and necessary, The U.S. President Barack Obama announced that battle gear for U.S. troops in Iraq is over. Thus be around seven and a half years have elapsed since the occupation of Iraq on 9 April 2003.

The war for which the result was a fait accompli did not last for more than three weeks, beginning with the American bombardment on the morning of 20 March 2003 and concluding with the fall of Baghdad. Not only did it target a tyrannical regime that had ruled Iraq for 35 years, Washington persistently sought the destruction of the entire Iraqi state by dismantling its military and security institutions after inflicting heavy damage to their infrastructures, viable facilities and economic establishments, in addition to it acts of rampant sabotage that larceny that swept the country. < /FONT>

The decision to disband the Iraqi armed forces as promulgated by US Administrator L. Paul Bremer- who succeeded Gen. Jay Garner- synchronized the law of the Ba'athi faction (The former ruler faction) which created a backlash, the impact of which still lingers in the political process once preconceived to serve as a prototype for the

US Government to market its own political project worldwide.

After the invasion, and in the absence of the state and order, Iraqis were forced to return to traditional authorities, if they even existed, which cannot serve as an alternative for the state that encompasses historic accumulation. Such authorities were various including religious, denominational, tribal, provincial, political and familial in orientation. The situation was terribly chaotic and reflected a bitter reality as some sectarian and ethnic powers established their own places in the 'new composition' and
would never step aside from these acquired privileges once they were won; on the other hand, some of those who participated in the quota system and the sectarian- and ethnic division started to feel that it was pointless. As such, a nebulous image of the new Iraq began to emerge, whereas the former image has already faded. After all, the state remained the unifying element that links all its components, structures and bureaucracies.

Throughout the last seven years and half, Iraq has passed through four phases. The first one witnessed a direct American administration represented by the military governor Jay Garner and lasting for several weeks (from 9 April until Paul Bremer's taking over the reins of power in 13 May 2003); this phase was characterized by chaos, absence of order and organized vandalism. Phase two was characterized by an American rule with pro forma participation by some Iraqi forces. This phase which had lasted for one year defined the stereotypical image of Iraq as had already been preconceived by Western- and American strategic and political circles two decades previous. The third phase was an American-International one in aspect, especially upon the issue of Resolution 1546

on 8 June 2004 by the Security Council and the formation of the interim government; whereas in the fourth phase, elections were held and a permanent constitution was drafted. These continuous phase, culminating in a new election in 7 March 2010, under intense competition between the number of electoral lists,no one could landslide victory, making State in floating situation, especially after failing to form Government and denominate an accepted Prime Minister, despite over eight months.

To understand 'the new Iraq', we have to focus on this phase with all its details and secrets given that what has been declared was, basically, the cornerstone of the American strategy which followed the theory of 'creative chaos' and which was implemented in the case of Iraq: dismembering the state and its institutions and rebuilding it by means of an American conception and which create large cracks in national unity with rising subsidiary identities to prohibitive community identity based on the idea of citizenship transient communities and ethnic groups, religions, languages, strains, which led to a real setback not only on an Iraqi level, but also on the American one, as it has stained the reputation of the United States and caused tremendous financial and human losses that accelerated- in turn- the occurrence of the financial crisis in the United States and throughout the world, and which raised issues such as mortgage, bankruptcy of banks and monetary institutions and witnessed the dissolution of major insurance companies.

In the second phase, Iraq was ruled by a ‘reputable’ civil governor-- as his fellow politicians would like to call him, namely Paul Bremer. He was the sole giver of orders including for members of the Governing Council which was instated by him as well. This period was rife with

administrative and financial corruption and was characterized by subjugation of the Iraqi powers which dealt with the occupier. It was often said that the first and second interim governments were merely 'non-governing governments'. Simultaneously, security conditions deteriorated, violence and organized crime surged, and resistance attacks increased, and uncontrollable violence.

It was Bremer- who came to set the foundations of "new Iraq" as President Bush - who promised that democracy would reign and freedom would become the rule-consolidated sectarian violence and ethnic tensions through the composition of the Governing Council, designating alien formulas for the various factions and which proved to have dire consequences as it awakened both old and new conflicts pertaining to political sectarianism.

Second: Identity and political sectarianism

Fueled by British occupation, contemporary political sectarianism began to take shape, and since the foundation of the modern Iraqi state in 1921, successive regimes occasionally endeavored to exploit such a trend in order to extend their influence and hegemony, mainly through nationality laws. These included in particular Law 42 of the year 1924 which had been promulgated even before the adoption of the first Iraqi Constitution (constituting basic law) in 1925 and Law 43 in 1963 as well as the ensuing discriminatory laws issued by the Iraqi Revolutionary Command Council in the period from 1968 to 2003, which resulted in the deportation of nearly half a million Iraqis and which transpired, remarkably, during the Iran-Iraq War and its aftermath (in accordance with reso lution 666 issued 7 May 1980)[4]. However, this political sectarianism would be transformed upon the invasion of Iraq in 2003 into an even graver form- or

perhaps at least a darker side of it, namely that of societal sub-sectarianism.

In either of the cases, and for both sides, after witnessing all this strife and these purges, sectarian- and ethnic violence became the most prominent feature which would define the polity known as the Iraqi State during the post-invasion period.

Sectarian (Shiite-Sunni) entrenchment has dominated the scene, noticeably after the bombing of the shrines of Imams Hassan Al Askari and Ali al-Hadi in Samarra on February 22, 2006. The Arab-Turkmen-Kurdish dispute with regard to Kirkuk has escalated, aggravated even more by Arab-Kurdish tensions concerning federal borders; and moreover, Christian Chaldean-Assyrian alignment as well as that of other religious and ethnic sects has become firmly consolidated. With such givens, we may borrow the late prominent Iraqi sociologist Ali Alwardi's epithet "sectarians without religion" to label those girded in the armor of sectarianism and sub-sectarianism; in fact, this expression is still applicable and is rath er the most precise description for such individuals in present times, as the devout Muslim is incapable of being sectarian as Islam rejects sectarianism. As for coexistence between sects, rather than being taken in a context of entrenchment and feuds, it should be considered a model paradigm for pluralism and diversity.

The second phase of the American rule sought to present Iraq in accordance with the American portrayal which has been circulated by tens of studies, research papers and articles in academic-, political- and strategic research centers; this image has reduced Iraq into sects and ethnicities, particularly during the last two decades, or even more than that, during the Iran-Iraq War which has been often either 'Islamiczed' through its consideration as

an Islamic-Islamic conflict, or even sectarianzed by considering it a Sunni- Shiite conflict, while still others have viewed it as an Arab-Persian conflict. In any case, it was a futile war far removed from all such characterizations; in fact, it was merely a venture in which each side sought to exterminate the other. < /o:p>

Third: Identity and Iraq's 'new' form

After the war waged against Iraq by Coalition Forces on 17 January 1991, which resulted in the ultimate defeat and withdrawal of Iraqi forces from Kuwait and forced Iraq- in the process- to capitulate to unjust resolutions, especially Resolution 687 issued by the UN Security Council on 3 April 1991, about 60 resolutions were issued in total. All imposed a strict embargo on the country for 13 years, during which time Iraq was portrayed as being nothing more than a collection of sects and ethnicities or minorities without any prevailing component that might define the Iraqi nationality. In this manner, the Iraqi nationality was approached as a deconstructive and fractionated prospect and was reduced into minor ethnic and sectarian sub-identities; it was never taken in i ts collective form within a unified state characterized by religious-, cultural- and ethnic diversity and comprised of sub-identities that inhere within the context of a larger one.

The talk about a "safe haven" mostly denoted the question of Kurds (latitude 36), and then there had been debate concerning protecting the - Shiite in the south through a 'no fly zone' (latitude 32). As for the Sunni population, they were often accused of collusion with the previous regime with all its drawbacks.

The fragmented image drawn for Iraq does not include Kurds, - Shiite and Sunnis only. In fact, other components were tackled such as Turkmens and Assyrians-Chaldeans,

as well as adherents of minor religions such as Mandaeans and Yezidis, but none of this was for the sake of rights of citizenship or equality, only to widen the divide between them.

If this mosaic structure of Iraq had always been a source of strength throughout ancient and contemporary Iraq's history, then addressing society's rights is an essential condition which cannot be overlooked with regard to norms of human rights. The 'Western' prejudicial image clearly harbors intent, taking advantage of voracious appetite for privileges and collecting as much 'booty' as one can, even if these come via the aid of the occupier and at the expense of the collective identity.

Fourth: How to divide Iraq?

Ethnically speaking, we can say that Iraq is composed mainly of Arabs who constitute the majority at 80% of the population which establishes Iraq's historic and contemporary identity in addition to Kurds, an ethnicity whose rights were partly recognized by Iraqi Constitutions since 1958 for being "partners in the national state of Iraq" (the 1958 Constitution) and for the fact that Iraq is comprised of two principal Ethnicities, Arabs and Kurds (the 1970 Constitution). Currently, Kurds are demanding more guarantees in accordance with the formula of federation in lieu of the previous autonomy formula of 1974. Additionally, Iraq has a minority of other ethnicities such as Turkmens and Assyrian-Chaldeans. [6]

It is not feasible to talk about an ethnic concord in Iraq without granting the ethnic rights of Kurds and cultural-and administrative rights of Turkmens, Assyrian-Chaldeans and other minorities, as well as guaranteeing human rights in a country established on the basis of equality and full citizenship; especially when former governments had disregarded rights of minorities and

human rights in general, precipitating- as a consequence- isolationist trends, which have been aggravated by the complexities of the post-invasion events, including the Law of Elections and Parliaments that ensued. In fact, such trends reflected an ethno-sectarian polarization which had already been propagated by Paul Bremer in the Governing Council.

On a religious basis, Iraq is comprised of Muslims who constitute approximately 95% of the population, Christians, Yezidis, Mandaeans and other minor religions. Islam, by far, is considered the dominant identity of the Iraqi society and has been the main component of the country for 1400 years, bearing in mind that Iraq was once the center of Arab-Islamic civilization. Undoubtedly, securing the rights of religious minorities will protect the unity of the entire Iraqi society; conversely, subduing 'the other' under the pretext of having been victimized in the past, or the pretence of representing the majority's voice in the present-- in addition to disregarding regular rights--are all precipitating factors in the collapse of Iraqi society and the disintegration of the national identity. < /P>

This is supposed to be the real image of a historic unifying Iraq, rather than being a virtual one, that is comprised of many Iraqs, many cities and provinces, many religions and ethnicities. Admitting distinction and uniqueness is an essential prerequisite just as paying respect to personal rights is a consolidation of the right of citizenship, especially upon adopting the indispensable principle of equality in accordance with charters of human rights.

Fifth: Citizenship and Nationality in the Past and Present

One feature that distinguishes Iraqi Law from any other is its stipulation that for an Iraqi individual to obtain

citizenship, he must obtain a Civil Status Identity Card and an Iraqi Nationality Certificate .According to my known there is no such bizarre law exists anywhere else in the civilized world. In point of fact, such practice is tantamount to an entrenchment of sectarianism in Iraq according to the formula of Sir Percy Cox and Miss Gertrude Bell- which would become legalized later on; the British rule of "divide and rule", especially after the 1920 Revolution in order to ferment schism among Iraqis, and Muslims in particular and up to the time of the more recent formula of Bremer-Negroponte-Khalil zada.

The first Nationality Law in Iraq was Code Number 42, issued in 1924 upon the entry of the Treaty of Lausanne into force on 6 August 1924, whereby Ottoman nationality was converted to Iraqi nationality (for all citizens bearing Ottoman nationality and residing in pre-independence Iraq) [7]. The aforementioned law regulated the conditions by which non-Ottoman individuals might obtain Iraqi nationality: "Any person had born in Iraq who has attained his majority and whose father was born in Iraq and was at the time of that person's birth ordinarily in Iraq provided that this item does not include those who were born before August 1924"[8]. This law further subdivided holders of nationality into Class-A "original", and Class B "sub-affiliation". < /P>

In 1963, the Iraqi Nationality Law was amended under Code 43, whereby new restrictions were introduced for obtaining Iraqi nationality; moreover, the Minister of the Interior was given the prerogative of considering those who were born in Iraq to a father who was born in- and is habitually resident of Iraq. This clause was invoked and implemented for those who failed to obtain the Iraqi Nationality Certificate before the entry of this law into force. It emphasized the principle of jus soli (for both the

father and the son) according to the province right, and the right of filiations on the condition that the father is continuously and permanently resident in Iraq, in addition, it demands applying in a written statement to the Minister of Interior for his approval [9]. This 'chauvinist and sectarian' aspect was c overtly consolidated by the Revolutionary Command Council's Regulations 131 of 1972 and 803 of 12 July 1977 which made the acquisition of an Iraqi nationality for an individual who is born (as well as whose father was born) in Iraq contingent on the Minister's discretion and the interest of the authorities. Not even compulsory military service- as in the case of much international law- can assist someone in obtaining Iraqi nationality.

In February 1980, the Revolutionary Command Council issued Regulation 180 concerning the granting of Iraqi nationality to foreigners married to Iraqis, whereby the Minister of Interior has the right to grant the Iraqi nationality to foreigners married to Iraqi men or women [10].

This coincided with the propaganda that was raging between Iraq and Iran after the Iranian Revolution and which stiffened the resistance of Iraqi authorities towards political currents, especially the opposition. The whole process did not stop only at the classification of "hostile" trends but rather launched a full-scale campaign of deportation against tens of thousands who were deemed a "fifth column", thus augmenting the cruelty of the Iraq-Iran War (1980-1988) and stirring up domestic unrest and contempt.

After these deportations, the Iraqi Government confiscated all assets belonging to the deportees and formed the committee for the so-called “Deportees' Assets Administration" to invest such properties thereby

transgressing all human rights considerations, where Article 17 of the Universal Declaration of Human Rights states: "Everyone has the right to own property alone as well as in association with others, and no one shall be arbitrarily deprived of his property."

The system of citizenship is a judicial one; it is not a contractual relationship that seeks consent of the two parties. In this sense, it is different from "nationalization" which is basically a voluntary action. Consequently, due to its bias and discrimination, the Iraqi law rendered nationality acquisition- which is a right for all citizens- just another version of "nationalization" that necessitates submitting a request to be approved by the Minister of Interior and the ruling authorities [11].

The administrative law set out some new regulations pertaining to nationality during the interim period and after the promulgation of the permanent Constitution, in which it is stated in Article 11 that every subject who holds the Iraqi nationality is deemed an Iraqi citizen who has full rights and obligations since his citizenship is the basis for his relationship with the state; however, such laws remained ambiguous and inconspicuous as they did not include a plain text that annuls the law of getting the Iraqi nationality certificate that necessitates that all Iraqi identity holders apply for the Iraqi nationality certificate, even when this requires an annulment of the law of getting the Iraqi nationality certificate whi ch was the main instigator of discrimination, and according to the Nationality Law 42 of 1924.

The law also permits that an Iraqi may hold more than one nationality, bearing in mind that two million Iraqi hold foreign nationality. In general, this law prompted many discrepancies that need to be addressed by the legislature. For instance, many Jews were forced to leave Iraq under

the notorious Law of 1950, which stripped many of their Iraqi nationality. Many of those Iraqi Jews and their sons have become active members in Israel Defense Forces and the Mossad, so if any such as these are restored their nationality, they will pose a threat to the security of Iraq and the entire Arab world, as Iraq is still at war with Israel according to law and is not a signatory in the Rhodes Armistice Agreement of 1949. Now the question that poses itself here is: "How can an Iraqi-born Israeli who is also a holder of Amer ican nationality be accepted as an Iraqi citizen under such ambiguous circumstances? The legislature should make exceptions that can avert such confusion.[12]

Sixth: cultural diversity and sub-identities

Taking interest in cultural diversity in regard to aspects of nationality or ethnicity, religion or sect, dynasty or dialect was never satisfactory; in fact, there is even a disregard for pluralism that could lead to intolerance and disrespect of ‘the other’, and denying others' rights will always disturb the unity of Arab societies. Perhaps, this is one of the deficiencies that has characterized the Iraqi state and undermined its unity.

Intellectual-, cultural- and political elites have often approached the question of cultural diversity in terms of generalities and have prioritized major centralist slogans at the expense of a reality replete with multiplicity and ethnic-, cultural- and lingual diversity; at other times, this reality has been overlooked altogether at the expense of recognizing ‘the other’. Diversity is not a set of superfluous minutiae; rather, it is an indispensable necessity.

Any authoritarian or arbitrary unity will necessarily pose a threat to other minorities living in the society; unfortunately, intellectual-, cultural- and political elites

have never established a "unified" legal and humanitarian position with regard to religious-, cultural- and lingual diversity. Consequently, many divisions of the society such as Christians, Kurds and Turkmens, as well as other non-Arab or non-Muslim minorities, were unable to hold senior positions in the state such as the office of the President or Commander of the Army or Chief Justice, while this would customarily be their right if we are before a modern state.

This myopic distortion of minorities residing in Iraq or the Arab world has been omnipresent for thousands of years, and doubting their loyalty was always a component of any given scenario being attributed at times to some historical considerations such as al-Barmakids, and Abou Muslem Al Kharassani, the crusaders wars and the likes of such. The Arab-Persian conflict and the role played by Populist were played upon and exploited quite heavily during the Iraq-Iran War, thereby igniting hatred between people--bearing in mind that it is not external influence or questioned loyalty that will prompt sedition, but negligence in delivering rights to citizens. Perhaps, discrimination and oppression will cause some people to adopt narrow-minded isolationist positions or even render them empowered by foreigners.

Recognizing minority rights and national diversity is a privilege that emphasizes the importance of sub-identities as being a primary component of a larger genuine identity in which no sub-identity can be eliminated or concealed. Now the question is: What is the difference between the single Arab culture and the unified Arab culture, that recognizes multiplicity in its own society, bearing in mind that the Arab world and the Iraq one in particular, have always been a magnet for other civilizations, cultures and religions?!

Seventh: Identity and human rights

The system of collective- and individual cultural human rights admits the right of any nation for equality between its entire people and considers all cultures- with all their differences and distinctions- to be an integral part of the common heritage of mankind. It emphasizes the importance of protecting culture and guaranteeing the right of all peoples to develop their own cultures in addition to securing every individual's right in participating freely within his own society, practicing arts and literature, contributing to scientific development and enjoying intellectual freedom, etc.

The International Bill of Human Rights maintains that all cultures are equal, rejects discrimination between nations and peoples, and deplores all concepts of superiority or hegemony; this has also been upheld by UNESCO and the Mexico City Declaration of 1982 in regard to the right of respect for cultural identity.

Peoples' right of cultural identity provides individuals and groups the right to practice their own cultures, as well as to coexist with other cultures according to both local and international criteria. To recognize the right to culture means the right of any culture to exist and develop by means of its own dynamics, independence and inherent characteristics and without neglecting common factors at the human-scale or values of cohabitation and interaction between nations, peoples and groups.

International law has witnessed positive progress during the last three decades in terms of minorities' rights, many international treaties and conventions have addressed the issue of discrimination. The issue of 'special rights' has also garnered major interest, especially after signing "The Declaration on the Rights of Persons Belonging to National or Ethnic, Religious and Linguistic Minorities",

which was adopted by United Nations General Assembly in Resolution 47/135 of 18 December 1992, and which became known as the "Declaration of Minority Rights". In 1995, a team was formed on the basis of cultural rights and took responsibility for concern over minorities' rights.

'Special rights' means the preservation of identity and personal characteristics, tradition and language in the context of equality and non-discrimination, and which was stated in The International Covenant on Civil and Political Rights promulgated by United Nations General Assembly in 1966.

The acknowledgement of cultural-, ethnic- and religious diversity in itself is a confession of a poignant reality resulting from the pointless denial of the rights of others, which was exploited by external powers to seed civil unrest, leading eventually to this state of fragmented national unity and undermined national security.

Eighth: The American-International Phase

The third phase through which the Iraqi state passed after the American invasion in 2003 is to be considered in outline: American-International with an "Iraqi" participation. In the forefront, were the promulgation of the administrative law for the interim government on 8 March, 2004; and the declaration of transferring "sovereignty" to Iraqis on 28 June in reaction to the Security Council's Resolution 1546 of 8 June, 2004. It confirmed the role played by Multi-National Forces under American leadership and paved the way for holding elections on 30 January, 2005.

Simultaneously, the third phase witnessed an escalation in resistance attacks on the one hand, and terrorist attacks (suicide bombs, sectarian and ethnic pogroms, decapitations, etc.) on the other; it was so severe and acute that it inflicted heavy casualties on the United States and

the Multi-Nationality Forces as well as financial losses [14]. Seven and half years have passed, and the occupying forces and the governmental forces are still losing their grip over the conditions in Iraq despite the relative improvement in security conditions in the country during mid-2008; the signing of the Status of Forces Agreement (SOFA) in late 2008; and the pledge to withdraw from Iraq made by President Obama during his electoral campaign which he re-emphasized upon entering the White House in the outset of 2009. Then he executed in August last 2010. Although, the decision to withdraw from Iraq did not materialize completely, it is, however, possible now, and this could be due to Baker-Hamilton recommendations of late 2006 which had been discarded by former President Bush or it might be due to the American stalemate in Iraq and the heavy losses in personnel, material and money, or possibly, it might be due to the massive financial crisis which started with mortgage, then reached major banks and insurance companies and ended by affecting all aspects of economy and life.

Phase four started after the 2005 elections; although the United Iraqi Alliance (Shiite) won the elections, the winners failed to form the government only after an arduous effort, after that the presidency, vice presidency and the national assembly.

According to a timetable already set by the American administration, a draft for a permanent constitution was promulgated on 15 August, for which a referendum was carried out on 15 October, and then on its basis elections were held on 15 December 2005, despite the reserved position taken by the "Sunni" Accord Front – the third component of the political apparatus which won 44 seats in the Parliament out of 275, and where the Kurdish list

won 53 seats coming in second during the elections behind the “Shiite” Alliance list which won with 138 seats.

Municipality elections precipitated a new reality by the big win of the State law list, headed by Al-Maliki, but the elections of March 2010, show a new political and sectarian and ethnic assembly.

Dr. Ayad Allawi and his list has got 91 seats and the list of Al-Maliki gets 89, the national coalition headed by Mr. Ammar al Hakim gets 70 seats.

The Kurdistan Alliance list has cracked by the victory of opposition, but generally remained combination Kurds more coherent Add to other small lists.

The Federal Court having brought the case issued the explanation that the larger cluster is not winning cluster but the winner was formed by the Parliamentary Bloc This has made a fortune in Maliki government could be formed and I think that this is what will be satisfactory of both major parties the United States and Iran.

That would become one of the challenges facing the political process, especially after the relative improvement that the security condition has witnessed and the relative retreat of the sectarian fragmentation, however, new problems will emerge the new government, especially in terms of the governorate authorities, the question of Kirkuk and that of oil agreements, alongside crumbling political alliances and blocs.

Ninth: Iraqi Federations and the Identities Debate

The question of federation and law of governorates -which was promulgated in the Parliament and then postponed another 18 months- cast many theoretical and practical problems over the unity and future of Iraq; these may coincide with many scenarios that depict the division of Iraq either directly or gradually, the latest of which was that proposed by Joseph Biden that plans to divide Iraq

into three federations (similar to cantons) with borderlines equipped with checkpoints between the three of them, and providing identity cards with 300,000 troops from “the coalition forces”. The estimated cost of this project reaches one billion dollars.

This law of governorates, along with the growing influence of warlords, rampant militias, rise of sectarian violence, dissemination of corruption and bribery, embezzlement of public funds, the trafficking of oil have all shrouded federation and federal law with confusion and ambiguity. Before that, the Iraqi Constitution had created such impression through making federal (union) authority and laws serve the authority of the governorate and their laws by the time that the two are in contrast.

This is not to forget the repercussions of the question of distributing revenues and the oil contracts signed by the Kurdistan Government without the federal authority noticing. Another issue is the confused state of powers enjoyed by the federal armed forces towards governorates, including the Peshmerga. It is necessary to investigate the issue of federalism and their relevance to the question of identity.

Federalism entered the Arab political literature two decades ago. In the 1990s and after the fall of the bi-polar world order and at the end of the Cold War, the ideological conflict entered into a new phase and the concept of federalism came to be ascendant, especially in Iraq and Sudan.

“Kurdish federalism” and the “federalism of South Sudan” are both open to discussion and ‘implementation’ with constitutional formulas that prompted controversy and induced many parts of the Arab world to consider this option and call for it whether on the basis of genuine or coveted privileges.

We are about to expound aspects of the Iraqi Federations and not only “Kurdish federation”: prerequisites, requirements, challenges and threats facing it, and its reflections on the Arab reality whether to consolidate the national unity or to confront foreign challenges and potentials for fragmentation and division facing it.
After all, the project of the centralist state and monopoly of the political and administrative decision making are no longer feasible in a world heading towards de-centralization and expanding the circle of individual participation, especially with such an atmosphere of excluding ‘the other’.

Ten: the constitution and the complex situation

One of the problematic and central issues that resulted in pugnacious dispute in the committee for drafting the Iraqi Constitution between political powers in and outside the National Assembly was the issue of federations or the so-called ‘law of governorates’. Section five of Article 113 went on to define the components of the federal system by saying: it is composed of “a capital and non-central governorates and municipal administrations”.
Although the Iraqi Parliament promulgated the law of governorates in 2006, its implementation was delayed for 18 months due to the conflicts it stirred up and the threats intimated by some powers about withdrawing from the government and which might undermine the entire political process. Its execution was halted pending amending the constitution or forging a new accord that could promote the law of governorates as per the Accord Front aspirations, meanwhile, the Alliance list bets on time to coerce the opposing parties to concede to the aforementioned resolution of the Parliament, bearing in mind that it represents the majority.

Despite the fact that Article 114 has already stated that the Province of Kurdistan is a federal province, the current debate revolves around: borders and authorities of the province and the discrepancies surrounding some items cited in the constitution that aggravate the confusion between it and the federal authority, especially in terms of extending the idea of provinces to the south and the center under pretexts of ‘special nexus’, ‘sectarian cohesiveness’, and ‘historical grievance’.

As if all of that has no reference to the domination of a strict centralist state and limitation of authority in its hands at the expense of its relations with provinces and parties, not only in the south and the central region or for sectarian considerations, but also in the west and the north and the rest of Iraq. Such an issue is not well-understood by the parties calling for southern federation or perhaps yearning for privileges make them cling to any means in order to achieve the ultimate goal which they consider ‘the haven to sect’. Baghdad, however, remains intractable to the process of division or sectarianism after all operations of sectarian cleansing and forced deportations for the purpose of altering its demographics, as it represents a melting pot in all religious, ethnic, and social dimensions.

If federalism were an administrative system that addressed urgent historic-, political-, social- and economic needs in order to organize a society and enhance governorates’ participation in the responsibility of decision-making, whether in their specific issues or in the state’s general affairs, then reasons such as ‘adjudicating grievances’ or ‘achieving the right’ or ‘counteracting discrimination’ are not sufficient to establish a federal rule. Without proper historical cultural development and a dire need for establishment and management of the affairs of the state and society, a federal system cannot be

established; as for issues of ‘grievance’ or ‘historic injustice’ or ‘sectarian formation’ or ‘discrimination’, they should be addressed in the Constitution and un der the section of rights and obligations, whether that constitution is federal or not.

Finally, to consolidate a national sense of belonging to Iraq as a country, discrimination has to be resolved, political sectarianism has to be banished, and national oppression has to be terminated. To preserve one’s unique identity and make it interact in the context of multiple and diverse Iraqi citizenship is an element of strength rather than weakness. A citizenship needs free citizens and a civil society devoid of sectarian, ethnic or tribal or political allegiances without which there will necessarily be a need for a ‘magic wand’ for existing problems and conflicts. In this sense, when we talk about conditions of democracy, we mean conditions of citizenship in a modern state, and a unified law and constitution, and not on the basis of the democracy of sects, ethnicities, quotas or other divisions remote f rom the essence of citizenship in its modern sense.

Finally, if there is any weakness in the Iraqi identity due to oppressed rights, especially of the minorities and the lack of freedoms, equality and full citizenship in a state of law, the occupation helped further destroy this state and tear apart the collective Iraqi identity, especially upon dismantling the Iraqi Army and promulgation of sectarian- and ethnic quotas, leading- in the process- to infighting.

Sources and References:

[1] Bremer, Paul and Malcolm, McConnell. 2006. My Year in Iraq: The Struggle to Build a Future of Hope, and Shaban, A. Hussain, 2007. "Ijtithath al-Ba'th….wa Shay' an al-Musalahah wa al-Musa'alah wa al-Azl al-Siyasi," in: Al-Zaman. 5 & 6 August.

[2] See: "Al-Iraq: Siyaqat al-Wihdah wa al-Inqisam: al-Nasr am al-Hazimah!" in:Hal al-Ummah al-Arabiyah 2006-2007: Azmat al-Dakhil wa Tahaddiyat al-Kharij, edited by Ahmad Yousef Ahmad and Nevine Massad (Beirut: Centre for Arab Unity Studies, 2007).

[3] See Shaban's review for Bremer and McConnell. My Year in Iraq: The Struggle to Build a Future of Hope, in: al-Mustaqbal al-Arabi, year 29, 329 (July 2006), pp. 156-174.

[4] Citizenship is a right no one can deny in accordance with article 15 of the Universal Declaration of Human Rights issued by the General Assembly of the United Nations in 1948. The international society tried to lessen cases in which no citizenship is granted to individuals by signing the international agreement "Convention on the Reduction of Statelessness) in 30 August 1959 (entered into effect in 1960); later it was adopted by the General Assembly of the United Nations in 1961 and was implemented in 13 December 1975. Among its clauses that any signatory state is required to grant citizenship to anyone who is born on its lands, also this citizenship is given as follows: a- after birth and according to law.

b- based on a written statement submitted to the concerned authorities.

See: Shaban, A. Hussain Man Huwa al-Iraqi?

[5] Shaban, A. Hussain, "tadaris al-kharitah al-siyasiyah al-iraqiyah," in: al-Mustaqbal al-Arabi, year 29, 333 (November 2006), pp. 48-68.

[6] See: Iraqi provisional constitutions of 1958 and 1970.

[7] See: Abu Hatem, "mualahazat amah ala tatbiq al-jinsiyah al-iraqiyah,", p. 7

[8] Compare with article 8 of law 42 in 1924.

[9] Compare with article 6 of law 43 in 1963.

[10] Shaban, A. Hussain, Asifah ala Bilad al-Shams, p. 231.

[11] See Law 43 in 1963.

[12] See law 1 of 1950.

[13] Minority rights declaration of 1992.

[14] See: "hal sa yusbi al-iraq aswa' al-hilul al-say'ah

[15] ibid.

[16] Shaban, A. Hussain, "bayan ihtilayan: al-qadiyah al-kurdiyah bayna al-ta'tir wa al-tashtir".

See also: Shaban, Abdul Hussein –Jadal al Hawyat fi Al Iraq (conflict or controversial identities in Iraq), Al Mustaqbal Al Arabi journal, issue 369, November 11/2009.

See also: Jadal al Hawyat fi Al Iraq , Al Dawlah wa Al Muwatanah (conflict or controversial identities in Iraq, State identities and citizenship), Arab Scientific Publishers,Inc, Beirut, 2009.

[17] See the permanent Iraqi constitution.

Contents

Journal of Averroes University in Holland

A quarterly periodical arbiter scientific journal

Correspondence

Lorsweg 4, 3771 GH, Barneveld
The Netherlands
Website www.averroesuniversity.org
E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org

All published works are evaluated by experts of their own field of science and art.

The price of an issue is €10,00 or its equivalent in US dollar.

Annual contribution	**Individuals**	**Organizations**
Anuual	60	80
Two years	110	150
Three years	160	200

First Issue December 2010

Journal

Averroes University in Holland

A scientific journal published quarterly

Issue 1 **Price €10,00**



Averroes University Holland